كتابي

حلمي مراد

١٠ قروش

رجل ١٩٥٦ : البطل الذى حقق الجلاء مرتين فى عام !

اعجاب العذراء بطفلها (من وحى الميلاد)
تحفة للرسام الايطالى ((رافايللو سانتى)) (١٤٨٣ - ١٥٢٠)،
بمتحف يوفتشى بفلورنسا

حتى الطبيعة .. ثارت عليه !

العاصفة والفيوم تجتاح (جمايكا) ، حيث استجم ايدن !

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثامن والخمسون (السنة الخامسة) : يناير ١٩٥٧
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول – ١٤ شارع ٢٦ يوليو – بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

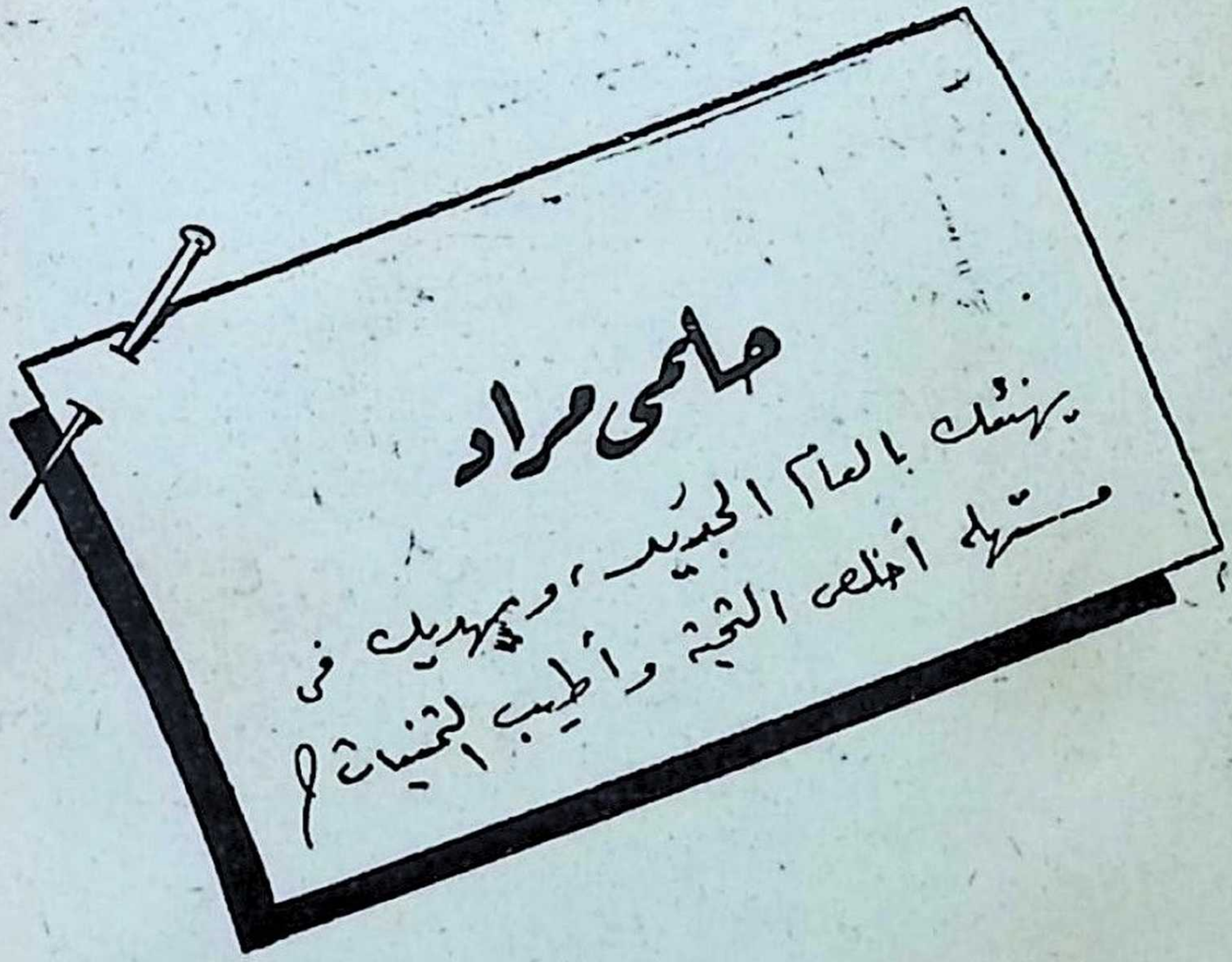
حلمي مراد
يهنئك بالعام الجديد ، ويهديك في
مستهله أخلص التحية وأطيب التمنيات !

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
افتتاحية العدد	٨
.. وطلع الفجر : قصة مصرية بقلم **محمد بدر الدين خليل**	١٣
السنة الاولى : كيف عاش آدم وحواء عامهما الاول على الارض . للكاتب الروائى « **روبير ديودونيه** »	٣٩
« **السين ـ فين** » : الجمعية التى ناضلت فى سبيل تحرير ايرلندا ، وحملت الارهاب الى قلب بلاد الانجليز . للمؤرخ العالمى « **يوجين لينهوف** »	٦٣
زعيم .. من فرنسا : قصة الانحلال والتعفن الخلقى فى المجتمع الفرنسى . لصاحب الفلسفة الوجودية « **جان بول سارتر** »	٨٩
ماذا يجب أن تعرف عن السرطان : للباحث الامريكى الدكتور « **تشارلس كاميرون** »	١١٧
فى بلاد العراة : المذهب الجديد الذى ينادى برجوع الانسان الى الطبيعة . للكاتب « **لوى شارل روايبيه** »	١٣١
جوديث : المسرحية العالمية التى تكشف عن حقيقة شعب اسرائيل . للكاتب المسرحى الكبير « **جان جيرودو** »	١٤٥
السلوك الجنسى : التقرير الذى هز الولايات المتحدة من أقصاها الى أقصاها . للباحث الامريكى الدكتور « **ألفريد كينزى وآخرين** »	١٧٣
مذكرات كازانوفا	١٨٥
تاريخ العالم	١٩٦

فرنسا الجريحة .. على ضفاف النيل !

عزيزى القارىء ..

فى مستهل هذا الشهر الجديد ، تودع مصر ـ والشرق ـ عاما كان حافلا بالاحداث الجسام ، وبالصراع ضد قوى الشر والعدوان التى ارادت ان تسلبنا استقلالنا وحرياتنا ، فشاءت عناية السماء ان ترد كيدها الى صدورها ، وتكتب لنا النصر على مؤامرتها الدنيئة الغادرة ..

ومصر اذ تودع العام المنصرم شاكرة لله ان بسط عليها رعايته وسهر على حمايتها من أعدائها الغاشمين ، المجتمعين ، تستقبل العام الجديد من عمر الانسانية وقد تضاعف ايمانها بنفسها ، وبحقها ، وبمستقبلها المرموق ، الذى أخذ ابناؤها البواسل على عاتقهم ان ينتزعوه من أنياب الطامعين انتزاعا !

والواقع ان هذا العدوان الثلاثى الفاشل ، لم يكن أول عدوان أتاح لمصر أن تثبت انها ـ بحق ـ مقبرة الغزاة .ولهذه المناسبة ، يسر دار ((كتابى)) ان تقدم لك فى العدد الذى يصدر فى منتصف هذا الشهر من ((مطبوعات كتابى)) كتابا استخرجته لك من تراث الكتب القديمة المطمورة ، وهذا الكتاب التاريخى وضعه منذ أكثر من ستين عاما ـ فى عام ١٨٩٥ على وجه التحديد ـ المؤرخ المستشرق ((ادوين جون ديفيز)) ، وروى فيه قصة محاولة فرنسية سابقة ـ وفاشلة ايضا ـ لغزو مصر ، هى المحاولة التى قام بها فى القرن الثالث عشر ملك فرنسا ((لويس التاسع)) ، حين جند جيشا ضخما جرارا بقيادته بعد ان جمعه وسلحه فى جزيرة (قبرص) ـ ويا لسخرية الاقدار اذ يعيد التاريخ نفسه ! ـ ثم هبط أرض مصر فى دمياط ، ومنها زحف الى (المنصورة) ، حيث دحره المصريون فى عهد

الملكة ((شجرة الدر)) - وألحقوا به شر هزيمة ، ثم أسروا ملك فرنسا - فى صيف سنة ١٢٥٠ - واعتقلوه زمنا فى دار ((ابراهيم بن لقمان)) ، كاتم اسرار السلطنة بالمنصورة..ولم يطلقوا سراحه-وسراح شقيقه ، احدقوادجيشه - الابعد ان دفعت لهم الملكة الفرنسية فى دمياط ماقيمته نحو ربع مليون جنيه بالعملة الذهبية ، وبعد أن طلبوا الى الملك الاسير ان يقسم على قبول قائمة الشروط التى فرضوها عليه والتى وضعوها فى صيغة مهينة !

على ان الكتاب الشائق لايقتصر على رواية تفصيلات تلك الحملة الفرنسية الفاشلة ، والهزيمة الذليلة التى أعقبتها ، وانما يسرد لك الكثير من قصص المؤامرات والدسائس التى اقترنت بتلك الحقبة من تاريخ مصر ، والتى كان مسرحهابلاط سلاطين مصر من المماليك .. وهى المؤامرات التى ادت الى مقتل السلطان طوران شاه ، آخر سلاطين الاسرة الايوبية ، وهو يسبح فى النيل فرارا من مطارديه !.. كما يروى لك الكتاب كيف أخفت ((شجرةالدر)) خبر وفاة السلطان -((نجم الدين)) - كى لايتسرب الوهن الى جيش مصر وهو يقاتل الصليبيين بقيادة الملك الفرنسى ، فزعمت ان السلطان ((مريض)) وظلت تصدر باسمه الاوامر وتوقع المراسيم .. حتى انتهت المعركة .. وعندئذ فقط أعلنت وفاة السلطان !

... ثم يمضى الكتاب فى سرد ((قصة)) تلك الحقبةالحافلة من تاريخ مصر وكفاحها ، بأسلوب مشوق يجعلك لا تقوى على ترك الكتاب من يدك ، فتظل كلما فرغت من فصل انتقلت فورا الى قراءة الفصل الذى يليه ، وكلك شوق الى معرفة نهاية تلك ((الرواية)) الممتعة ذات الفصول المسلسلة .. حتى تفرغ من قراءة الفصل الاخير منها ، آسفا على انتهائها !

.. وهكذا نمضى فى ركاب السلطانة المحنكة ((شجرةالدر))، ثم نتابع قصة نزاعها مع زوجها ((المعز)) ، وكيف دفعها الطموح

حينا ، والغيرة احيانا ـ حين بلغها نبأ اعتزامه الزواج من «ضرة» أخرى لها هى ابنة سلطان (حماه) ـ الى تدبير أمر اغتياله وهو يسعى ليقضى ليلة غرام فى فراشها !

.. ثم نرى كيف انتقمت منها عـدالة السماء ، فلقيت مصرعها «بقباقيب» الحمام على أيدى « جواريها » ، بأمر غريمتها الزوجة السابقة للمعز !

كل ذلك بعض فصول « القصة » التاريخية الشائقة التى يرويها ـ وفق اسانيد التاريخ الثابتة المحققة ـ المستشرق « ادوين جون ديفيز » فى كتابه القيم الذى سوف أقدمه اليك فى سلسلة « مطبوعات كتابى » حوالى منتصف يناير الحالى ، بعنوان « فرنسا الجريحة ، على ضفاف النيل » !

وأملى أن أكون بذلك قد ساهمت فى تزويد وعى القارىء العربى بصحيفة أخرى من صحائف كفاح مصر ضد الغزاة ، فى شتى حقب تاريخها .. وهى صحيفة مجد وفخار لمصر ، وعار ومذلة .. لفرنسا !

عاشت مصر .. والموت لاعدائها !

حلمى مراد

كتابى

أعداد نفدت

الكتب السنة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ،والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر ، « **عندما تحقد المرأة** » والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطان على الارض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حياة بيتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون « **ترويض النمرة** » والثامن والعشرون « **فن الحب** » ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » ، والاعداد من ٣٦ الى ٥٧

• **وتطلب من ادارة « كتابى » :** ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ماعدا العددين ١٣ ، ١٦ وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر والعدد ٥٧ وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

• **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، أو بالطريقة المبينة فى ظهر هذه الصفحة. وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات « كتابى »

صدر منها حتى الآن :

قصة مدينتين ـ ذات الثوب الابيض ـ الخالدون ـ الخاطئة ـ حياة امرأة (جزءان) ـ الخطيئة الاولى وفتاة من الاقاليم ـ أوديب ـ مدام بوفارى (جزءان) ـ عاشقات فى الخريف ـ قلوب ضالة ـ ديكاميرون (الف ليلة وليلة الايطالية) ـ الظمأ للحب ـ جين اير (ثلاثة أجزاء) ـ فاتنات الرجال ـ رجال ونساء ـ الثأر للوطن

وثمن كل من الاول والرابع والسابع والتاسع عشر ، عشرون قرشا (نظرا لوشك نفادها) والثانى والتاسع والعاشر والحادى عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ١٢ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش ، والثانى عشر ١٤ قرشا ، **خالصة أجر البريد المسجل .**

((كتابى)) يشترى الاعداد الستة الاولى من القراء !

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لايبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. فقد رأت **ادارة ((كتابى)) أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الاولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على ان يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى ((كتابى))

• ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل ، وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) : ٦٥ قرشا — فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز الخ .) ترسل القيمة بشيك على أحد بنوك القاهرة أو بتحويلات عليه ، واذا تعذر ذلك ، ترسل كوبونات دولية فئة ٤٠ مليما ، على ان يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر ، علما بأن الكوبونات الدولية فئة الاربعين مليما تصرف بسبعة وثلاثين مليما فى مصر . وتحتسب القيمة بما يوازى ١٤٠ قرشا (عن سنة) و ٧٥ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا والمانيا واستراليا الخ . قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) و٨٥ قرشا (عن نصف سنة) خالصة أجر البريد المسجل بخلاف اجر البريد الجوى

دار الهنا للطباعة والنشر — تليفون ٤١٧٠٥

..وطلع الفجر!

قصة مصرية بقلم: محمد بدر الدين خليل

كانت الطلقات تدوى فى الشارع ، فيرتطم بعضها بحواف النافذة أو بجدران المبنى .. ولمحت « سنية » وميض الرصاصات العالية يشق الظلام الذى لف (بورسعيد) اذ انتشر الدخان المتصاعد من الحرائق ..

ووقفت حائرة بين النافذة وباب الغرفة التى كانت تقوم خلفها، وبين باب المسكن .. ثم سمعت الاقدام الثقيلة تكاد تدك السلم ، فأدركت انهم قادمون ، وان قدومهم معناه الموت .. وقد لا يكون هذا الموت لها ، ولكنه بلاشك لذلك الشاب الغريب الذى لجأ الى دارها ، والذى كان يبحث لنفسه فى تلك الأثناء عن مخبأ فى مخدعها ..

وألقت نظرة الى داخل الغرفة ، فاذا الشاب يحمل بندقيته ، ويقف حائرا ، وكأنه متردد بين الاقدام والاحجام . وقال أخيرا :

— لا مفر .. اننى آسف اذ جررتك معى الى هذا المأزق .

وتأملته .. كان فى غضارة الشباب .. وكان مليحا . وخفق قلبها رغم الظروف الحرجة .. وللمرة الاولى فى حياتها كان اخفاقه انفعالا بعاطفة بريئة ، طاهرة . من الحرام أن يموت هذا الشباب المتفجر حيوية !

وعاد الشاب يقول : « أعرف انه كان بوسعك أن تسلمى من أذاهم ، بل وأن تحظى بودهم ، ولكن وجودى يفسد عليك كل الفرص .. سامحينى ، فقد كنت أؤدى واجبى كمصرى ! »

وهزتها كلمته الاخيرة ، كما لم تهزها كلمة من قبل .. وعاد قلبها يخفق ، ولكن العاطفة التى حركته فى هذه المرة كانت أكثر براءة وطهرا من العاطفة السابقة .. ووجدت نفسها تقول له : « أو أنت المصرى الوحيد ؟ .. وأنا ؟ »

- ليس فى (بورسعيد) من يجهل كيف كانت علاقاتك بهم فى الماضى !

- اذن فقد عرفتنى ؟.. حسننا ، لقد كان ذلك فى الماضى !

* * *

وتوالت اذ ذاك دقات على باب المسكن .. دقات من فوهات ومؤخرات بنادق تريد أن تحطمه . وامتدت يدا الشاب بحركة غريزية ، تصوبان بندقيته نحو الباب .. وتصاعدت من الخارج لعنات صاخبة بالانجليزية . وفجأة ، أومضت عينا « سنية » .. **لقد ألفت أن يعرف الناس عنها أنها تبيع جسدها ، حتى لم يعد فى هذا غضاضة لها ، فلماذا لا تستغل تجاربها فى هذا الميدان ؟**

والتفتت الى الشاب فجأة وهمست : « ضع بندقيتك تحت السرير ، واخلع ثيابك بسرعة ، ثم اقفز الى الفراش ! »

وتطلع اليها مبهوتا ، فهتفت : « لا وقت هناك .. ان مصر فى حاجة الى كل نفس ، فلماذا تفرط فى نفسك ؟ »

ودفعتـــه الى الداخل ، وأسرعت بدورها فتجردت من ثيابها . وكان باب المسكن قد تداعى فى تلك الاثناء فاختطفت قميص نوم أسبغته على جسمها ، ووقفت بباب الغرفة تنظر فى هلع الى الوجوه الحمراء التى بدت فى فراغ باب المسكن ، وقد ارتسمت على أساريرها وحشية الحيوانات

وهتف جندى من المعتدين : « أوه !.. وليمة دسمة ! »

فأجاب آخر : « أترانا أخطأنا المسكن !.. اننى متأكد ! »

وصاح ثالث : « واحسرتاه !.. ان الوقت غير منـــاسب للهو ! »

واقبل اذ ذاك ضابط أفسح الجنود له الطريق ، فصاح :

« اين ذلك الجبان ؟ » .. وتمالكت « سنية » نفسها أخيراً ، فتظاهرت بأنها تسوى الغلالة ، كاشفة عن جزء من جسدها الفاتن فى اغراء كانت تجيد فنه ، وقالت : « ما الذى تبغون ؟» . فتقدم الضابط مشهرا مسدسه ، وصاح : « اسمعى .. لا وقت لدينا .. » ، وأمسك دون أن يتم جملته ، وحملق فى وجهها ثم هتف : « اوه !.. سونيا ! » . وتفرست هى بدورها فيه ثم هتفت : « بيل ! »

ولم تتمالك ـ رغم الموقف ـ أن تطلق فكرها لحظة وجيزة كى يقفز عبر الزمن الى ما قبل خمس سنوات .. وما أعجب الذهن وهو يتمثل فى اللحظة الخاطفة أحداث سنين كاملة !.. وتتابعت الصور امام عينيها كأنها شريط سينمائى فى عرض سريع : سنة ١٩٥٠ بالتحديد .

.. كان الجنود الانجليز السكارى ، الوافدون على المدينة من معسكرات قاعدة القنال ، قد اشتبكوا فى قتـــال رهيب داخل « الكباريه » الذى أنشأته في المدينة بعد انتهاء الحرب وجلاء جنود الاحتـــلال عن مدن مصر الى منطقة القنال .. وتطور القتال بين السكارى الى جنون مدمر كادت « سنية » تروح فى دوامته ، لولا أن دهم البـوليس الحربى الانجليزى الحانة ، وقفز أحد الضباط فأنقذها !

وتوطدت الصداقة بعد ذلك بين « سونيا » ـ كما كانت تلقب نفسها لدى رواد حانتها من الانجليز ـ والكابتن « وليم ستارك » ، أو « بيل » كما كانت تدعوه دون كلفة . واحب « الكابتن » الغـانية ، وتدله فى هواها ، فاستطابت هى من ناحيتها تدلهه ، اذ كان ضابطا فى البوليس الحربى ، ومن رجال المخابرات السرية ، فأتاحت لها صلتها به حمـــاية من عبث الجنود !

* * *

وما كانت « سونيا » لتفلت هذه الفرصة التى ساقتها الاقدار اليها ، ومن ثم قالت فى لهجة حالمة : « أوه ، بيل !.. ها أنا ذى أراك ثانية ! » .. وشد الضابط من قامته وكأنه يوقظ حسه من الاحلام التى نقلته اليها المصادفة ، وقال : « معذرة ، ولكنك تعرفين أننا نؤدى واجبنا ! » .. فقالت وهى تصطنع الضعف الناعم المثير : « وهل واجبكم أن تقتحموا مسكنى ؟ »

ـ انما كنا نطارد أحد أولئك الشياطين الذين يقاوموننا من ابناء بلدك .. ما أظنه لجأ الى هنا ؟

ـ وهل تظن المجاهدين يطمئنون الى ((سونيا)) ؟.. انهم يعتبرونها كالوباء ، لما يعرفونه عن صداقتها لرجالكم ، عند ما كانوا هنا !

وهز الضابط رأسه موافقا ، وقال : « أوه ، حقا !.. ما كان ينبغى أن أنسى أنهم أوسعوك امتهانا وايذاء منذ أعلنوا نقمتهم علينا فى سنة ١٩٥١ .. ولكن ، أحب أن تؤكدى لى .. لا أحد عندك ؟ »

ـ بل عندى شخص .. ولكنه ليس من النوع الذى تطاردونه

ـ لست أفهم !

وأشارت اليه ، ثم تنحت عن باب الحجرة ، فأطل برأسه وبنادق رجاله تحميه . ثم رد رأسه بسرعة وقد تضرج وجهه ، وقال متلعثما : « اوه ، معذرة .. اهو .. ؟ » ، فقالت دون ان تنتظر انتهاء سؤاله : **((أجل .. عميل ! .. ان جنود الشيطان يعرفون ان ساعات الحياة قصيرة ، فيأبون أن تضيع دون متعة !.. انهم يتركون المتاعب فى سبيل اللذات .. ليسوا**

كجنود عبد الناصر ! »

وكأنما كان للاسم فعل التيار الكهربائى ، فهز ذهن الضابط ونبهه الى ان الوقت يمضى ، مفسحا لطريدهم فرصة الافلات . واستدار بسرعة الى رجاله ، وقال : « لقد ضللنا ذلك الشقى .. هيا . أسرعوا ! » .. ثم التفت اليها وقد بلغ الباب ، وغمز بعينه قائلا : « سأراك فيما بعد يا سونيا ! »

* * *

ونهض الفدائى من الفراش ، فارتدى ثيابه ، وخرج الى بهو المسكن . وفوجىء بالمرأة التى رآها أمامه .. كانت غريبة عنه ، لا تكاد تشبه « سنية » المتبذلة فى شىء . كانت تقف أمام النافذة ، تسرح بصرها خلال الفضاء الذى خيم عليه دخان الحرائق .. وكان كل ما فيها جامدا ، عدا وجهها الذى راحت عضلاته وأعصابه تختلج فى عنف نم عن حدة الانفعال الذى كان يجتاح نفسها ..

وما كان أغرب ذلك الانفعال ، رغم كثرة ما عرفه وجهها من انفعالات العواطف ، والنزوات ، والشهوة ، والجشع ، والخبث ، والشر .. كان انفعالا غريبا .. فيه صرامة ، وفيه عزيمة ، وفيه رجاء .. وكان أغرب ما فيه انه لم يكن يشع على الوجه وهج النار والشر ، وانما كان يعكس بريقا من النور والجلال !

ووقف ساكنا فى مكانه يرقبها .. لم تكن تشعر به ، بل بدت وكأنها لم تكن موجودة .. كأن جسدها استحال الى تمثال جامد ، أما الروح ؟ !.. وفجأة ، دوى هدير انفجار قاصف ، فاذا الروح ترتد الى الجسد الجامد ليعود اليه الحس ، ويفطن الى ذلك الدوى ..

واجفلت على الرغم منها ، ثم رجعت عن النافذة . وارتعد جسدها حين رأت الشـاب الماثل أمامها .. ولكنها سرعان ما تذكرته . ودهشت .. لقد نسيت وجوده تماما ، وكأنها خلال الدقائق التى قضتها أمام النافذة ـ لتطمئن الى انصراف الجنود ـ قد غابت عن العالم دهرا !

وقال الشـاب متلعثما : « آسـف .. ما كنت ارجو ان أزعجك !.. لقد أردت أن أطمئن الى انصرافهم ، فأعود الى الحجرة لاخذبندقيتى ثم أنصرف فى سكون دون أن تشعرى ! »

وكانت عيناها مسددتين اليه ، ولكن نظراتها كانت تهيم محومة حول أفق بعيد ، غير مرئى . واستطرد الشاب يقـول مكملا حديثه : « ولكن شيئا فى مظهرك سمرنى فى مكانى ! » .. وصمت محرجا . كان جليا أن لديه مزيدا من الحديث ، ولكنه حار فى التعبير عنه.، وخشى أو خجل من ازجائه .. وفطنت « سنية » الى صمته ، فقالت : « امض فى الحديث .. أرجوك ! »

ـ وهل .. وهل يهمك هذا الحديث فى شىء ؟

ـ ان فى كلماتك .. أو لعله فى صوتك ، أو فى نبرتك .. لست أدرى ، ولكننى أحس وأنا أنصت اليـــك بشىء يجمع الافكار المختلطة فى رأسى وينسقها .. تماما كضابط الايقاع حين ينسق الانغام !

ـ و .. هل .. أقول كل ما بنفسى ؟

ـ وبصراحة !.. لقد عشت أكثر من اثنتى عشرة سنة من عمرى دون أن أسـمع غير الزيف ، والملق ، والغش .. لذلك أشعر عند ما أسمع حديثك بأننى أرتد الى ما قبل تلك الاعوام الاثنى عشر .. الى السذاجة البريئة التى كنت أعيش فيها وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى ، قبل أن التقى بالذئب

الذى نهش براءتى ، وخلف فى نوعا من « الكلب » جعلنى انطلق فى الحياة مسعورة ..

* * *

وبهت الشاب .. كان حديثها أغرب من مظهرها الذى سمره فى مكانه عند ما غادر الغرفة .. وكانت نظراتها أغرب من مظهرها ونبراتها معا .. وخيل اليه أنها أشبه بمعدن يغلى فى بوتقة على نار تصهره !

وقال الشاب أخيرا : « اسمعى اذن ما لدى .. لقد عرفتك من قبل ، وكنت ككل شاب فى مثل سنى يرى أنوثتك التى تبدعين فى اظهار مفاتنها ، فلا أتمالك من ان اشتهيك .. **ولكننى ، ككل مصرى ، نشأت على كراهية الانجليز لانهم مصدر كل بلاء فى بلدى ، ومن ثم اعتدت أن أحتقرك لما كنت أعرفه - وكانت المدينة كلها تعرفه - من علاقاتك بهم !.. وكان الصراع بين الاشتهاء والاحتقار .. بين الحيوانية الخسيسة والقومية النبيلة .. كان هذا الصراع يعذبنى ، فكنت أكرهك لانك سبب عذابى ! »**

ولم يطرف لها جفن ، ولا اختلجت فى كيانها جارحة ، كل ما هنالك أن شفتيها انفرجتا فى هدوء ، لتنبعث منهما كلمتان هامستان : « حسنا .. وبعد ؟ » .. فتابع الشاب حديثه قائلا وكأنه لم يسمع همسها :

- وعند ما تعقبنى الانذال ، واضطررت الى أن ألجأ الى هذا المسكن ، لم أكن أدرى انه مسكنك .. وتوقعت أن تسلمينى اليهم ، ولكن وميض عينيك كشف لى عن جزء من أغوار نفسك ، فخيل الى اننى ارى روحك كمصرية .. كانت قابعة فى الاعماق ، مستكينة تحت سلطان روحك كأنثى وغانية ..

ثم خيل الى أنها بدات تنتفض وكأنما كانت طرقات الكلاب على الباب توقظها .. فلما أمرتنى بأن أخلع ثيابى وأقفز الى الفراش ، تخاذلت الهواجس ، ولكن الصراع القديم فى نفسى انتبه ، فقلت فى نفسى : « حتى فى خيرها ، تسلك مسلك البغى ! » .. وتغلب الاحتقار والكراهية ، حين سمعت الحديث يدور بينك وبين الضابط فى ألفة ، ففقدت رجائى فيك وتوقعت أن تسلمينى اليهم ، ولكنك لم تفعلى .. ترى هل لى أن أسألك : لماذا ؟

وظلت برهة فى جمودها ونظراتها الشاردة .. ثم قالت اخيرا : « لماذا ؟ ! .. اننى أسائل نفسى كما تسألنى ، ولكننى لا أدرى .. كل الذى أدريه اننى كنت أعيش فى نقمة حالكة مدلهمة .. لقد تنكر لى أبى من أجل زوجته التى احتلت مكان أمى فى أحضانه ، فكانت هذه أولى بذور كراهيتى للرجال وللمجتمع .. وكانت البذرة الثانية يوم نهش عرضى ذلك الذئب الذى حدثتك عنه .. ثم كانت بذور وبذور ، عندما اضطررت الى أن أبيع جسدى فى سبيل القوت ، فلم ألبث أن استغللت هذا البيع للانتقام من الرجال والمجتمع على السواء .. وجاءت الحرب فارتقت بى من حى البغاء الى « كباريهات » القاهرة ، فبدأت لونا جديدا من الانتقام .. انتقام مزدوج ! .. كنت أنتقم من الجنود الانجليز كرجال .. **وكنت أنتقم منهم لشعور من البغضاء لم أكن أدرك فى البداية كنهه ، ولكنه كان يبدو مختلطا بالطين الذى خلق منه جسدى .. طين الوطن الذى دنسوه بأقدامهم عندما احتلوه .. وطين الجسد الذى كانوا يلوثونه بعناقهم . ولكننى لم أكن أعرف كيف أحلل شعورى ، وأصفه كما أصفه الآن ! ..** وكان الناس لايدرون سببا لتبذلى فى صداقة هؤلاء الاعداء ، فنبذونى . ولم يكن عقلى الضيق يتسع لكى أدرك ذلك ، فنقمت عليهم هم الآخرون

.. هكذا كانت حياتى كلها .. غابات من النقمة تلف نفسى بظلال قاتمة ! »

وزفرت سنية الاسى الذى كان يجثم على صدرها ، واستطردت : « وعندما ألقى أولئك الأوغاد حممهم على المدينة ، خيل الى أن رجاتها أخذت تهز كيانى بأسره ، فتخلصنى كل هزة من كوابيس كانت ترين على نفسى .. فلما اندلعت النيران ، خيل الى اننى أرى على وهجها حقيقة هذه النفس التعسة ، ولكن الدخان كان يعشى بصيرتى ، فلم أستطع أن أتبين بجلاء تلك المشاعر التى استيقظت فى أعماقى فجأة ، وراحت تجاهد فى سبيل الانطلاق .. ثم سمعت طرقاتك على الباب ، ورأيتك تندفع داخلا تنشد مخبأ .. وكأنما كان مقدمك شعاعا ثاقبا من ضوء مرق فى أعماقى فبدد الدخان ، ونفذ خلال ظلال غابات النقمة الحالكة .. وتجلت لى على هذا الضوء حقيقة نفسى ، وتبدد فى اشراقته كل حقد عدا الحقد الذى يملأ كل صاحب بيت حين يرى بيته يقتحم .. **وتمثلت لى فى شخصك كل المعانى : الوطن ، والاخوة ، والعشيرة ، والدفاع** .. لست أدرى لماذا لم أسلمك اليهم ، ولكن .. هذه كانت مشاعرى ، فلعلك واجد خلالها جوابا ! »

* * *

وران عليهما صمت طويل .. ثم التقت نظراتهما ، فأخذ كل منهما يحاول ان يغوص فى عينى الآخر الى اغوار نفسه .. ونبههما صوت طلقات متبادلة ، فقال الشاب : « هاهم اخواننا قد بلغوا هذا الشارع .. سأهبط لانضم اليهم ! »

واعترضت سنية طريقه قائلة : « وانا ؟ .. أليس لى من دور ؟ »

وتبدت عليه الحيرة ، فعادت تقول : « لابد من أن اقوم

بشىء .. ان لى من الدوافع اكثر مما لأية مصرية من بنات المدينة ، بل ان لى من الحوافز أكثر مما لأى مصرى ، فالى جانب الذود عن الوطن ، أريد أن أنتقم .. **أنتقم لجسدى الذى انتهكوه ، ولكرامتى التى فقدتها فى أحضانهم ، وللحرمان والازدراء اللذين عانيتهما من مواطنى بسبب علاقاتى بهؤلاء الانجاس ! »**

فقال الشاب متعجلا : « أريد أن أبادر أولا الى مشاركة أخوانى » .. فتشبثت به قائلة : « بل ساعدنى أولا على تعرف الدور الذى يمكن أن أقوم به .. انك تريد أن تساهم مع اخوانك ، فلماذا لاتساهم معى أنا الاخرى .. اننى أيضا أخت لك ! » .. فهتف : « اذن ، دعينى أولا البى نداء الطلقات » .. فقالت :« خذنى معك اذن ! »

ـ ولكن هذا قتال .. وليس معك سلاح !

ـ سأقاتل بأظافرى وأسنانى اذا استدعى الامر ،مادمت لا أعرف لنفسى دورا .. ان اخوانك كثيرون .. كل أهل المدينة يجاهدون ، فلن يوهن دفاعهم غيابك ، ولكننى هنا أحارب وحدى .. أحارب الحيرة التى تستولى على نفسى ، والندم الذى يغزو قلبى على ما أسلفت ، والجبن الذى يعترض نقمتى على الاعداء .. الجبن الناشىء عن طول ماعهدت من ازدراء مواطنى لى !

وكان فى لهجتها شىء مس شغاف قلبه .. شىء لم يدر كنهه ، ولكنه أحس به ينفذ الى أعماقه ، ويسيطر على مشاعره وعلى ارادته ، وعلى تفكيره !.. وقفز الى ذهنه خاطر : « حقا ، لماذا لا يساعدها على أن تقوم بدور فى الجهاد .. انها مصرية ، لها مثله حق الجهاد .. رغم كل شىء ! » .. وقفز اثر هذا خاطر ثان : « **بل ان لها امكانيات قد لاتتاح لسواها .. انها صديقة لضابط لن يساوره قط أى تفكير فى انها هى الاخرى**

تذود عن بلادها !.. ثم ان لها فنونا تستطيع أن تكسب بها ثقة الغادرين ! »

واقترب الرأسان ، وطال الهمس .. وعندما قدر للشاب أن ينصرف فى النهاية ، قالت له سنية : « احترس لنفسك .. من أجل مصر .. ومن أجلى أنا الاخرى ! .. رافقتك السلامة يا أخي ! »

وقال الشاب : « سأدبر كل شىء ، أستودعك الله يا .. اختى ! »

وتردد فى أعماقها لكلمة « اختى » رنين عذب ، ناعم ، حبيب !

* * *

وأقبل الكابتن « وليم ستارك » فى اليوم التالى .. وأقبل فى أيام تالية . وعاد يفرض حمايته على « سونيا » ، فاطمأن اليها زملاؤه ، واخذوا يترددون على مسكنها وحانتها ــ التى عادت تفتح أبوابها ــ ينشدون شيئا من التسرية يخفف وطأة التوتر الذى فرضته الاحداث الاخيرة . وأجهدت « سونيا » دهاء الانوثة ما استطاعت لابتكار الحيل التى تعفيها من أن تمتهن جسدها لانجاس كان حقدها عليهم يشتد استعارا يوما بعد يوم .. **ولم تكن الحيل عسيرة ، فقد أمدت الطبيعة المرأة بمبررات كثيرة تصد عنها الرجال ، ولكن تكلف الود والملاطفة هو الذى بدا شاقا على « سونيا » لاول مرة فى حياتها .. حياة الغانية التى تجيد اقتناص الرجال !**

ومع ذلك ، فان الظروف كانت تعاونها .. كانت المقاومة القاسية التى يلقاها الغادرون فى المدينة تنهك أبدانهم .. وكان الخوف والقلق والشعور بالكراهية ، التى تحيط بهم ، تصليهم

وترهق أعصابهم .. فكان فى مجرد البعد عن هذا الجو الفظيع ، وصحبة امرأة وزجاجة شراب ، ما يكفى ! .. كانت الحياة شاقة عليهم فى المدينة التى خالوا أنهم استولوا عليها ، فاذا هى التى استولت عليهم ، واذا هم فيها أشبه بالمسجونين فى معتقل سلطت عليهم فيه نيران الحقد وسموم الكراهية ! لذلك كان الفرد منهم يأنس الى المرأة لمجرد سماع صوتها ، وتحسس بشرتها الناعمة مكتفيا بالمداعبة .. وكان يجد فى الخمر ما يوفر له بقية جو النعيم الذى تهفو اليه نفسه المضناة ، فيعب منها بلا حساب !

وفى هذا الجو ، ينسحب الحذر من تصرفات الرجال عادة . فالرجل لا يهمل حذره فى أى وقت قدر ما يفعل حين يجلس الى امرأة وكأس ، وهو مكدود الاعصاب ، مرهق الفكر ، مجهد المشاعر .. ومن هنا سهل على « سنية » أن تستدرج رواد مجلسها الى أن ينطلقوا فى الكلام ، وأن تنقل انباءهم الى المجاهدين .. ومن هنا سهل عليها أيضا أن تستدرج الكثيرين الى مختلف المصائر ، بالتعاون مع أبطال المقاومة الشعبية . ولكنها لم تتصل قط بهؤلاء اتصالا مباشرا ، بل جعلت صديقها الفدائى الشاب رسولا بينهم وبينها .. اذ كان يخيل اليها أنها لم ترق بعد الى مستوى النقاء الذى لا يعكر جوهم الطاهر !

وبدات قيادة العدو الغادر تحار أمام الاحداث المتتالية .. كان بعض الضباط يقضون نحبهم ، ثم ينكشف أنهم قد تعاطوا سموما بطيئة .. وكان بعض آخر يتغيبون عن معسكراتهم أياما ، رغم الاوامر التى كانت تحتم على غير المكلفين بواجبات أن يأووا الى معسكراتهم مع غروب الشمس .. وكان منهم من يعود وقد استولى عليه ذهول تام ، أو فقد ذاكرته .. ومن لا يلبث أن يوجد بعد فترة ملقى بين الخرائب

وقد فارق الحياة .. ومن لا يعود .. اطلاقا !

* * *

وفوجئت سنية يوما بحملة من الجنود الانجليز تقتحم مسكنها ، فتقلبه رأسا على عقب ، ثم تنصرف دون أن تعثر على شيء !

وأدركت « سنية » أن ثمة شبهات بدأت تحوم حولها ، فبادرت تحاول أن تنبه ذلك المجاهد الذى آخت الاحداث بينها وبينه ، ولكنها لم تستطع أن تتصل به .. وتوالت التطورات سريعة ، اذ أقبل « ستارك » فى المساء وعلى وجهه أسارير متجهمة . وتلقته سنية ببشاشتها المألوفة ، وأسرعت تعانقه ، ولكنه دفعها عنه ، وقال وهو يجلس واضعا مسدسه فى متناول يده على منضدة قريبة : « كفى تمثيلا يا سونيا ، واكشفى عن حقيقتك ! »

وحملقت فيه مأخوذة ، ثم قالت فى تغاب : « لست أفهمك ! .. ماذا بك اليوم ؟.. أى تمثيل وأية حقيقة ؟ » .. فجز « ستارك » على أنيابه ، وقال فى لهجة حاسمة وهو يحاول ان يسيطر على انفعاله : « قلت كفى تمثيلا ، وانك لتفهمين ما أعنى ! » .. فقالت فى تلطف : « يا مسكين ! .. يبدو أنك محموم ، أو لعل زمام أعصابك قد أفلت منك ! »

— اذا لم تكفى فورا عن هذا التمثيل ، فسوف أقتلك .. ولكننى أريد أن أترك لك فرصة للنجاة !

— **لا بد أنك أصبت بمس من الخبل !**

— لا ، ولكننى أثناء تتبعى حوادث الاختفاء الاخيرة ، عثرت على خيط يمتد الى بابك هذا ..

— **ولكن مسكنى بلا باب .. هل نسيت أنكم هشمتموه ؟**

ـ دعى عنك هذه المحاولات يا سونيا ، فهى لن تجديك .. لقد تبينت أن عددا من الضباط الذين ماتوا بالسم ، أو أصيبوا بالذهول ، أو وجدت جثثهم فى بعض الشوارع ، أو اختفوا ولم يظهر لهم أثر .. ان عددا من هؤلاء كانوا من الصفوة المقربة اليك .. انك تفهمين ما أعنى .. كانوا من رواد مسكنك هذا ! »

ـ وماذا فى ذلك ؟ .. من قال اننى اضمن حياة من يزورنى ، بعد مبارحة مسكنى !

ـ ان فى هذا المسكن أمورا أثارت ريبتى فى مناسبات عديدة ، ولكن حبى لك وثقتى فيك كانا يضللانى ..

وتبدى الغضب على سنية ، فصاحت : « بيل ! .. لست أسمح لك بالتمادى فى هذا السخف ! » .. فصاح مستشيطا : « بل أنا الذى لا أسمح لك بالتمادى فى الخداع .. لقد راقبت مسكنك بنفسى وببعض أعوانى ، واستطعت أخيرا أن أتبين أن شابا من أعدائنا يتردد عليك ! »

ـ اذن فلهذا فتش زملاؤك المسكن اليوم .. فماذا وجدوا ؟

ـ انهم لم يجدوا شيئا .. ولكنى واثق مما أقول ، وقد جئت الآن أعرض عليك فرصة للنجاة ! .. ارشدينى الى ذلك الشاب ورفاقه ، أضمن لك السلامة ، بل أبادر بالعمل على اخراجك من بورسعيد سرا ـ عن طريق بحيرة المنزلة ـ الى حيث لا يدرى احد شيئا عنك .. أو ان شئت وضعتك تحت حماية قواتنا ، ونقلتك مع المهاجرين من رعايانا !

* * *

وكانت يده لا تبرح المسدس الموضوع على المائدة ، وأساريره تنم عن عزم وصرامة لا يلينان .. أما سنية فكانت

تقف امامه ، فراحت تتفـــرس فى وجهه وقد ضـــاقت حدقتاها ..

وظال الصمت بينهما .. صمت رهيب مثقل بالتوتر . وعاد الضابط الانجليزى يقول : « انهم لن يتغلبوا علينا ، ولن يلبثوا أن يكفوا عن أعمالهم أونبيدهم عن آخرهم ! .. ان فقدان مائة أو ألف من رجالنـا لن يثنينا عن عزمنا .. نحن الأبقى ، فمن الخير لك أن تكسبى ودنا . لقد طالما غمرناك بخيرنا ، فى الوقت الذى كان مواطنوك يحتقرونك فيه ! »

ولم تعد « سنية » تطيق مقاومة الحنق الذى كان يغلى فى اعماقها ، فانفجرت قائلة : ((**يالك من ساذج ! .. ان هذا الخير الذى تعيرنى به لم يكن سوى عصارة الدماء التى امتصصتموها من بلادى !**)) .. وبقى باردا ، برود المحقق الذى خبر أساليب استدراج غريمه .. وقال : « فليكن ! .. ليس ذنبنا ان وجدنا قــوما يخنعون لنـــا ، وينصاعون مستسلمين ونحن نمتص دماءهم ! »

— لا ، لم يكن القـــوم هم الخانعون ، ولكنكم وضعتم على أفواههم وأنوفهم كمامات كادت تخنقهم ، وشلت حراكهم .. كمامات تمثلت فى اولئك الذين كنتم تقيمونهم على حكم البلاد من صنائعكم . فلما قدر للقوم أن يزيحوا هذه الكمامات ، وأن يلقوا بآخر هؤلاء الحكام الى خارج البلاد ، انتفض قومى كالمارد وألحقوكم بذلك الحاكم ، اذ أجبروكم على الجلاء ..

فقال وهو سادر فى بروده : « ولكننا عدنا ! »

فصاحت وهى تنتفض ، وقد ثارت فى نفسها العزة التى كانت قابعة فى سكون اعواما طويلة : ((**ولن تلبثوا ان تخرجوا .. لقد انطلق المارد الذى طالما حبستموه فى قمقم ضيق ، ولن يقدر لقوة أن ترده الى القمقم !**))

ـ عجبا .. أرى أنك وعيت دروس ناصر ؟ !

ـ ان عبد الناصر هذا ليس سوى رمز للمصرى بعد أن فطن الى كرامته ، وتذوق حريته من جديد .. كل مصرى منا عبد الناصر اذا شئت !

فقال وكأنه يسكب ماء مثلوجا على ثورتها : « حتى المومسات ؟ »

ولكن البركان الذى ثار فى جوفها كان أعتى من أن يطفئه الماء البارد ، فصاحت : **« ان النيران التى سكبتموها على المدينة قد صهرت جميع النفوس .. حتى نفس المومس ، أزال اللهب عنها صدأها ، فاذا هى تلمع ببريق العزة والكرامة والوطنية ! »**

❊ ❊ ❊

وأدرك ضابط المخابرات العريق انه لن يستطيع ان يحطم مناعتها من هذه الناحية ، فتحول محاولا أن يخترق استحكاماتها من ناحية أخرى ، وقال : « آسف ! .. لم أكن أريد أن أمس شعورك .. انك لتعرفين اننا درجنا على احترام الشعور والكرامة ، ولكن المحن التى نلاقيها كافية لان تضعضع الأعصاب !.. انك لتعلمين اننى أحبك يا سونيا ، وهذا الحب هو الذى دفعنى الى أن أعرض عليك فرصة النجاة !.. ان انسحابنا من هنا لن يعنى سوى اشتداد تحكم جهاز الحكم الراهن فيكم ، ولدينا من الأدلة ما يؤكد انه فى غير صالحكم .. »

ورمقته سنية فى ازدراء ، وقالت: **« لن أتيح لك حق المناقشة فى هذا الأمر ، لأننى أريدك على أن تفهم انه من صميم شئوننا نحن .. وما أظنك تزعم ان مصريا واحدا دعاكم الى أن تقيموا من انفسكم قضاة على نظام حكمنا ! »**

ـ هذه فلسفة جديدة .. ولن أناقشك فيها أنا الآخر ، ولكنى أحب أن أؤكد لك أن هذه المقاومة التى يبديها بعض الأشقياء لن تلبث أن تخمد ..

ـ وهل سمعت أن النار المقدسة تخمد ؟

ـ بعض العلماء يقولون ان كل نار ـ حتى نار جهنم ـ صائرة الى خمود !

ـ ولكن نار الحرية لا يمكن أن يصيبها الخمود !

وأحس بحرج أوشك أن يضيق له صدره ، فقال متعجلا الخروج من هذا الحرج : « مرة أخرى أؤكد لك يا سونيا اننى جئت أعرض عليك فرصة النجاة .. ان أحدا لا ينصت الى حديثنا ! » ، فقالت : « لدينا مثل شائع يقول ان للجدران آذانا ! »

ـ اذن ، سأهدم هذه الجدران بعد أن تقولى ما عندك .. أرشدينى الى ذلك الشاب الذى يتردد عليك ، والى رفاقه ، أضمن لك حياة آمنة !

ـ قد تهدم جدران البيت .. ولكن هناك جدرانا أخرى .. جدران هذا الصدرالذى يقبع خلفه ضمير يتبعنى ما عشت !

ـ هناك أساليب كثيرة للتخلص من هذا الضمير

ـ هذا ما لاحظت أنكم تجيدونه ، لأن ضمائركم ضمائر بغاة معتدين .. أما نحن ، فلا سبيل الى التخلص من ضمائرنا ، لانها ضمائر مظلومين يدافعون عن حقوقهم ، ولا يبغون عدوانا على حقوق أحد !

ـ أرى أنك تعلمت الفلسفة خلال الشهور القلائل التى غبناها !

ـ سمها فلسفة اذا شئت . أما أنا فأفضل أن أصفها بأنها الشعور بالانسانية والقومية والكرامة ..

* * *

واشتد ضيقه حتى أوشك صبره ان ينفد ، فصاح كمن يبذل مجهودا اخيرا : « ان الفرصة سانحة امامك .. ولست أطلب سوى كلمات قلائل .. أؤكد لك ان هذا الضمير الذى تخافينه لن يسمعها ! »

ـ يبدو انك لا تعرف شيئا عن ارهاف الضمير الحى ..

ـ اذا أصررت على عنادك ، فان رصاصة من مسدسى هذا كفيلة بأن تقتل هذا الضمير ..

ـ ولكن سيبقى ضمير آخر ، أكبر منه وأعز : ضمير مصر .. وضمير آخر أكبر منهما : ضمير الانسانية التى تبرأ من باغ يقتل امرأة عزلاء !

وفى هذه المرة ، كانت أعصاب الضابط قد أفلتت منه وسيطرت عليه ، حتى أنه لم يكن يعى ما يفعل .. كانت ثمة غريزة راسخة الجذور فى نفسه ، هى التى راحت تملى عليه أفعاله ، كغريزة الوحش الذى يقتل لمجرد رؤية الدماء ، ولو كان غير جائع .. فقد ارتفعت يد « ستارك » بالمسدس ، فلم تتراجع سنية ، بل كشفت له عن صدرها ، وصاحت فى نبرات متهدجة ، كأنها هدير شلال عارم ينحدر من نبع أصيل : « **اضرب ان شئت .. ولكنك مهما تتجرد من انسانيتك ، فلن تصل الى بغيتك . ولن تجد منا اليوم من يرهب القتل فيشى بوطنه !** »

وصاح فى صوت أجش يخنقه الاضطراب : « سونيا !..

انني أمنحك الفرصة الاخيرة .. أتعرفين كم الساعة الآن ؟.. لقد تجاوزت الثالثة صباحا ، ولم أعد أطيق أن أضيع مزيدا من الوقت فى هذه المهزلة .. انني أمنحك الفرصة الاخيرة.. سأعد ثلاثة ، فاذا أصررت على عنادك ، أطلقت النار عليك ! »

وصاحت فى قوة : « لا حاجة بك الى العد .. اطلق ! »

ولكنه لم يحفل بجوابها ، بل قال : « واحد .. اثنان.. »

وفى تلك اللحظة انبعث من خارج المسكن طلق نارى .. وبحركة غريزية ، ضغطت أصبع الضابط زناد مسدسه ، فدوى صوت طلق آخر .. وتوالت الطلقات من الخارج ، فهوى « ستارك » جثة هامدة .. واندفع الى داخل المسكن شاب تلقى سنية بين ذراعيه ، قبل أن تهوى الى الارض ، وهتف بها: « تجلدى .. أرجو أن لاتكونى قد أصبت بضرر كبير .. انهم لن يلبثوا أن يأتوا على أصوات هذه الطلقات ، لذلك يحسن بنا أن نسرع بالفرار ! »

وقالت المرأة : « بل أظنها اصابة قاضية .. انج أنت بجلدك قبل ان يأتوا »

ولكن الشاب حملها بين ذراعيه ، وأسرع يغادر الدار ، محتميا بجدران الدور ، وكل همه ان ينتقل بحمله من الحى الافرنجى الى حى العرب . ولو انه كان وحيدا ، لسهل عليه التسلل ، ولكن الحمل كان ثقيلا ، والطريق محفوفة بالمخاطر .. وتباشير الفجر توشك أن تكشفه لاى مترصد أو مطارد .. وزاد من حيرته وأساه أن الدم كان ينزف بقوة من جرح المرأة ، حتى أحس به يخضب يديه ، وينحدر الى قدميه ..

***

وبلغ أخيرا اطلالا متهدمة ، فتردد برهة ، ثم تسلل بحمله

الى جوفها ، حتى اهتدى الى ركام كبير كاف لان يخفيهماعن الانظار ، فأسلم حمله فى هدوء ورفق الى الارض ، وانحنى هاتفافى لهفة واجفة : « سنية ! »

وواتاه صوتها هامسا ، متقطعا : « **يا أخى .. لقد جشمت نفسك العناء .. فى غير جدوى .. فما أرى الا .. اننى .. سأموت ! »**

وهتف فى رجاء ، وكأن الامر بيدها : « لا يا سنية .. لاتموتى ! » .. فقالت وأنفاسها متقطعة : « لقد أصاب .. النذل .. منى .. مقتلا ! »

ـ بل أنت واهمة .. وقد يشجعك أن تعرفى أنه مات !

ـ اكم كنت أتمنى أن أبصق على جثته !

ـ ان بصقتك شرف يجب أن لا يشيع به !

ـ لقد كفرت عن كل ما مضى .. قدمت أولئك الانذال الذين تعاونوا فى القضاء عليهم قربانا .. وها أنذى أغسل بدمى ما تبقى عالقا بى من عار ..

وكانت اضواء الفجر تغزو الكون ، فأجالت بصرها على قدر ما استطاعت ، وتنهدت ، ثم قالت : « **آه .. ما أجمل الفجر ! .. لكم وددت يا أخى أن أعيش ، حتى أشهد الفجر الاكبر .. الفجر الذى يعقب انقشاع ظلام هؤلاء البغاة !** »

وانحنى عليها اكثر من ذى قبل ، وقال : « ولسوف تعيشين .. »

ـ لا تخفف عنى .. اننى أدرك اننى أحتضر .. ولن أنتظر

اكتمال الفجر الوليد .. اسمعنى ذلك النداء الحبيب مرة أخرى .. قل لى : يا أختاه !

وعاد يهتف بها ضارعا ، وكأنما الامر فى مقدورها : « ستعيشين .. لا تموتى .. يا أختاه ! » .. وأسبلت جفنيها وكأنما انتشت من النداء ، ثم عادت تفتح عينيها ، وتأملت وجهه ، وتمتمت : « وددت لو أعيش .. من أجلك .. لقد كنت أول من نبهنى الى الحياة النبيلة ، والى الشعور السامى .. الشعور بالوطن ، وبالانسانية .. كنت أول من نبهنى الى انسانيتى .. أول من أشعرنى بأننى أخته .. ككل مواطنة شريفة ! »

ـ ولقد أثبت بجهادك أنك من أشرف المواطنات ..

ـ الا قل لهم يا أخى .. قل لهم ان المومس قد تطهرت .. وبرت بأمها مصر .. وارتدت الى انسانيتها !

ـ لا تكثرى من الكلام ، عسى أن يكف النزيف ..

ـ لا تقلق ، فقد اقتربت النهاية .. ولا مفر .. دع الدم يغسل الآثام التى كانت عالقة بى !

وأجالت بصرها فيما حولها مرة أخرى ، وقالت : « آه ، **ما أجمل الفجر !** » .. واختلج جسمها ، فضمها اليه ظنا منه انها تحس بالبرد ، فشاء أن ينقل اليها من دفئه . وتنهدت فى زفرة طويلة ، واهنة ، وتمتمت: « **آه .. ما أبعد العهد بضمة بريئة كهذه .. لقد تطهرت ، فهل لك أن تبارك طهرى بقبلة .. قبلنى يا أخى !** »

وقبلها فى حنان .. وأحست بقطرات ساخنة تسقط على وجهها ، فتمتمت فى فرح تجلى رغم حشرجة صوتها : « أتبكى من أجلى ؟.. ما أسعدنى !.. اننى أموت سعيدة .. بررت بوطنى .. واستردت انسانيتى .. وتطهرت .. وغسلت

بدمى آثامى .. ونعمت بالقبلة البريئة التى لم أحظ بواحدة من نوعها منذ الطفولة ..آه .. منذ الطفولة !..و ..ووجدت أخا يغسلنى بدمعه الطاهر قبل أن يوارينى التراب ! »

واختلج جسمها مرة أخرى فى عنف . وتمتمت فى حشرجة :
« اننى .. أموت .. ولكننى .. سعيدة .. آه ، ما أجمل الفجر ! »

فرنسا الجريحة .. على ضفاف النيل !

فى منتصف يناير الحالى ، تقدم « مطبوعات كتابى » لقراء العربية النص الكامل لامتع كتاب يروى قصة هزيمة فرنسا النكراء فى (المنصورة) عام ١٢٥٠ ، فى عهد السلطانة شجرة الدر ! .. السلاح السرى الذى اخترعه المصريون وفتكوا بواسطته بأعدائهم ! .. شجرة الدر تساهم فى النصر باخفاء خبر وفاة السلطان واستمرارها فى مباشرة السلطة باسمه ! .. أسر ملك فرنسا « لويس التاسع » فى دار ابراهيم بن لقمان ، مقيدا بالسلاسل فى حراسة أحد الخصيان ! ..

والفدية الضخمة (وقدرها ربع مليون جنيه) التى حددتها مصر ثمنا للافراج عنه !.. مهرجانات النصر فى مصر بعد طرد الغزاة .. مصرع السلطان « طوران شاه » بيد مطارديه وهو يسبح فى النيل !.. مملكة شجرة الدر ، وجريمة تدبيرها لاغتيال زوجها « المعز » بدافع الغيرة والطموح !.. شنق القتلة على باب زويلا ! .. مصرع شجرة الدر بقباقيب الحمام بتحريض « ضرتها » الزوجة السابقة للسلطان !

صفحات مجد وفخار لمصر .. وعار ومذلة لفرنسا !

يقدمها لك فى منتصف يناير الحالى ، العدد الجديد من سلسلتك الشهرية :

مطبوعات كتابى

١٠ قروش كالمعتاد ـ احجز نسختك من هذه التحفة التاريخية الخالدة

آدم وحواء بعد طردهما من الجنة .. فى فن الرسم

(اقرأ فى هذا العدد قصة آدم وحواء فى عامهما الأول على الأرض)

آدم وحواء .. على الطبيعة !

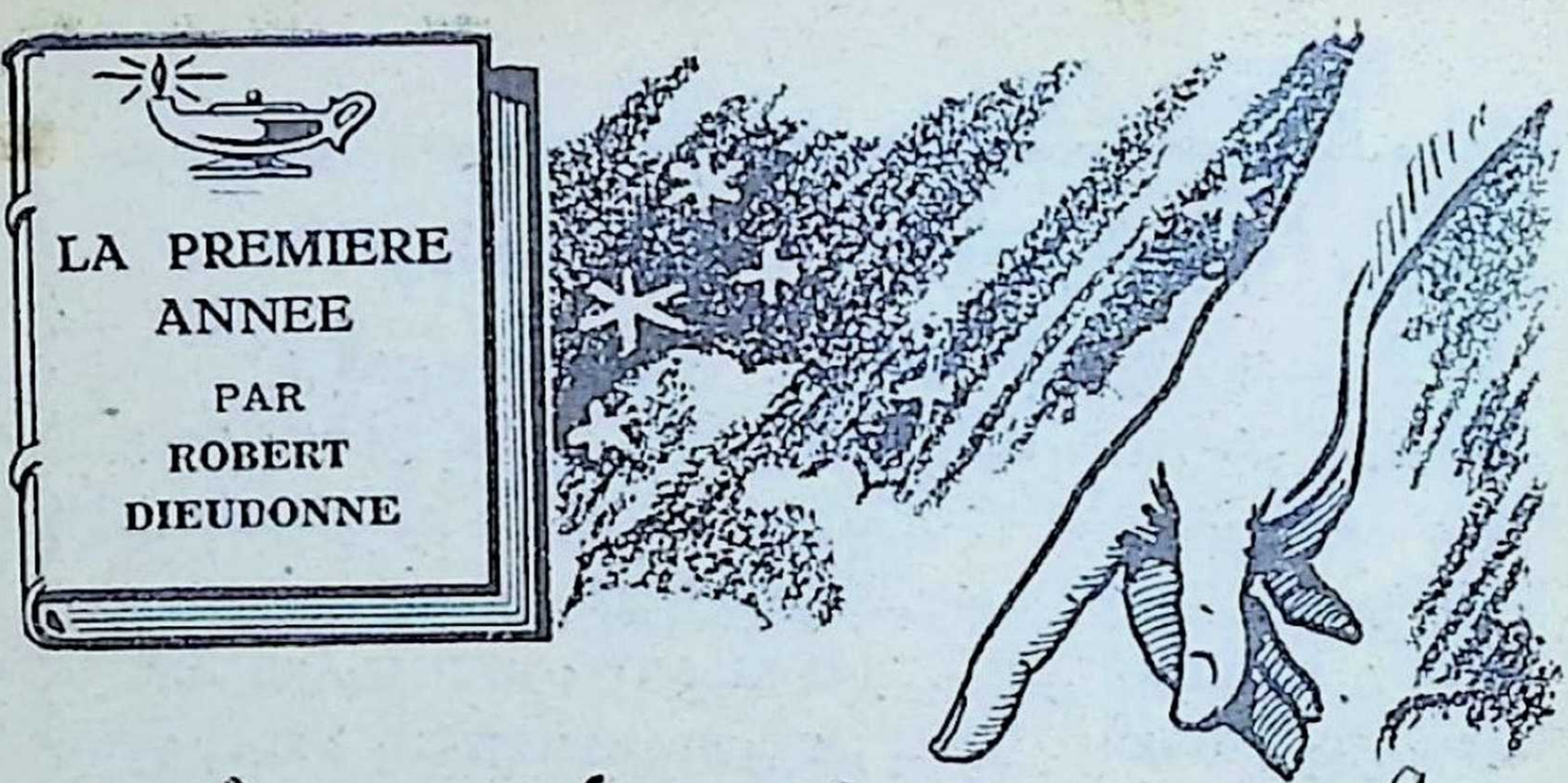

السنة الأولى

كيف عاش آدم وحواء عامهما الأول على الأرض!

للكاتب الروائي "روبير ديودونيه"

تلخيص : وحيد رياض

اذكروا هذا الجهاد .. فى العام الجديد !

• فى مطلع العام الجديد – عام ١٩٥٧ بعد ميلاد المسيح – يسر « كتابى » أن يقدم لقراء العربية قصة العام الاول على الارض .. قصة آدم وحواء بعد طردهما من الجنة .. قصة كفاح الانسانين الاولين ضد الجوع والالم والمرض .. ضد الوحوش الكاسرة التى كانت تنازعهما البقاء ، والطبيعة القاسية التى حاربتهما دون هوادة ولا رحمة ، والجهل المطبق الذى كانا يتخبطان فى ظلامه : جهل بحكمة وجودهما ، وجهل بمعالم طريقهما ، وجهل بمصيرهما ومستقبلهما .. وقبل كل ذلك ، جهل بنواميس الطبيعة البشرية التى وكل اليهما أمر وضع أسسها وجذورها ، لتنمو شجرة الحياة على الارض ، وتبقى شعلة الوجود مستعرة الجذوة ، مضرمة الاوار !

ولقد حفظ كفاح آدم وحواء هذه الشعلة من الانطفاء .. فما أحرى البشر أن يذكروا هذا الكفاح .. ما أحرى أولئك الذين يدابون على حفر قبر الانسانية – فى هذه الايام – أن يذكروا هذا الكفاح ، ليعلموا أن ثمن وجودهم لم يكن بخسا أو هينا ، وليتعلموا كيف يحافظون ، هم الآخرون ، على شعلة الحياة ، فلا يقدمون على تصرف أحمق يودى بها ويحيلها الى رماد وهشيم !

• فى ذلك الصباح ، كان آدم وحواء قد طردا من الجنة !

وكانت حواء هى التى أطلقت الكلمات الاولى على الارض ، اذ نظرت الى آدم الذى كانت تبدو عليه التعاسة ، وقالت : « ماذا تريد ياعزيزى ؟ .. سنعمل ! » .. ثم مضى الاثنان يضربان فى الارض .

وللمرة الاولى ، أحسا بالجوع والظمأ . ولكنهما ، وان وجدا فى الجداول – التى كانت تجرى بين الحشائش – ماء روى ظمأهما ، الا انهما عبثا بحثا عن بعض الفاكهة التى تسكن آلام جوعهما !

ـ حتى .. ولا تفاحة ؟ !

وكانت حواء هى التى نطقت بهذه العبارة أيضا . ورنت الكلمة الاخيرة فى أذنى آدم ، فنظر الى حواء نظرة قاسية ، وقال : « وأى بأس فى هذا ؟ ! » .. فغضت المرأة بصرها وهى تغمغم فى تهكم : « يبدو أن البداية طيبة ! »

واعتلت الشمس عرشها فى وسط السماء ، وأخذت تصليهما من نارها ، فأحسا باعياء غريب عليهما ، وبنوع جديد من الخمول يتسرب الى نفسيهما ، اذ كان الجو فى الجنة معتدلا ولطيفا على مدار الايام ، فكانا ينعمان بربيع أزلى ، وبسماء لايعرف الظلام اليها سبيلا . أما فى ذلك اليوم ، فقد شاهدا الشمس وهى توليهما ظهرها غاربة ـ بعد أن أصلتهما شواظها ـ ليلفهما الظلام بين طياته . تلك كانت ليلتهما الاولى على الارض !

على أن يومهما الاول كان حافلا بمشاهد غامضة استعصت على فهمهما .. فان النباتات التى كانا يطآنها ـ أثناء سيرهما ـ لم تكن تستقيم ثانية . والتهبت قدما آدم ، وتعثرت حواء فى بعض النباتات الشوكية .. وذرفت دمعتها الاولى عندما شاهدت أول نقطة من دمائها ! .. وكانا يشاهدان الزهور وهى تذوى ، فلا يفقهان شيئا . كما كانت الحيوانات تفر لمرآهما ، فلا يزيدهما هذا الفرار الا توجسا وخوفا . وحدث أن انساب شىء على العشب أمامهما ، ظنه آدم ثعبانا ، فقضى عليه بضربة من عصا كان قد اتخذها من فروع الاشجار . وعندما رأى آدم الكائن الصغير وقد توقف عن الحركة ، التقطه ، فاذا به سحلية صغيرة لارمق فيها . وعبثا حاول أن يعيدها الى حالتها الاولى .. ولما يئس ، سألته حواء : « مامعنى هذا ؟ » ، فأجاب : « لست أدرى ! » .. وكيف كان لهما أن يدريا ، وقد كانت تلك هى المرة الاولى التى يقابل فيها المخلوقان الاولان .. الموت !

وفى المساء ، لمحا ذئبا ينشب أنيابه فى حمل ، فارتمت حواء على صدر آدم وهى تتمتم : « اذن .. فهذه هى الحياة ! » .. وغمغم آدم بدوره متسائلا : « أمن أجل هذا أكلنا التفاحة ؟! » ولكنهما لم يتعاتبا ، وان شعرا بالتعاسة والحزن !

***

• **وقضيا** ليلتهما الاولى فى رعب . ولشد ماروعهما ذلك البريق المخيف الذى كان يلمع فى أعين الحيوانات .. الحيوانات التى كانت تأتى لتتمسح فيهما خلال وجودهما فى الجنة .. جاءت فى تلك الليلة فأخذت تدور حول الشجرة التى احتميا بها ، وهى تصرخ وتزمجر فى غضب !

وعندما استيقظا فى صباح اليوم التالى ، قالت حواء لآدم فى صوت واهن : « لشد ما أشعر بالجوع ! » . ولم ينبس آدم ببنت شفة ، بل نهض على الفور ، واتجه الى المكان الذى افترس فيه الذئب ضحيته فى الليلة السابقة ، اذ قدر أن المصدر الوحيد لطعامهما لن يكون سوى لحم الحيوانات .. وحمل بقايا اللحم المتخلفة ، ثم عاد بها الى حواء ، فما أن تذوقت قطعة منها حتى أبدت اشمئزازها . الا أنها سرعان ما أحست بآلام الجوع ، فأقبلت على الاكل وهى تقول : « لا بأس .. ان المسألة مسألة عادة ، لا اكثر ولا أقل ! »

ولكن ، هل كان لآدم أن يخلد الى الراحة بعد هذه الوليمة الصغيرة ؟ ! .. لا ! .. فلقد أدرك أن الامر يتطلب منه تفكيرا وعملا ، حتى يوفر لنفسه وللمرأة التى تزامله فى رحلته ، مايقيهما دائما شر الجوع . كما أدرك أنه ـ لاجل الحصول على الطعام ـ ينبغى أن لايعتمد كثيرا على المصادفة ! .. وكان صدى كلمات الله لايزال يتردد فى أسماعه : « ستأكل خبزك بعرق جبينك ! »

ونهضا فاستأنفا المسير . حتي اذا صادفا فى طريقهما مغارة

محفورة فى أحد التلال ، أويا اليها . وارتد آدم الى الخارج فنزع بعض أغصان الاشجار وأوراقها ، ثم عاد بها الى حواء وهيأ لها مرقدا يفضل أرض المغارة الصخرية !

* * *

◆ **وأخذ** آدم وحواء يتخففان من القيود التى كانت تحتم عليهما الا يظهرا عاريين أمام الله ، فى الجنة ، ومن ثم كان كل منهما يتخلص من حزامه الذى يستر عورته ــ والذى كان مصنوعا من أوراق الشجر ــ بمجرد أن يشعر باشتداد حرارة الشمس . ولم يكن أى منهما ليعير هذا الوضع الجديد أهمية خاصة ، رغم أن الشيطان كان قدوعدهمابالروائع،عندماأغراهما على أكل التفاحة ! .. فقد كان البحث عما يقيم أودهما هو الشغل الشاغل لهما فى تلك الايام الاولى على الارض !.. فكان آدم يخرج مع مطلع الشمس ليتعقب صيدا ، بينما تبقى حواء وحيدة ، تحاول أن تنسج لها لباسا من القش ، يقيها برودة الليل ، وهى تأمل أن يجيئها آدم يوما بحيوان ذى فراء ، فتنزع هذا الفراء لتستمد منه الدفء الذى كانت تفتقر اليه بعدغروب الشمس . على أن حدثا هاما وقع فى تلك الآونة ، حقق أمل حواء فى الدفء الذى كانت تنشده ، وان لم يتمثل هـذا الحدث فى الظفر بالفراء الذى كانت تحلم به ..

ففى اللحظة التى كان آدم يتأهب فيها لينطلق باحثا عن أحد الحيوانات ذات الفراء ، ثارت الطبيعة ثورة عاتية اهتزت لها جنبات السماء ، فقامت عواصف شديدة أخذت تقتلع ما تصادفه فى طريقهامن أشجار ، وهطلت الامطاربغزارةشديدة، وانقضت الصواعق على جذوع الاشجار التى انتزعتها العواصف من جذورها فأضرمت فيهـا النـار !.. ووقف آدم وحواء يشاهدان المعجزة الجديدة ، وقد أطبق الذهول والخوف على نفسيهما . وحين قدر للطبيعة الثائرة أن تسترد هدوءها ــ

بعد ليلة رهيبة ! _ خرج الاثنان من جحرهما ، وأخذا يقتربان رويدا من احدى الاشجار التى كانت النار لاتزال مشتعلة فيها. **ومدت حواء يدها فأمسكت بفرع من فروع الشجرة ، الا أنها تراجعت مذعورة بعد أن أفلتته من يدها ، وهى تصرخ وتتأوه. وتناول آدم الاصابع المحترقة بين يديه ، وأخذ يربتها فى اشفاق وحنان بالغين . وفى هدوء ورفق ، انحنى وطبع قبلة على موضع الحرق .. ولعلها كانت القبلة الاولى على الارض !**

على أن آدم وحواء لم يبتعدا عن النار .. فقد شعرا بالدفء يسرى الى أعضائهما وهما على مقربة منها . وكان آدم قد لاحظ _ أثناء الليل _ ما للنار من قوة الاضاءة ، ومن ثم بدأ يفكر فى وسيلة تمكنه من نقل بعض تلك الفروع المشتعلة الى مغارتهما ، ليفيدا من الدفء فى الليالى الباردة ، ومن الضوء فى الليالى المظلمة ، وان كان قد أدرك أن الامر يتطلب السهر على تلك النار حتى لايخمد أوارها . وأخذ آدم يحدق فى النار المشتعلة ، وهو يعصر ذهنه ، بحثا عن الوسيلة التى تحقق له غرضه . وفجأة ، وقعت عيناه على العصا التى كانت مستقرة فى يده ، فاستعان بها على التقاط بعض الفروع المشتعلة ، واتجه بها الى المغارة وهو يسابق الريح ، خوفا من أن تنطفىء. وفشلت محاولته الاولى ، اذ انطفأت النار قبل أن يبلغ مقصده .. وأعاد الكرة ، ففشل . واستولى عليه اليأس بعد أن كرر المحاولة عشر مرات ، ففشلت جميعها . ولم يكن المسكين يدرك أن النجاح قد ينبثق من هذا الفشل .. وهذا ما حدث بالفعل . اذ لم يكد يأوى الى المغارة ، وقد نفد صبره بعد أن أعيته الحيل ، حتى ألقى بعصاه على الفراش الذى كان قد هيأه لحواء ، وصنعه من أغصان الاشجار وأوراقها الجافة. واستلقى فى أحد الاركان ، يائسا ، كسير الفؤاد .

وكان طرف العصا ملتهبا _ من جراء محاولات نقل الاغصان المشتعلة _ فما لبث آدم أن شاهد الدخان يتصاعد

من الفراش ، قبل أن تندلع النار وتأتى عليه . وصرخت حواء ، التى وصلت فى تلك الاثناء : « آه .. فراشى ! » .. **ولكن آدم كان يهتز نشوة وفرحا .. فقد أدرك أن الله ـ الذى عاقبهما ـ لن يتركهما ، مادام قد صنع لهما هذه المعجزة !.. ولم يبق على الانسان الآن سوى أن يحفظ تلك الشعلات من الخمود .. الامر الذى يفرض عليه أن يجمع بعض أخشـــاب الشجر بين حين وآخر !**

وبعد أن هيأ آدم لحواء فراشا جديدا ، خرج ليبحث عن طعام ، فصادف فى طريقه جثث كثير من الحيوانات التى قضت عليها العاصفة .. وتحت شجرة محترقة ، شاهد الرجل وعلا محترقا ، فنزع قطعة منه وشرع يأكلها . ولشد ماذهل حين تبين الفرق الهائل بين مذاق ذلك اللحم ، ومذاق اللحم النيىء الذى كان يعيش عليه مع امرأته حتى ذلك الوقت . وتلفت حواليه ، وهو يأمل أن يرى أحد الملائكة ، أو الله نفسه ، ليعبر له عن شكره وعرفانه .. ولكن الله كانت له حكمة خاصة . **فمنذ اليوم الذى طرد فيه الانسان من الجنة ، أراد الله أن يشعره بأنه وحيـــد على الأرض ، ومن ثم فان عليه أن يحل مشكلاته ومآذقـه بمفرده ، فلا يستسلم للضعف أو اليأس بعد ذلك مطلقـــا . واذا كان الامر يتطلب بعض الحماية من الله ، فلتكن من بعيد ، وفى الخفاء بقدر الامكان .. هذا ، حتى يتعلم الانســان كيف يعتمد على نفسه !**

وحين عاد آدم فى ذلك المساء الى جحره ، وقدم قطعة من اللحم المحترق الى حواء ، استطابت مذاقها . ومنذ ذلك الوقت ، تعلمت كيف تستخدم النار فى شى لحوم الحيوانات التى كان آدم يصطادها !

* * *

• **وأخذت** الايام تجرى ، والانسان الاول قائم على تسجيل

كل شروق شمس على حجر بالقرب من مفارته . وعلى الرغم من المجهودات التى كان البحث عن الطعام يتطلبها من آدم ـ وما يستتبع ذلك من انشغال باله بهذا الامر الحيوى ، بالنسبة له ولحواء ـ الا أنه كان يشعر بنوع من القلق ، يتولاه من حين لآخر ، دون أن يدرى مأتاه !.. كان يشعر بأنه يود لو ضم بين احضانه هذه الفتاة الصغيرة ، التى لم تكن بالنسبة له حتى اليوم أكثر من صديقة وزميلة تصاحبه فى رحلته على الارض.. الرحلة التى لا يدرى لها غاية ولا هدفا !.. بل ان مجرد امعان النظر فى صدرها الناهد ، وردفيها الملتفين ، كان يحرك فى نفسه احاسيس جد غريبة ، ويرسل فى شرايينه دماء حارة ساخنة!.. على أنه لم يجرؤ على الافصاح عن ذلك الانقلاب الذى كان يجتاح نفسه ، ويسلب النوم من عينيه فى ليال كثيرة . ولشد ما كان يمنع نفسه من موافاة حواء والاستلقاء بجانبها ، على فراشها ، وهو يشعر شعورا اكيدا بأن مثل هذا التصرف من جانبه سيجلب له احساسا بالمتعة والرضى !

واقبل شهر مايو الاول على الارض ، فانتابت الحيوانات نوبة من الجنون والوحشية !.. واخذ آدم وحواء يصادفان ـ كل يوم ـ ازواجا من الحيوانات والطيور المختلفة .. وكل ذكر منها ملتصق بأنثاه !.. وبالرغم من أنهما لم يكونا يدريان السر الذى يختفى وراء هذا الالتصاق ، أو هذا الاتحاد ، الا أنهما كانا يغضان انظارهما على الفور ، وكأنهما يحسان بنوع من الخجل الغامض لمرآى هذه الاشياء تجرى امامهما ! .. على **أن الليالى كانت تخفى لهما فى طياتها كثيرا من هذه «الاهوال»! كانت لياليهما مفعمة زئيرا ونباحا وعويلا .. كانت صرخات الحيوانات جميعها تملأ الجو من حولهما ، تعبر عن الرغبة المسعورة التى التهبت فى دماء الكائنات الحية ، وكلها تردد هذا النداء العجيب الذى حفظ للعالم وجوده ونماءه وتطوره : نداء الحب !**

وبدا لهما جليا أن تلك الكائنـات كانت عاجزة تماما عن مقاومة ذلك النداء السحرى !.. فعندما كانت الرغبة المجنونة تتملكها ، كانت شعورها تنتصب ، وأعينها تبرق ، وأسنانهـا تصطك .. بل ان الطف الحيوانات ، وأكثرها وداعة ، كانت تتحول الى وحوش كاسرة وهى تحت تأثير تلك الرغبة !

وكان الرجل والمرأة يراقبان تلك الحرب العنيفة التى يستعر أوارها أمام أعينهما ، ثم تخبو نارها بعد قليل .. ولاحظا أن الذكر كان يخرج دائما منتصرا ، بعد أن «يسحق» أنثاه تحته . وكانت تلك النتيجة الثابتة فى كل الاحوال ، حائلا بينهما وبين محاولة تذوق تلك اللذة الوحشية التى بدا أن الحيوانات كلها تستجيب لها !

وأخذت الليالى تزداد حرارة وتضوعا بشذى الازهار .. وفى ذات مساء ، استلقت حواء على الاعشاب الندية واستغرقت فى نوبة من البكاء . واقترب آدم منها .. ومال نحوها بهدوء .. و .. الا انها دفعته عنها بهدوء ، وهى تقول : « لا .. أرجوك! » .. ونهض آدم فذهب والقى بنفسه فى الجدول ، ليطفىء من اللهيب الخفى الذى كان يكويه بناره !

وفى تلك الليلة ، نام آدم فى مدخل المغارة ، بينما بقيت حواء مسهدة فى الخارج .. وفجأة ، انفجرت «السيمفونية» الليلية الكبرى . وتناهت الى أذنى حواء التأوهات والصرخات ، صادرة من جميع انحاء الارض . **واخذ دوى الاصوات المختلطة يتلمس طريقه الى اعماق المراة ، ويزحف فى شرايينها فى صخب محموم .. واحست بشىء ثقيل يحط على منكبيها ، وتولتها رعشة شديدة هزتها من راسها الى قدميها ، فسعت اظافرها بحركة تلقائية الى الاعشاب ، واخذت تنهشها ، وتمزقها اربا اربا !.. كان الظما يحرق شفتيها ، والالم يسرى فى ثدييها الجامدين ، ونداء الحيوانات يتردد صداه فى أحاسيسها المبلبلة .. كانت ثمة عاصفة هوجاء تجتاحها !..** وانكفأت المسكينة على وجهها وهى

تصرخ : « ياالهى .. لم أعد أستطيع ! » .. على أنها ما لبثت أن نهضت متثاقلة ، فيممت وجهها شطر المغارة ، وألقت نظرة على آدم .. كان يحلم بالجنة التى طرد منها وبالثمار اللذيذة التى تفضل بلا شك تلك اللحوم التى أصبحا يعيشان عليها . وتأملته حواء هنيهة ، ثم غمغمت : « انه نائم ! » .. قالتها فى استخفاف مشوب بنوع من الازدراء ! !

* * *

• على أن آدم استيقظ فى منتصف تلك الليلة ، وهو يحس بنوع غريب من القلق .. بحرارة عاتية تسرى فى جسده .. بنوع من الفضول أشبه بالانفعال الثائر .. بحاجة حيوانية لاشباع رغبة تزمجر فى دمائه ، وتتحين الفرص للانطلاق والانفجار !.. ونظر الى حواء التى لم تكن قد نامت بعد .. كانت جالسة وهى تتطلع الى السماء بنظرات شاردة متوجسة .. وكانت فى جلستها هذه مختلفة كل الاختلاف عن تلك الزميلة التى اقتطعها الله من بين ضلوعه !.. كانت مخلوقة رائعة ، جديرة بأن يظهر لها آيات الود والاعجاب .. بل جديرة بأن يثب نحوها ، ليستمتع بقربها !.. ولكنه لم يجرؤ !.. كان يخشى أن تصدر حركة صغيرة من حيث لا يتوقع ، فتفسد عليه الامر .. بل انه كان يخشى مجرد التقاء نظراته بنظرات رفيقته !

وكانت الليلة رائعة ، والهواء محملا بالانين والآهات ، وبروائح لا حصر لها ، عبق بها المكان الذى كان يحيط بكهفهما. **على ان هناك ظاهرة غير عادية كانت تتحرك فى أحشاء الطبيعة.. فقد كانت الزهور والورود تتخلص من أوراقها ، رغم أن الربيع كان ما يزال مسيطرا على المكان الذى يعيش فيه الرجل والمرأة !.. كانت الطبيعة ثائرة على هذين المخلوقين اللذين يتمردان على نواميسها ، ويعصيان قوانينها ، ويتحاشيان**

اضرام النار فى شعلة الوجود !

وحتى فى اللحظة التى شعرا فيهابأنهما لن يلبثا أن يستسلما ، بعد أن أخذا يتداعيان ، وقد أنهكتهما مقاومتهما .. حتى فى هذه اللحظة الخالدة فى تاريخ البشرية ، أحس آدم بأنه على وشك أن يرتكب جريمة قتل .. أو أنه على وشك أن يشق بطن رفيقته !.. ولكن حواء أدركته قبل أن يتخاذل وينصرف نهائيا عما اعتزم .. أدركته قبل أن ينكص على عقبيه لفرط الخوف من المجهول .. وسارعت الى تشجيعه ، اذ غمغمت بصوت مرتعد واهن : « هيا ياعزيزى !.. هيا ، ولو سبب لى ذلك بعض الالم ! »

وبالفعل ، تألمت .. تألمت الى الحد الذى جعلها ترسل صرخة مروعة اهتزت لها جنبات الكهف . ولكن آدم لم يسمع صرخة امرأته .. بل لم يسمع شيئا مطلقا فى تلك اللحظات الحاسمة .. فقد كان فى قمة انتصاره ، وفى أوج سعادته ونشوته !

وحين ابتعد الرجل عن المرأة ، شعرت بأن ثمة جرحا قد أصابها ! .. « أفى سبيل هذا الشىء البسيط ، كانت الطبيعة تبدو كما لو كانت قد وقعت فريسة رعشة مجنونة ؟ !.. ألهذا كانت اناث الحيوانات تنادى ذكورها وهى تصرخ وتتأوه ؟ ! .. ألهذا كان الليل كله يتحول الى صرخة رغبة وانبهار ؟ ! »

وشعر آدم بما كان يعتمل فى نفس امرأته ، فمال نحوها ، وهمس لها وقد تملكه الانفعال المنتشى : « آه لو تعلمين ياحواء كم أنا سعيد ؟ ! »

ـ ان هذا يسرنى ياعزيزى !

ـ وانت .. أو لست سعيدة ياحواء ؟ !

ـ أواه .. أنا ؟ ! .. اننى سعيدة ياعزيزى ما دمت انت سعيدا !

ونظر اليها آدم وقد تولته الدهشة ، ثم سألها : « ولكن ..

الا تحسين بالسعادة ياعزيزتى ؟ »

ـ بلى ياعزيزى !

ومع ذلك فقد شعر آدم بأن سعادتها لم تكتمل كماأكتملت سعادته ، فأخفى وجهه بين راحتيه . وكانت تلك هى المرة الاولى التى يحس فيها الرجل بالخزى والعار !

***

◆ لم يعد لآدم ـ بعد اتصاله الاول بحواء ـ من هم سوى التفكير فى اشراك امراته فى سعادته . وقد كانت كل الظروف مهيأة له ، سواء فى الصباح أو المساء أو خلال النهار . على أن حواء لبثت على حالها ، رغم تكرر اتصالات آدم بها .. كانت تشعر دائما ـ أثناء الاتصال الذى يجمعهما ـ بأنها على وشك أن تحقق لذة ما ، ثم تفاجأ برجلها وهو يقطع عليها الطريق ، قبل أن تبلغ غايته ، وقد بدا عليه انه روى غلته ، وان يكن ذلك فى مدى وجيز !.. **كان أنانيا ، ذلك الرجل الاول .. تماما ككل الرجال الذين سوف ينحدرون منه !.. بل انه انتهى بتفكيره ـ بعد أن طال انتظاره عبثا لتلك اللذة المشتركة التى كان يرجو أن يصلا اليها معا ـ الى أن من المحتمل أن يكون الذكور على درجة من الحساسية تجعلهم يحققون وحدهم تلك اللذة الكاملة !.. أما هى ، فلم تعد تشعر بذلك الالم الذى انتابها فى الاتصال الاول ، وان أدركت أن من الظلم الفادح أن فعلا لا يتأتى اتمامه الا باجتماع اثنين ، لا يحقق مثل تلك اللذة الا لاحدهما دون الآخر !** .. وبتأثير الغيرة التى تولتها ، راحت تبحث عن السر الذى يختفى وراء هذا الامر ، فى عالم الحيوان.

وهكذا أخذت تخرج كل يوم الى الغابة ، لتبحث بين الحشائش وغصون الاشجار عن شىء ينير لها السبيل . وفى ذات يوم شاهدت حواء معجزة جديدة تتم امامها .. معجزة «الولادة» . فقد شاهدت عصفورا ضئيلا ، مجردا من الريش ، يبرز الى الوجود من حجر ابيض ، مازال ينقره حتى تخلص

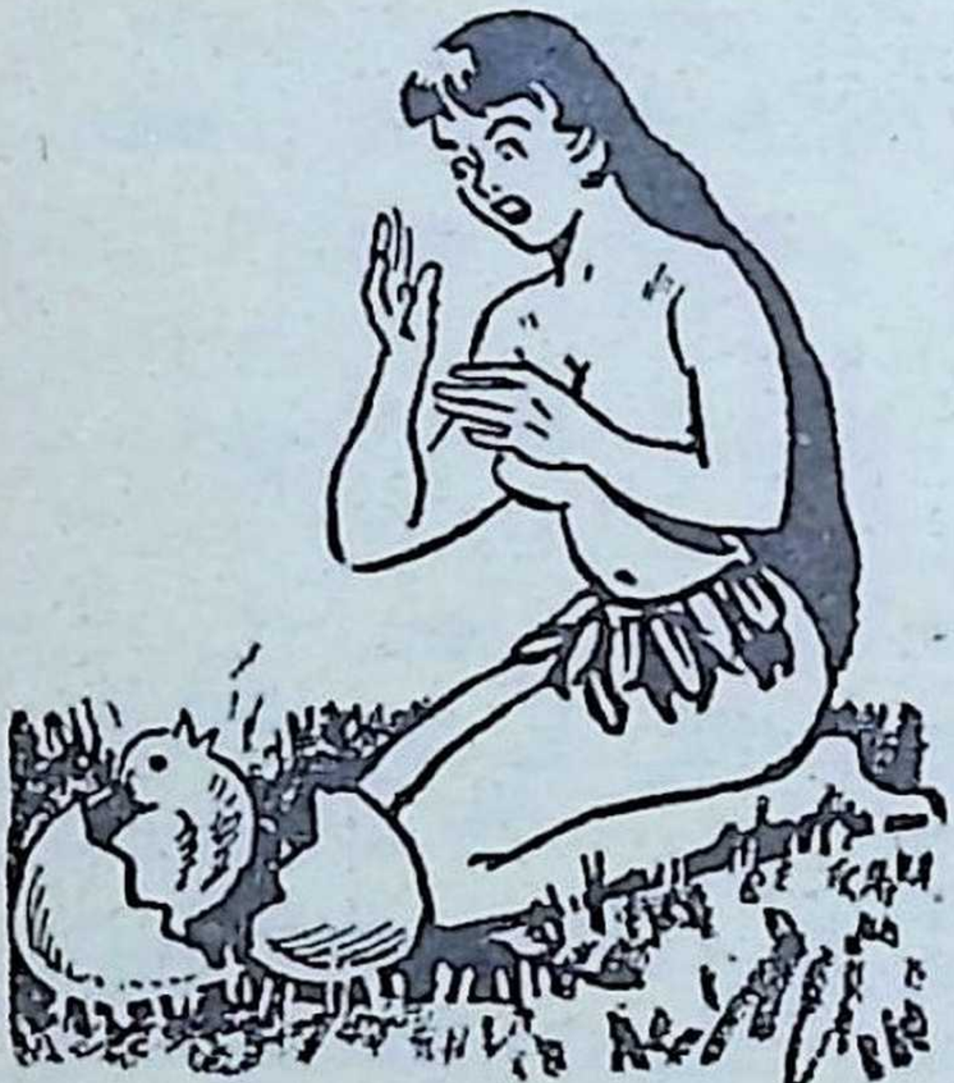

منه ، ثم أوى الى عش صغير يرعاه طائر كبير .. وأحست حواء بالخوف والقلق يعصران نفسهما ، لمرأى العش المملوء بالطيور الحديثة الولادة ، وقد تناثرت حوله بقايا الاحجار البيضاء (البيض) !.. أفليس من المحتمل أن يخرج من احدى الاحجار الاكبر حجما - فى يوم ما - كائن حى يشبهها وآدم ، لينضم اليهما ؟! .. لاشك فى أنها سترحب به اذ ذاك جد الترحيب ، وستستقبله بصرخات الفرح والحفاوة !

وفى مساء ذلك اليوم ، عاد آدم من رحلته اليومية مبكرا ، والقى الى حواء بأرنبة منتفخة البطن ، صادها بعد عناء كبير . فلما خرج فى اليوم التالى ليبحث عن شىء جديد ، أقبلت حواء على تقطيع الارنبة لشى أجزائها على النار . ولكنها توقفت مذهولة ، حين شقت بطن الحيوان الصغير .. فقد رأت بين الاحشاء حيوانات جد صغيرة ، بعيون مغمضة ، ومتصلة بالام بحبال من اللحم .. حيوانات كانت قد ماتت فى نفس الوقت الذى ماتت فيه امها !.. ولم تقرب الارنبة مرة أخرى ، بعد أن أدركت أن اللغز الغامض الذى طالما حيرها ، قد صادفها مرة أخرى . **وبحركة غريزية ، راحت المرأة تتحسس بطنها وتجرى أصابعها على كل ناحية منه ، ولكنها لم تحس بألم ما .. وأخذت تفكر فى الطريقة التى تتخلص بها تلك الحيوانات الصغيرة من ذلك البطن المنتفخ لتخرج الى الوجود .. ولكنها لم تصل الى أدنى بصيص ينير لها السبيل .** وفى المساء ، حين أوى آدم الى الكهف ، قادته الى المكان الذى تركت فيه الارنبة ، وقالت له :

« انظر ! » .. ولكن آدم لم يجبها بغير كلمة واحدة لم تشبع تعطشها الى المعرفة ، اذ اكتفى بأن قال : « شيء مضحك ! »

* * *

• ثم أقبل الصيف ، وفي أعقابه حرارة قاتلة ، حتى لقد جفت الجداول التى كانا يشربان منها ، واحترقت الحشائش التى كانا يلجآن اليها فى بعض الاحيان ليمسكا بها رمقهما .. وأخذت ثمار الاشجار تتساقط ، خالية من الحياة والمذاق ، وهبت على الارض ريح ساخنة مرهقة ، فرضت على جميع الكائنات الاستكانة والخمول

وفى ذلك الجو القائظ ، أحست حواء بنوع غريب من القلق يستولى على نفسها . وعلى حين غرة ، هاجمتها نوبات من القيء ، واخذت بعض الآلام الخفيفة ، المحتملة ، تسرى فى أحشائها بين وقت وآخر .. ومع أن آدم توجس خيفة من هذه الاعراض التى بدت على امراته ، الا أنه كان ينتهز كل فرصة يرى فيها أن ثمة تحسنا قد طرأ على صحتها ، ليطلب اليها أن تمنحه نفسها . **وقد كانت قسوة الحرارة ، كما كان بؤسهما ، خليقين بأن يصرفاهما مؤقتا عن ممارسة الحب ، الا أن آدم لم يكن يترك يوما يمر دون أن يعلن رغبته لحواء ، وهو يردد لها : « انها لذتى الوحيدة فى الحياة .. ياعزيزتى ! » .. ثم يحتويها بين ذراعيه ! .. وكانت المرأة تستسلم له راضخة ، والاعياء يكاد يقتلها !**

على أنها تمردت ، فى ذات ليلة .. فقد أحنقها أنانية ذلك الرجل الذى لا يراعى آلامها ، ولا يهتم الا بارواء ظمئه الذى لايرتوى .. واستمدت من احساسها هذا قوة مكنتها من أن تدفعه عنها وهو مقبل عليها ، ثم انفجرت فيه صارخة : « انك لاشد وحشية من الوحوش الاخرى .. أيها الرجل ! » .. ونهض آدم وقد أحس بألم الطعنة ، وانطلق فى الليل البهيم ،

وهو لا يلوى على شىء . وشعرت حواء بأنها هجرت ، فنهضت وألقت ببعض الاغصان الى النار التى كانت موشكة على الانطفاء، ثم خرجت الى الغابة واستلقت على الحشائش الجافة

وراحت تفكر . منذ مائة يوم ، وهما يعيشان فى جحيم لايطاق : كان الظمأ الى الماء يحرق حلقيهما ، والجوع يعضهما بنابه ، والحر يكوى أعضاء جسميهما وينفث فيهما الخمول والاعياء ، ومع ذلك دأب آدم على أن يلاحقها برغبته التى بدا انها تتجدد باستمرار ! **كانت الكائنات التى تعيش حولهما قد استكانت وهدأت ، ماعدا الرجل ، فكأنه كان يتبع فكرة معينة محددة ، اذ أنه لم يهدأ منذ اكتشف تلك اللذة .. بل انه كان قمينا بأن يضحى بطعامه ، فى سبيل أن يظفر بلذته اليومية !.. حتى اذا تراءى لها أن تحرمه ـ مرة واحدة ـ تلك اللذة التى لم تشترك قط فى الاستمتاع بها ، هجرها وهى مريضة ، تكاد الحمى تفترسها ، فى ليلة حالكة الظلام !** .. ترى هل يعود ؟ واذا لم يعد ، فأين يمكنه العثور على تلك السعادة التى وجدها فى الاتصال بها ، والتى كانت تبدو سبب حياته ووجوده ؟ ! لاشك أنه سيحرم نفسه منها ، طالما هو بعيد عنها . ولكن .. هى .. ماذا هى فاعلة الآن ؟ !

وراودتها فكرة الموت ! .. الموت ؟ ! .. نعم ، ولم لا ؟! .. ولكن .. كيف تموت ؟ أو بالاحرى كيف يموت الانسان ؟ ! .. لقد رأت طيورا جريحة تهوى صريعة ، ورأت حملانا تروح فريسة بين أنياب الذئاب ، وشاهدت مرارا تلك الحرب التى تنشب فى مملكة الحيوان ، فيقضى القوى فيها على الضعيف ثم يلتهمه .. بل لقد شاهدت حيوانات تموت لانها لم تقو على مقاومة العاصفة .. ولكنها لم تر مطلقا حيوانا حيا يستلقى على الارض وهو يئن من المرض والاوجاع ، وينتظر الموت البطىء ! .. ترى هل يكفى كى تموت أن تتمدد ها هنا ، ثم

تغمض عينيها ، وتمتنع عن اتيان اية حركة ؟ !

وفيما هى مستغرقة فى هذا الكابوس ، عبرت أحشاءها صدمة قوية أشعرتها على الفور بأنها تحمل فى أعماقها شيئا ما .. شيئا تحرك فجأة ، فسبب لها هذه الصدمة . ورفعت عينين هالعتين الى السماء ، وفتحت فمها لتطلق صرخة مروعة ، ولكن الصرخة ماتت قبل أن تبلغ شفتيها .. فقد شعرت بصدمة أخرى قوية تصيب بطنها .. وفهمت ! ..
فهمت أن كائنا صغيرا يتحرك فى هذا البطن .. كائنا يشبه تلك الحيوانات الصغيرة التى اكتشفتها ذات يوم فى أحشاء الارنبة! .. واخذت تردد فى فرحة طاغية : « طفل ! طفل ! » .. ثم ارتمت على الارض وغابت عن الوعى !

* * *

• **عندما** فتحت حواء عينيها مرة أخرى ، رات آدم امامها. وكان يحمل بين يديه ثمرة مستديرة ضخمة ، ما لبث أن قدمها الى رفيقته ، وهو يغتصب ابتسامة : « خذى هذه .. انها لك ! » .. ولكن حواء لم تكن راغبة فى أن تغفر له بمثل هذه السرعة .. كما انها لم تكن راغبة فى أن تعلن له فرحتها الكبرى، خوفا من أن لايفهمها فلا يقدرها حق قدرها !

وكان آدم قد أحس بنوع من الوحشية ، دفعته الى الابتعاد عن امرأته ، جزاء لها على رفضها الاستسلام له . الا انه مالبث أن أدرك ــ حين ابتعد عنها ــ أن الحب لايعدو ان يكون امرا مملا لاية مخلوقة ، اذا لم يجلب لها لذة ما . ثم انه كان خليقا بأن يكون أكثر من حواء عذابا من جراء الوحدة ، لو انه هجرها الى الابد . ولذلك ما لبث أن ارتد الى صوابه ، فقرر العودة الى امرأته ، وهو يحمل اليها بطيخة ، كهدية صغيرة لها ، بعد أن تذوق ثمرة مماثلة فى طريقه ، فوجدها لذيذة وذات نكهة طيبة

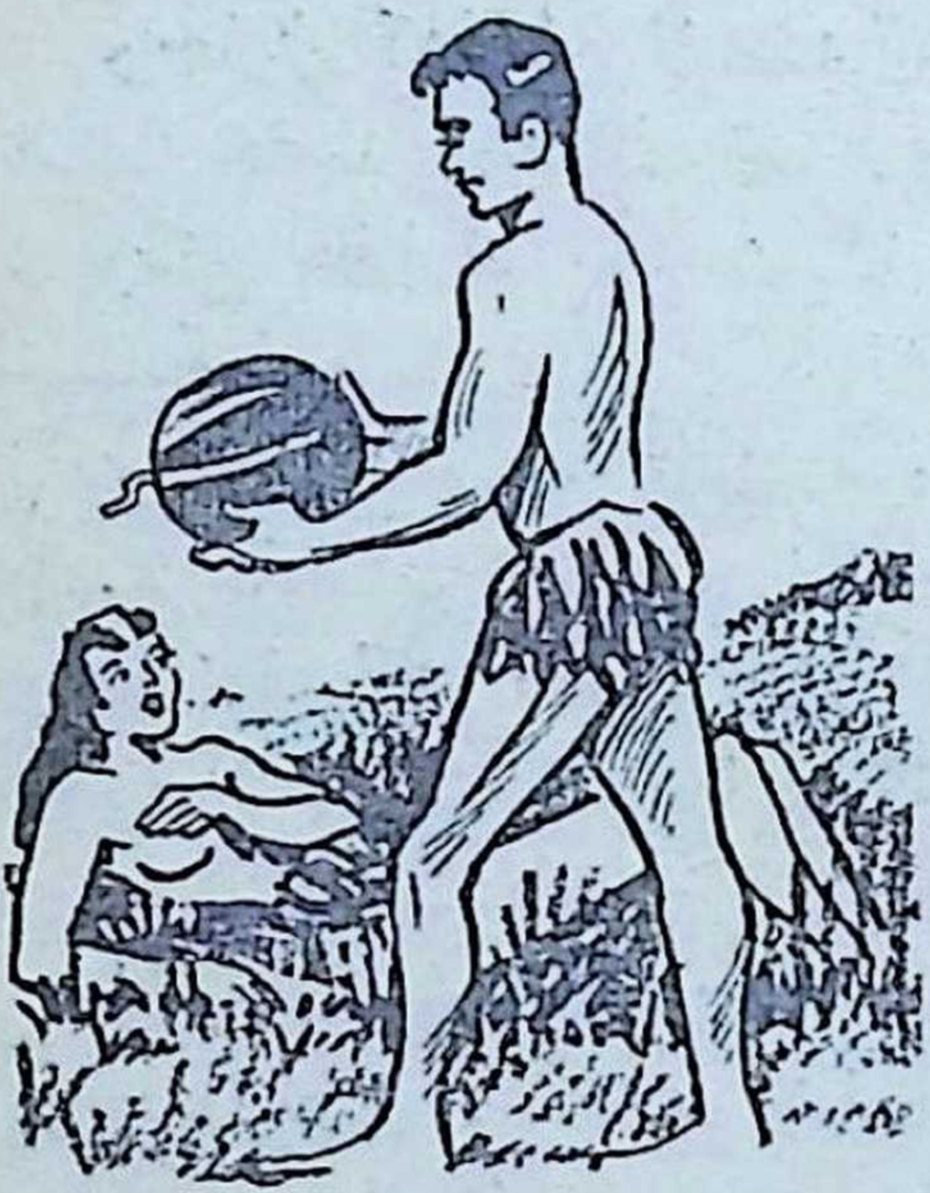

وتناولت حواء البطيخة فشقتها وأنشبت فيهاأسنانها. فلما أتت على الجزء الاحمرمنها، اتجهت الى آدم فأحاطت عنقه بذراعيها ، وأراحت رأسها على كتفه ، ثم قالت له معاتبة : « أيها القاسى .. لماذا تركتنى وذهبت فى تلك الليلة ؟ » .. فهز كتفيه ولم يجب . ورأت حواء أن الفرصة سانحة لتعلن له النبأ العظيم ، ومن ثم استجمعت شجاعتها وهمست له : ((آدم .. **اننى سأحصل على طفل !**)) .. فنظر اليها آدم نظرة بلهاء وردد قائلا : « طفل .. طفل ! »

ـ نعم .. وقد تحرك هذه الليلة فى بطنى !

واتجه الرجل ببصره الى البطن الذى كان يضم المعجزة ، ثم مد يده وأخذ يتحسسه ويربت عليه فى حنان . **وشعر فى تلك اللحظة باحترام يشبه التقديس لتلك الاحشاء ، وان لم يعرف دوره هو بالنسبة لذلك الطفل الذى بدأ يتحرك فى بطن حواء .** كان قد اكتشف أن البيض يخرج من اجسام الطيور ، ورأى اناثا كثيرة من الحيوان تلفظ صغارها ، ولكن الذكر لم يكن له دور ظاهر فى ذلك الوضع . ثم ان الامر ليس بهذه السهولة .. اذ كيف سيبرز هذا الطفل الى الوجود ؟ ومتى ؟ .. وعاد يتحسس بطن حواء ، لعله يشعر بحركة تدل على وجود الطفل ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، فسأل حواء: « هل أنت متأكدة من وجود الطفل ؟ ! »

ـ آه ! .. لو علمت تأثير هذا الامر فى المرأة لما سألت ! .. ان المرأة لا تخطىء قط فى احساسها ذاك ياعزيزى !

وحاول آدم أن لايصدق .. الا أنه تذكر فى تلك اللحظة تهديدا خاصا كان الله قد توعد به المرأة : « ستلدين بالآلام ! » .. ولكن هذا لم يعن شيئا حتى الآن ، سواء بالنسبة لها أو بالنسبة له

وأفاق آدم من تأملاته على صوت حواء وهى تقول :

ـ هذا أمر غريب ياعزيزى .. اننى أشعر برغبة ملحة (وحم) فى أكل بعض ثمار الفراولة .. تلك الفاكهة الصغيرة الحمراء التى كنانعثر عليها بين الحشائش ..

ـ انك تستطيعين أن تبحثى عنها بنفسك ياعزيزتى !

ولكن حواء أفحمته حين قالت له : « لاشك انك تدرك الامر ياعزيزى .. اننى لا أطلب هذه الفاكهة لنفسى ، وانما للطفل .. هل تفهم ياعزيزى ؟ ! »

❋ ❋ ❋

• **لم** يحدث فى تاريخ البشرية أن جلب حمل من الهم والقلق لزوجين مثل ماجلب ذلك الحمل للزوجين الاولين . فهل ترى كانا يدركان أن مصير البشرية كلها يتوقف عليه ؟ !

وكانت حواء تجهل كم من الوقت ستحمل هذا الكائن الصغير بين أحشائها ، كما كانت تجهل الطريقة التى سوف يخرج بها من بطنها . وكانت حرارة الشمس تزداد وحشية وسعيرا ، فتتضاعف آلام المرأة وأوجاعها . واهتدى آدم الى طريقة لا بأس بها لجلب الماء لامرأته ، حتى لا يحملها مشقة الانتقال بنفسها لتروى ظمأها .. فقد أحدث شقا صغيرا فى بطيخة ، واستخرج ما فى جوفها ، ثم أخذ يستخدمها فى نقل الماء من نهر أوشك ان ينضب ، فكان الامر يتطلب منه اشتباكات دامية مع الحيوانات ، ليفوز ببعض الماء الذى تبقى

وشعرت حواء بما كان آدم يعانيه فى سبيل احضار الماء ، فحاولت أن تؤكد له أن فى مقدورها أن تذهب بنفسها

تشرب وتفتســــل ، ولكن آدم أصر على أن تبقى بمنجى عن كل مجهود طالما هى تحمل الصغير . وحاولت ـ بعد انصرافه ذات يوم ـ أن تخرج لتستطلع الجو ، ولكن الحرارة القاسية ردتها الى داخل المغارة ..

وكانت المرأة ـ فى تلك الاثناء ـ تشعر باضطرابات عصبية لاتدرى ماتاها ، فضلا عن ألوان من الضيق كانت تلاحقهـا ملاحقة مستمرة . وكان قد مضى وقت طويل لم تشعر خلاله بحركة مماثلة للحركة الاولى التى أفعمت نفسها بالسـعادة والغبطة ، فأضاف هذا سببا جديدا الى أسباب آلامها ، اذ كانت تخشى أن يكون الطفل قد مات ، وأن بطنها لايضم الا جسما صغيرا لاحياة فيه ولا رمق ! .. ومن الغريب أن آدم كان يعانى من ويلات هذا الشعور نفسه ، اذ خيل اليه أن حواء كانت قد بالغت فى وصف الامر ، وأن الطفل الذى زعمت أنها ترتقبه لم يكن الا وهما باطلا دفعه كابوس ثقيل الى رأسها ، فى تلك الليلة التى هجرها فيها !

وفى ذات ليلة ، مال آدم نحوها واحتواها بين ذراعيـه . ولكن المرأة ـ حين قرأت الرغبة المسعورة فى عينى الرجل ـ تملصت منه بعنف ، وهى تصرخ : « امجنون أنت ؟ ! .. انسيت الطفل ؟ !

ـ لقد سمعت ما فيه الكفاية عن هذا الطفل الذى تتحدثين عنه ولا يظهر قط ! .. على أية حال ، اننى لم أعد أستطيع !

ـ ياللانانية !

ـ قولى ان الامر لا يجلب لك أية لذة ، ولذلك ترفضينه !

ـ بالضبط ياسيدى .. وهذا سبب آخر يجعلنى أتمسك بموقفى !

وكادت الامور تتحرج بينهما فى ذلك الوقت لولا أن السماء سارعت الى انقاذ علاقتهما . ففى تلك اللحظة ، امتلأ الجو بجلجلة الرعد ، وتفجرت السماء عن سيول متلاحقة صاخبة .

وانصرف الاثنان عن مناقشتهما ليستقبلا الماء البارد على جسميهما اللذين أضناهما الحر والجفاف . على أن القلق بدأ يستولى عليهما ، عندما مر يومان ولم تنقطع الامطار !

واجتاح « الطوفان » كل ما كانا يعيشان عليه .. حتى ثمار البطيخ الضخمة لم تقو على الصمود أمام المياه المندفعة . ومال النهار الى القصر ، وأخذت أوراق الشجر تتساقط بسرعة عنيفة ، وأتلف الجليد الابيض النباتات ، واحتجبت الشمس وراء سحب سوداء قاتمة .. كانت الطبيعة أشبه بمريض على وشك الموت !

كان الشتاء قد أقبل على غير موعد . وبدات المرأة تحس بلذعات البرد ، فأخذت تبحث عن جلود الحيوانات التى صادها آدم ، غير أنها وجدتها قد تيبست ولم تعد تصلح لشىء . ووجد آدم عناء أى عناء فى البحث عن الطعام ، اذ كانت الارض قد خلت من جميع الكائنات . وأحست حواء بأنها تزداد ثقلا ، بفعل الحمل الذى كان آخذا فى النمو . أما آدم ، فقد بدت رغباته وكأنها استكانت ، اذ لم يكن لديه الوقت أو الجهد للتفكير فى لذاته الجسدية !

وأخذت الذئاب تتجمع ــ كل مساء ــ حول كهفهما ، وهى تعوى بأصوات مخيفة . وكان الجليد لا يزال يتساقط ، فما لبثت الارض ان اكتست بغلالة بيضاء شاحبة ..

وقالت حواء وهى تتأمل المنظر : « لقد انتهى الامر ياعزيزى ! »

ولم يجب آدم . فقد كان يفكر فى أن العقاب قد أوشك على الاكتمال ، وان الارض لن تلبث أن تتكفن بردائها الابيض ، فلا يبقى كائن حى عليها . ومع ذلك فانه لم يشعر بكبير أسف على تلك الحياة التى كانت تزداد شقاء وعناء يوما بعد يوم

الا أن الحياة خيبت « فألهما » .. اذ أنهما لم يموتا ، بل

انهما لم يشعرا بأى الم ناشىء عن الانقلاب الذى طرأ على الطبيعة !

وكان لابد لآدم أن يخرج ليبحث عن طعام ، بعد ثلاثة أيام من الجوع المضنى . وخاض الرجل فى الجليد ، وأخذ يتتبع آثار أقدام الحيوانات ، حتى اهتدى الى حمل تخلف عن رفاقه، فقضى عليه بضربة من عصاه ، وهو يطلق صيحة منتصرة . وأسرع به الى حواء ، غير عابىء بتلك اللسعات التى كانت تلهب قدميه الحافيتين . ولم ينتظر اى منهما لحظة واحدة ، بل انشب اسنانه فى اللحم الدامى ، بعد أن نزع آدم فراء الحيوان. ولم يشعر آدم بالالم الذى كان قد أخذ يسرى فى قدميه ، الا حين انتهى من اشباع جوعه . فعندما حاول أن ينهض ، لم يستطع أن يأتى بحركة واحدة ، وراعه أن جسمه قد انتثرت فيه بقع حمراء ، كما أصاب التورم بعض أجزائه . وهتف يائسا : « يا للهول .. لم يكن باقيا الا هذا ! » .. وتناولت حواء حفنة من الجليد وأخذت تدلك بها قدمى آدم المتورمتين ، الى أن شعر ببعض التحسن !

على أن الليل حمل اليهما هولا عظيما . فبينما كان آدم مستلقيا وهو يئن انينا خافتا ، اتجهت حواء الى مدخل المغارة لتستنشق بعض الهواء ، فاذا بها تتراجع مذعورة وهى تصرخ: « الذئاب .. الذئاب » !

كانت رائحة اللحم الذى تبقى من الحمل قد اجتذب مجموعة من الذئاب ، فتجمعت حول الكهف ، وأخذت تغدو وتروح وهى تعوى وتصر بأسنانها . ولم يكن يمنعها عن اقتحام المكان وافتراس الرجل والمرأة سوى ألسنة النار التى كانت ترتفع على المدخل . وتحامل آدم على نفسه حتى نهض ، واقترب من النار ، وهو يصيح فى حواء : « القى ببعض الاخشاب فى النار .. ضاعفى الكمية .. نعم ، هكذا ! » . وحاول احد الذئاب أن يتسلل الى الداخل ، الا أن آدم أدركه بعصاه ،

فحطم ضلوعه بضربة عنيفة منها ، وعاد الذئب يجر نفسه الى رفاقه ، فما أن رأت الدماء تسيل منه حتى انقضت عليه ومزقته اربا !

وأخذت حواء بدورها تقذف الحيوانات الثائرة ببعض الاغصان المشتعلة ، فكانت تتراجع مذعورة ، ثم لاتلبث أن ترتد ثانية مدفوعة بجوعها الوحشي

وأخيرا لاحت بوادر الفجر ، فأخذت الذئاب تنسحب واحدا بعد الآخر ، حتى اختفت تماما من المكان

***

• **ومضت** أيام حافلة بالرعب ، والجوع ، والبرد ، والحرب مع الذئاب ، قبل أن يبدأ الجليد المتراكم فى الذوبان . وسرعان ما أخذت المياه المتخلفة عنه فى التحرك ، ثم اندفعت مكتسحة أمامها كل ما صادفته فى طريقها . وبدأت الايام تطول ، كما وجد الصفاء طريقه الى السماء فى أوقات مختلفة .. الا أن الامطار لم تكن قد انقطعت بعد . وأخذت المياه تعلو فى الوادى الذى كان آدم وحواء يقيمان فيه ، ثم زحفت نحو المغارة وغمرت جزءا منها . وغمغم آدم وهو يرى المياه تعلو تدريجا فى أركان الكهف : « لابد من الرحيل ياعزيزتى .. لابد من الرحيل ! »

وحمل الاثنان كل ما استطاعا حمله ، مما قد ينفعهما فى رحلتهما الجديدة ، ثم خرجا يضربان فى الارض مرة أخرى : الرجل وقد أحنت ظهره الاحمال التى تعلوه ، والمرأة ببطنها المتضخم الثقيل ، الذى يعرقل حركاتها ويثبط همتها ! .. وسارا ببطء والمطر يتساقط عليهما كالسهام الحادة . وحاول آدم أن يظهر بمظهر المتفائل ، فأخذ يردد : « لايمكن أن تستمر هذه الحال ! » .. الا أنه كان يختلس الى السماء نظرات يائسة معتمة ! .. وكانت حواء تتعثر فى الاحجار التى تملأ الطريق ،

فتسارع الى مد يديها لحماية بطنها . كانت كل أفكارها قد تركزت فى ذلك الصغير الذى يخفيه بطنها ، وقد بدأت تشعر شعورا أكيدا بأنه يود أن يخرج من مكمنه فى أقرب وقت ..

وظل الاثنان يسيران ، والمطر يلاحقهما ، والاعياء يكاد يقتلهما . وتوقفت حواء فجأة ، ثم أطلقت صرخة مروعة ، جزع لها آدم أشد الجزع .. كانت آلام الوضع قد بدأت تخترق أحشاء المرأة بعنف وقسوة ، وفى ذلك الجو اللعين الذى يحيط بهما من كل ناحية . وارتمت المسكينة على الارض الغارقة فى الوحل ، وهى تولول من فرط الالم . وانحنى آدم عليها وهو مايزال يردد : « تشجعى ياعزيزتى المسكينة .. سوف نجد مأوى قريبا ! » . وحاولت المرأة أن تنهض ، ولكنها شعرت كأن شيئا قد تمزق فى جوفها ، فسمرت فى مكانها وهى لاتقوى على أن تأتى بحركة واحدة

وأخذت الافكار تنهب خاطرها ، وهى راقدة هكذا فى الوحل بلا حول ولا قوة .. واذ ذاك فقط أدركت السر ، وعرفت من أين سيخرج الطفل الى الدنيا ، كما عرفت انه لم يكن الا نتاج تلك الاتصالات الجسدية التى لم تجلب لها أية لذة قط ، وانما جلبت لها آلاما .. وعذابا .. وطفلا ! .. ولاح فى ذهنها المكدود وعيد الرب لها : « ستلدين بالآلام ! » .. لا .. لا .. انها لن تستسلم مرة أخرى ، ولن تعرض نفسها لذلك الالم الجبار ، فى سبيل ارضاء لذات آدم المسعورة !

وكان هو ـ سبب آلامها وعذابها ـ يحنو عليها وفى عينيه نظرات بلهاء . ودفعته حواء بيدها وهى تصرخ فيه : « اذهب عنى .. اذهب عنى ! » ، فأجابها آدم : « انها ليست غلطتى ياعزيزتى .. آه لو تستطيعين أن تمشى قليلا ! » . وابتسمت المرأة فى سخرية . ياالغباء ذلك الرجل الذى لايريد أن يدرك أو يقدر تلك الآلام !

وعاودتها الضربات والصدمات .. قوية عنيفة ، فأخذت

تتقلب فى الوحل وهى تطلق صرخات مجنونة . وفجاة ،احست بشىء حى ينفلت منها ، وان ظل متصلا بأحشائها . وصرخ آدم فى فرح واعجاب : ((انه طفل .. طفل صغير !)) .. ولكن المراة كانت قد أسلمت نفسها الى غيبوبة طويلة !

***

. **عندما** عادت حواء الى رشدها ، كان الظلام قد احتوى الارض . وتناهت الى أذنيها صرخات ضعيفة تشبه مواءقط صغير . وانحنى عليها آدم ، وهو يقول : ((يا عزيزتى .. ياعزيزتى !)) ، ثم قدم لها الطفل الوليد ، فتناولته منه وأخذت تضمه الى صدرها فى سعادة منفعلة . واشتبك فم الطفل بحلمة أحد ثدييها ، فأطبق عليها بشفتيه . وأحست حواء ـ واللبن ينساب من ثديها الى فم الطفل ـ بشعور العبد الذى أعتق حديثا ! .. **نعم ، انها ولدت بالآلام .. ولكن ، ما أجمل أن تكون أما . بل انها لعلى استعداد لان تتحمل كل شىء فى سبيل أن تضم بين أحضانها طفلا حملته أحشاؤها ! .. لم تعد تخشى شيئا ، أو تتوجس من المستقبل .. بل انها أخذت تنظر الى آدم ـ سبب سعادتها ـ بعينين يلمع فيهما بريق العرفان والامتنان !**

واخيرا ، جاء الصباح ، فبدأت الامطار تمسك نفسها ، وتبددت السحب من السماء لتحل محلها شمس يملأ ضوؤها الكون . واقترب آدم من أم طفله :

ـ حواء !

ـ آدم ! .. يا حبيبى !

ومدت اليه يديها بالطفل ، ثم سألته بصوت رقيق حنون : ((أليس جميلا يا آدم ؟))

ـ بلى ياعزيزتى .. ما رأيك فيما لو سميناه قابيل ؟!

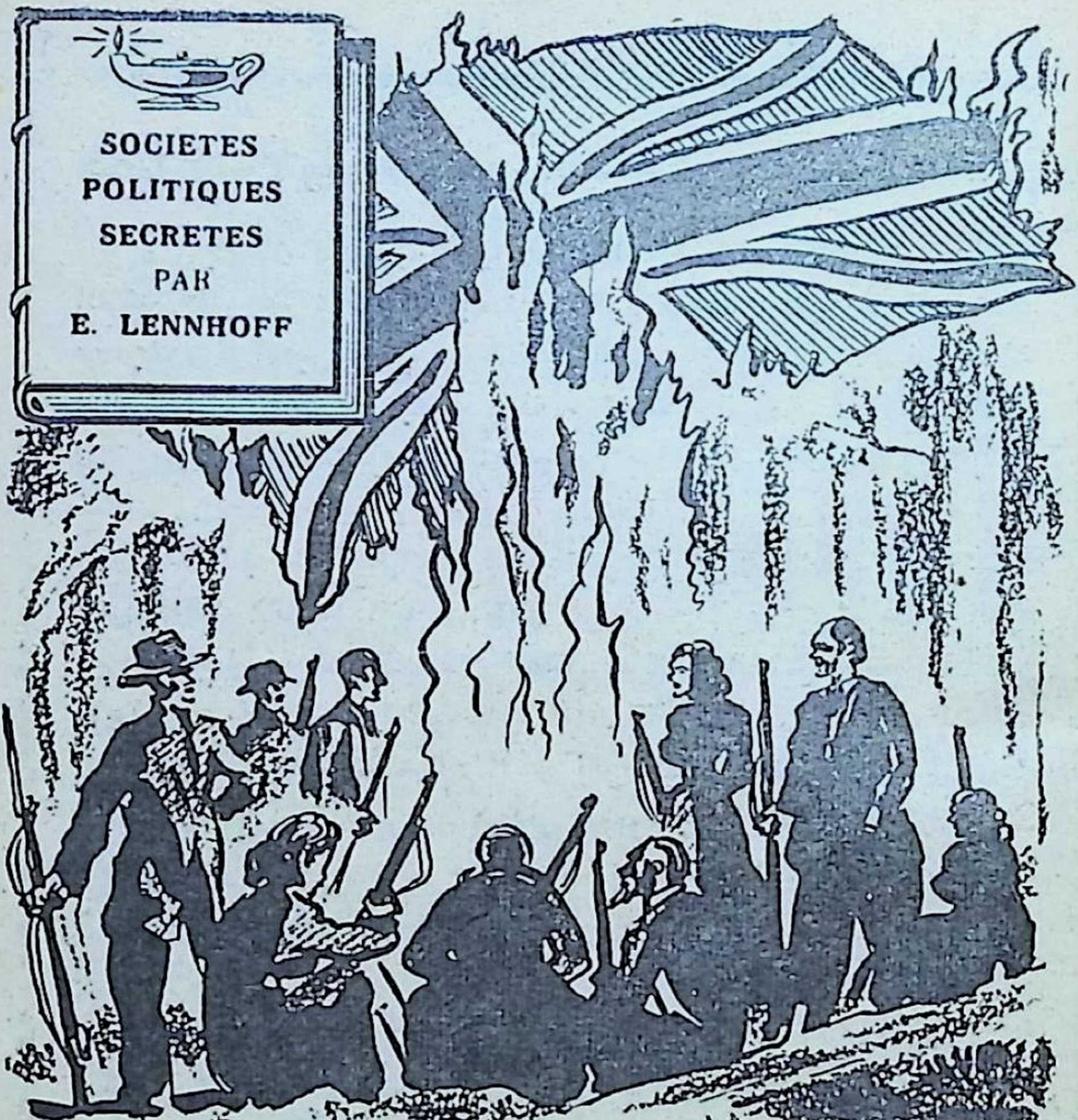

"السين - فين"

الجمعية التى ناضلت فى سبيل تحرير إيرلندة
وحملت الإرهاب إلى قلب بلاد الانجليز !

للمؤرخ العالمى "يوجين لينهوف"

تلخيص : ابراهيم موسى

الصدمات تتوالى .. على ((الامبراطورية الشائخة)) !

• قبل أن تفيق بريطانيا من الصدمة التى تلقتها اثر عدوانها الغاشم على مصر ، فوجئت بصدمة أخرى ساعدت على زعزعة ما تبقى من جذور ((الامبراطورية الشائخة !)) .. فوجئت بانبعاث حركة التحرر الايرلندية من جديد ، لضم ايرلندا الشمالية الى الجزء الجنوبى الذى استطاع أن يتحرر من براثن الاستعمار البريطانى فى سنة ١٩٤٩ ، وأن يغدو جمهورية مستقلة ..

ولا ترهب بريطانيا شيئا قدر ما ترهب حركة التحرير الايرلندية، التى أذاقت الانجليز الاهوال خلال قرنين من الزمان ، ثم عادت اليوم تثير الذعر فى نفوسهم .. فان اتصال ايرلندا بانجلترا يتيح للفدائيين الايرلنديين أن يتسللوا الى قلب لندن نفسها .. حتى لقد نشطت ادارة بوليس ((اسكتلنديارد)) عن بكرة أبيها ، تنقب عنهم فى أرجاء لندن ، وتفتش كل شبر من مجلس العموم ودار رئاسة الوزارة ، عند وصول انطونى ايدن عائدا من جمايكا ، اذ نمى اليها أن جمعية ((السين - فين)) الايرلندية أعدت استقبالا جهنميا .. يليق بشيطان الاستعمار !

وفيما يلى ، يقدم لك ((كتابى)) قصة حركة التحرير الايرلندية ، وجمعية ((السين - فين)) التى لم تترك أية جمعية سرية فى أوربا أثرا فى التاريخ أعمق من الاثر الذى أحدثته هى ، والذى لا يزال ممتدا الى اليوم .. وربما الى الغد !

((كروموبل)) يتخلص من ثلث سكان ايرلندا !

• يرى فريق من المؤرخين أن ظهور الحركات السرية فى ايرلندا يرجع الى سنة ١٧٦١ ، عندما اتحد الكاثوليك هناك ليقاوموا الاضطهاد الذى شنه ملوك بريطانيا البروتستانت على

مذهبهم . ولكن بعض المؤرخين يرتد بتلك الحركات الى ماقبل ذلك بقرن كامل ، أى الى عهد الملك تشارلس الاول .. وكان قائدها الاول « روری أومور » قد درس الحركات الثورية وفنون الارهاب فى جمعية « جاردونا » الاسبانية ، ثم عاد الى الى بلاده ، فأنشأ جمعية على هذا النمط أسماها « جماعة المدافعين » . وقد بلغ من قوة شخصية هذا القائد ، وصدق دعوته ، أن كان أتباعه يقسمون يمين الطاعة باسم « الله ، والسيدة العذراء ، وروری أومور » ! !

وفى ٢٣ أكتوبر سنة ١٦٤١ ، أعلنت الجمعية أولى ثوراتها، اذ قامت بذبح البروتستانت جزاء اضطهادهم للكاثوليك ، ثم لاذ أعضاؤها بالجبال ليقيموا طقوسهم الدينية التى كانت محرمة قانونا . وكان تشارلس الاول قد أعدم ، وتولى كرومويل رئاسة الحكم الجمهورى الاوحد فى تاريخ بريطانيا ، فأرسل حملة لتطهير ايرلندا من «المدافعين» ، و «لتلقى بهؤلاء فى المحيط الاطلسى » ! .. **وقد ارتكب الانجليز من الفظائع ما يندى له جبين الانسانية خزيا ـ كعادتهم ـ وذبحوا فى مدينة (دروجيدا) وحدها أربعة آلاف رجل ، وعددا كبيرا من النساء والاطفال ، وصادروا أملاك الثوار .. حتى اذا قدر لهذه الحملة أن تنتهى بعد ست سنوات ـ بعودة الملكية الى انجلترا ـ كان عدد ضحاياها قد بلغ ستمائة ألف ايرلندى ، أى ما يزيد على ثلث سكان ايرلندا اذ ذاك !..** فضلا عن أن حوالى أربعة وثلاثين الف ايرلندى من أبسل المحاربين ، فروا من وطنهم وتطوعوا فى جيوش أجنبية ، كما نفت بريطانيا اكثر من عشرين الف ايرلندى ـ معظمهم من أرامل وأبناء الضحايا والذين صودرت أموالهم ـ الى ولايتى (فرجينيا) و (كارولينا) فى الولايات المتحدة !

اضطهاد سياسى واقتصادى ودينى !

● **واذا** كانت هذه المحن قد قضت على « جماعة المدافعين »،

الا أنها لم تقو على كبت روح العـــداء للانجليز فى صـــدور الايرلنديين . فمع أن الحركة اتخذت شـــكل الصراع بين البروتستانت والكاثوليك ، الا أنها فى واقعها كانت جهادا بين الحاكمين السالبين لحرية ايرلندا ، وبين الاحرار الذين أبوا أن يظلوا ضحايا للاستعباد .

على أن الاضطهاد انتقل الى ميدان الاقتصاد أيضـــا ، فأصبح رجال الصناعة الايرلنديون لا يملكون تصدير منتجات مصانعهم لغير انجلترا وحدها ، حيث تفرض عليها رسوم جمركية عالية ، ترفع من أسعارها فى الاسواق الانجليزية ، فلا تلقى اقبالا .. وكان الهدف الاول لذلك ، هو القضاء على صناعتى الصوف والحرير ، اللتين كان اقتصاد ايرلندا يقوم عليهما !

كذلك تمثل الاضطهاد الاقتصادى – والدينى فى الوقت ذاته – فى تحريم شراء الاراضى الزراعية على الكاثوليك ، وفى اجبار ملاك الاراضى الباقين ، والمزارعين المستأجرين ، على أن يقدموا ثلثى انتاجهم للسلطات الانجليزية، فأصبحت المحصولات لا تدر على أصحابها مايفى بقوتهم !.. وأدت هذه السياسة المخزية الى أن فتكت المجاعات بالكثيرين من السكان . وكانت هذه التدابير كلها مخالفة لمعـــاهدة « لمريك » التى عقـــدها الايرلنديون الاوائل مع بريطانيا لضمان حريتهم الاقتصادية والدينية !

وكان من جراء هذا الضـــغط أن عادت الحركات السرية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، تسعى الى الانتقام . وكانت على رأس هذه الحركات جمعية « الفتيان البيض » ، التى كانت قوية الشكيمة ، شديدة البأس

سياسة « فرق تسد »

• كانت هذه الجمعية تتألف من المزارعين الذين أصبحوا

بلا مورد يمينهم ، فأخذوا يقومون بحملات ليلية لمهاجمة مزارع الذين كانوا يسومونهم الخسف ، مرتدين فوق ثيابهم أقمصة بيضاء سابغة ، تجعلهم يبدون فى الظلام كالاشباح . وكانوا ينزعون الاسوار التى ضمت مزارعهم المصادرة الى مزارع الغاصبين ، ويهدمون دور هؤلاء الغاصبين ويقضون على ماشيتهم . وقد يقتلون اذا اقتضت الظروف .

وأزعج نشاط الجمعية بريطانيا ، فأصدرت قانونا فى سنة ١٧٦٢ لمحوها من الوجود ، وانتدبت اللورد «روجيلا» ـ وكان سفاحا ذائع الصيت ـ لتنفيذ هذه المهمة ، ولكنه فشل ، فلم ينقض عامان حتى كانت الجمعية قد اتسعت واتخذت لها فروعا بأسماء شتى . واذ ذاك لجأ الانجليز الى احدى حيلهم التى زخر بها تاريخهم .. لجأوا الى استغلال الدين للتفرقة بين أبناء الامة الواحدة ، فأقنعوا الايرلنديين البروتستانت بأن الحركة القائمة حركة دينية وليست فورة قوميـــة ، وبذلك أغروهم على تأليف عصابات تحارب فى صف الاستعمار !

على ان الافكار والآراء التى سبقت الثورة الفرنسية ، وجدت هوى من نفوس الايرلنديين جميعا .. وبعد أن كان لواء الكفاح من أجل الحرية فى أيدى الكاثوليك وحدهم ، قام أتبـاع الكنائس غير الكاثوليكية يطالبون بانفصال أيرلندا عن بريطانيا، وقيام الحكم الجمهورى فيها .. وكان من أسباب هذا التحول، اشتداد الاحوال الاقتصادية سوءا فى ايرلندا

وكانت بريطانيـا فى هـذه الاثناء قد انهمكت فى حرب الاستقلال الامريكية ، فخشيت أن تتطور الحركة الايرلندية الى حرب أخرى ، ومن ثم اباح الانجليز للكاثوليك فى ايرلندا حق شراء وتملك الاراضى ، واباحوا للبروتستانت أن يتساووا مع أبناء عقيدتهم من البريطانيين فى الامتيـازات التجـارية التى يتمتعون بها فى المستعمرات . كما وافقوا على انشاء برلمـان أيرلندي محلي ، يتمتع بسلطة تشريعية مطلقة .. وأصبحت

لايرلندا حكومة ذات استقلال ذاتى ، لا يربطها ببريطانيا سوى الولاء للتاج البريطانى

الايرلنديون يحاربون فى صفوف الامريكيين !

• **وكان** من المنتظر أن يخفف هذا التطور من حدة الحركة الاستقلالية الايرلندية ، لولا أن حرب الاستقلال الامريكية كانت قد بعثت الروح العسكرية فى ايرلندا ، فتطوع كثيرون من أبنائها فى صفوف الامريكيين المجاهدين ، كما أقبل كثيرون من الشباب على التدرب على حمل السلاح داخل ايرلندا

وفى عام ١٧٨٣ ، عقد مندوبو ١٥٠٠٠ من الجنود غير النظاميين جمعية وطنية عامة ، وقفت ضد أنصار البرلمان وكبار الملاك وحملة الالقاب .. فقد أبى أبناء الطبقة الوسطى وعامة الشعب أن يقنعوا بالاستقلال الداخلى . ولكن المستعمرين استغلوا هذا الانشقاق ليسلبوا ايرلندا بعض الامتيازات التى كانوا قد نزلوا لها عنها ، فأذكى هذا العمل جذوة النقمة ، وظهرت جمعية سرية جديدة تدعو الى الثورة وانشاء دولة مستقلة جمهورية فى ايرلندا . وسرعان ما انبثت خلايا هذه الجمعية — التى كانت تدعى « الايرلنديون المتحدون » — فى كافة أرجاء البلاد .. وكانت كل خلية تتألف من اثنى عشر عضوا ، تقوم على تنسيق جهودهم لجنة من خمسة أعضاء

ومرة أخرى ، **عمدت بريطانيا الى التفرقة بين الايرلنديين، والسعى بالوقيعة بين البروتستانت والكاثوليك . وكان من نتيجة هذا أن ألف الفريق الاول جمعية أطلق عليها اسم « الاورانجيست » .. وسرعان مادار القتال علنا بين جماعة الايرلنديين المتحدين وجماعة « الاورانجيست » فى ٢١ سبتمبر سنة ١٧٩٥** . وادرك قادة الحركة الوطنية ان المستعمر يحشد كل الاساليب ليئد حركتهم ، فاضطروا الى ان يلتمسوا العون من الخارج . وبالفعل ، سافر لورد « ادوارد فيتزجيرالد »

و « آرثر أوكونور » الى سويسرا ، حيث عقدا محادثات مع الجنرال « هوش » - أحد قادة الثورة الفرنسية - واتفق ثلاثتهم على أن يوفد جيش من ثوار فرنسا الى ايرلندا ..

على أن القدر كان ضد هذه الحملة . فقد هبت عاصفة هوجاء على الاسطول الفرنسي وهو في طريقه الى ايرلندا ، وكانت سفينة القائد العام بين السفن التي عجزت عن الوصول الى الساحل الايرلندي ، فاضطرت بقية الحملة الى العودة لفرنسا دون أن تؤدي مهمتها . وكانت الحكومة البريطانية في تلك الاثناء قد بثت - بين الوطنيين الايرلنديين - عيونا وأرصادا من الخونة لم يفطن اليهم المجاهدون الا عندما فوجئوا في سنة ١٧٩٧ بحركة اعتقال ، على أثر ايفادهم بعض المندوبين الى فرنسا من جديد . واضطربت الحركة القومية وقتا ما ، ولكن اللورد « ادوارد فيتزجيرالد » لم يلبث أن عاد من الخارج لينظم صفوف الحركة .. ولم يمض طويل وقت حتى اعتقل هو الآخر ، ومات .. وقيل ان موته كان نتيجة جرح أصيب به أثناء القبض عليه !

وأعلنت اثر ذلك الاحكام العرفية في ايرلندا . ولكن القسوة الصارمة لم تخمد روح الثورة .. **فما لبث الوطنيون أن التحموا مع أذناب الاستعمار - « الاورانجيست » - في حرب أهلية ، ناصرت السلطات البريطانية فيها أعوانها الذين ارتكبوا من الفظائع ما خرج بهم عن مبادىء الانسانية .. فكانوا يجلدون النساء والاطفال ، أو يعلقون الواحد منهم من احدى**

ذراعيه ، أو يضعون البارود على رأسه ثم يشعلون النار فيه !

.. ولكن النساء والاطفال كانوا أقوى جنانا ، وأشجع روحا منهم ، فلم تفد هذه الاساليب فى حملهم على الوشاية بالمجاهدين أو كشف مخابىء أسلحتهم !

واستمر هذا الارهاب شهورا ، ثم أقبل المدد من فرنسا مرة أخرى . فقد وفدت على ايرلندا ـ فى أغسطس سنة ١٧٩٨ ـ قوة فرنسية التحمت فى قتال مع القوات البريطانية التى كانت تفوقها عددا ، وعدة ، ومواقع حصينة .. وانهزم الفرنسيون .. وشتتت العاصفة المدد الذى كان فى طريقه اليهم من فرنسا .. وانكسر جيش المجاهدين الايرلنديين ، فتحطمت بذلك جمعية الايرلنديين المتحدين

الايرلنديون ((يمهدون طرقهم)) .. بعظام الانجليز !

• **ولكن** هذه الاحداث كلها لم تفت فى روح الاحرار ، حتى عندما عادت انجلترا فمنحت ايرلندا فى سنة ١٨٠١ نوعا من الحكم الذاتى تحت التاج البريطانى .. فقد كان هذا الحكم الذاتى أضيق نطاقا من سابقه ، كما نكثت بريطانيا بوعد كانت قد قطعته على نفسها ، فلم تقم المساواة بين الكاثوليك والبروتستانت . . ومن ثم تتابعت الفتن . وما لبثت أن قامت الجمعيات السرية فى كل مكان ، وقد انتفع زعماؤها من التجارب السابقة ، فزادوا نظمهم احكاما ، وضاعفوا من حرصهم على سرية حركاتهم ، وأخذوا يستعملون كلمات السر ليتفادوا تسلل الجواسيس الى صفوفهم .

وكانت أقوى هذه الجمعيات ، جمعية أطلق عليها اسم ((أبناء القديس باتريك)) ، كان من طقوسها أن يسأل العضو قبل أن يؤدى يمين الولاء لرسالة الجمعية : ((ماطول هراوتك؟)) .. وكان عليه أن يجيب : ((ان طولها يكفى للوصول الى أعدائنا))

- ولكن الطريق شاقة ؟ !
- **لسوف نصلحها !**
- وبأى شيء تمهدها ؟
- **بعظام المستعمرين وأعوانهم !**

الا أن القدر كان يبيت لايرلندا نكبة جديدة فى سنة ١٨٦٤ .. فقد أصيب محصول البطاطس بوباء أتلفه - وهو المحصول الرئيسى للتغذية - فتفشت المجاعة فى ايرلندابدرجة لم يسبق لها مثيل . وبدلا من أن يخف كبار الملاك - الذين كانوا يعيشون فى ترف بانجلترا ، بعيدا عن أراضيهم - الى نجدة مواطنيهم ، عمدوا الى التشدد فى مقاضاتهم ايجارات الاراضى ، والحجز على ما كان لديهم من حبوب يمسكون بها رمقهم ! .. وبينما قضى الجوع على ٣٠٠ ألف ايرلندى فى ذلك العام ، كان كبار الملاك يجنون الارباح الطائلة من وراء مايصدرون من حبوب ! .. واضطر كثيرون من الاهالى الى الهجرة الى أمريكا ، ولكن القدر أرسل وراءهم وباء « التيفوس » ، فقضى على ١٧٠٠ كانوا يمثلون خمس عدد المهاجرين !

أمريكا ترد الجميل !

● **وقبل** ان تنقضى خمس سنوات على بدء هذه النكبة ، كان عدد ضحايا المجاعة يزيد على المليون ، وعدد المهاجرين مثلهم . ولم يبق فى ايرلندا سوى ستة ملايين من أهلها .. **ومع ذلك ، فان وطأة الاضطهاد لم تخف لحظة ، بل كان المستعمرون يطردون أسرات الفلاحين من دورهم ومزارعهم ، مما أذكى جذوة الكراهية ضد الانجليز ، وأدى الى عودة الجمعيات السرية الى النشاط . وكانت أقواها جمعية « الاخاء الايرلندى الجمهورى » ، التى أنجبت الزعماء والمجاهدين الذين حرروا ايرلندا الجنوبية من الاستعمار !**

وكانت الجمعية فى بداية عهدها بعيدة عن قبضة الاستعمار ،

اذ انشأها - فى باريس - الايرلنديون الذين هجروا بلادهم فرارا من البطش ، ونظموها على نسق جمعية «الكربونارى» التى حررت ايطاليا . ثم انتقل المجاهدون الايرلنديون الى أمريكا ، حيث أطلقوا على جمعيتهم اسما جديدا هو «الفينيون» .. وهو اسم عنصر من قدماء المحاربين الذين عرفوا بالبأس والسطوة . ومن أمريكا ، بدأت الجمعية تعمل لفصل ايرلندا عن انجلترا ، وانشاء جمهورية مستقلة . وبلغ من دقة تنظيمها ان قسمت على دوائر غير مستقرة المقام ، تضم كل منها مائة عضو .. ولم يكن قادة الحركة معروفين الا لرؤساء الدوائر فحسب !

ومن الغريب أن الكنيسة الكاثوليكية وقفت من هذه الجمعية موقف العداء فى البداية ، اذ كان القسم الذى يؤديه العضو - عند انضمامه - يحتم عليه أن يكتم أسرار الجمعية حتى عن القس الذى يدلى اليه باعترافاته ! .. **واستطاعت الجمعية ، فى السنوات القلائل التى تلت سنة ١٨٦٠ ، أن تجمع حوالى ربع مليون من الجنيهات فى (شيكاغو) ، فابتاعت الاسلحة وأخذت تهربها الى أنصارها فى ايرلندا .. وسرعان ما بدأت الاحداث تترى فى المدن الايرلندية الكبرى**

ولكن انجلترا لم تلبث أن أوعزت الى جمعية «الاورانجيست» بأن تمد نشاطها الى الولايات المتحدة وكندا ، لتناوىء الايرلنديين الوطنيين هناك ، فدار الصراع بين الجمعيتين فى المهجر !

« الاب الروحى للاستقلال » !

• وفى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، اشتد نشاط حركة التحرير الايرلندية ، وتزعمها رجل من كبار دعاة الاصلاح ، هو « تشارلس ستيوارت بارنيل » ، الذى عرف بلقب « الاب الروحى للاستقلال » ! .. وكان يعاونه رجل جرىء من جمعية « الفينيين » يدعى « ميشيل دافيت » ،

فأحدث الاثنان انقلابا كبيرا بما وضعا من مشروعات لتنظيم المقاومة وللاصلاح الزراعى . بيد أن القدر كان لايزال يبيت لايرلندا صدمات جديدة .. فقد عادت المجاعة تهدد البلاد من جديد فى سنة ١٨٧٩ ، لنقص محصول البطاطس ، فبدأ كبار الملاك وأعوان الإستعمار فى طرد الفلاحين من المزراع ومن دورهم ، لعجزهم عن دفع الايجارات .. ومن ثم نشطت الجرائم ، واعتبر الوطنيون كل من يحتل أرض فلاح مطرود ، خارجا على القانون ، يجوز قتله ونهب ممتلكاته !

وكان « بارنل » فى الخارج ، يدعو للقضية الوطنية ، فما أن عاد حتى اعتقلته السلطات مع عدد من أعوانه وأنصاره ، واتهموا بالتحريض على الثورة . واستمر التحقيق والمحاكمة واحدا وعشرين يوما ، ولكن المحلفين لم يجرأوا فى النهاية على اصدار حكم على رجل احتفلت به أمريكا ، وأطلق عليه الايرلنديون المهاجرون هناك اسم « بسمارك ايرلندا » ، فاضطروا الى اطلاق سراحه فى النهاية !

ولكن هذا لم يزده سوى كراهية للمستعمرين ، لاسيما وانهم آذوا أمه واضطهدوها لحماستها الوطنية .. ومن ثم عاد الى نشاطه ، فلم يلبث أن اعتقل مرة أخرى فى سنة ١٨٨١ بتهمة عجيبة ، هى « الاشتباه القانونى » ! .. وكانت الحرائق تنتشر فى الريف ، فحاولت السلطات ان تتهمه بالحث على الفوضى والشغب . ولكن حركة امتناع الفلاحين عن دفع الايجار لكبار الملاك - لاسيما البريطانيين منهم - اشتدت ، وهددت بعواقب اقتصادية خطيرة ، مما اضطر « جلادستون » رئيس الوزارة البريطانية ، الى اخلاء سبيل «بارنل» وصحبه ومفاوضتهم لانهاء الحركة الثورية ..

وانتهى الطرفان الى عقد معاهدة « كليمنهام » ، فاستقال المندوب السامى البريطانى فى ايرلندا احتجاجا !

ظهور جمعية ((السين ـ فين))

• على ان الارهابيين لم يقبلوا هذه المعاهدة ، فلم تنقض اربعة أيام على ابرامها ، حتى اغتالوا المندوب السامى الجديد ونائبه ـ علانية ـ بالخناجر فى (دبلن) .. ومع ذلك فان أحداً لم يستطع اعتقال القتلة ، ولا استطاعت السلطات التوصل الى معرفتهم . ولم تكن لبارنل أتفه علاقة بأولئك الارهابيين ، اذ كانوا أعضاء فى جمعية سرية تدعى ((الايرلنديون المحصنون)) ، لم يكن أعضاؤها يعرفون عن رئيسهم شيئاً سوى أنه كان ضابطا يطلق على نفسه لقب ((رقم ١))

ومع ذلك فقد حامت الشبهات حول ((بارنل)) ، وأوقف تنفيذ المعاهدة .. **بل ان ((جلادستون)) أسقط عن الحكم بسببها ، اذ تحالف فريق من حزبه ـ الأحرار ـ مع معارضيه من حزب المحافظين ، عند مناقشة المسألة الايرلندية فى البرلمان البريطانى . وكان من نتائج ذلك ان تولى المحافظون الحكم ، وتولى ((ارثر بلفور)) منصب وزير الدولة لشئون ايرلندا ، فأمر باتباع سياسة تطرفت فى القسوة الى درجة الوحشية ..**

وكانت هذه التطورات صدمات هدت كيان ((بارنل)) الذى كان قد تجاوز الثالثة والسبعين من عمره ، فمات محسوراً فى سنة ١٨٩١ .. وساد ايرلندا عهد من الارهاب المتبادل : ارهاب من السلطات ، وارهاب من الجمعيات السرية !

وعاد ((جلادستون)) الى الحكم فى بريطانيا ، فحاول من جديد ان يضع نظاما للحكم الذاتى فى ايرلندا ، ولكنه انتهى الى فشل ذريع ..

وكانت جمعية ((الاخاء الايرلندى الجمهورى)) تعمل طيلة هذه الأعوام العديدة فى صمت نحو غايتها ! .. ولكن جمعية اخرى لم تلبث ان ظهرت فى أوائل القرن العشرين فى ايرلندا ذاتها ، فسرعان ما طغى صيتها على صيت ((الاخاء الايرلندى الجمهورى)) .. تلك هى جماعة ((السين ـ فين))

الايرلنديون يحرمون على أنفسهم الالعاب الانجليزية !

• **لم** تكن « السين ـ فين » فى بداية أمرها من جمعيات الكفاح الارهابى ، بل انها قامت على أساس سياسى يهدف الى « تحرير ايرلندا من السيطرة البريطانية وانشاء دولة مستقلة فيها » .. وكان أعضاؤها الاوائل نفرا من الأساتذة والشعراء والصحفيين الذين لم يكتسبوا شهرة ذائعة فى بادىء الامر.

و « سين ـ فين » كلمة ايرلندية قديمة ، معناها « نحن وحدنا » ، وهو هدف كل الحركات الايرلندية ، اذ كانت جميعها تعمل على فصل ايرلندا عن بريطانيا لتنهض كدولة مستقلة قائمة بذاتها ، لا تربطها بالامبراطورية اية رابطة سياسية .. **وقد ذهبت الجمعية فى التحمس لهذا الهدف الى درجة انها كانت تستنكر اشتراك النواب الذين كان ينتخبهم الشعب الايرلندى ـ فى الانتخابات البريطانية العامة ـ فى اجتماعات مجلس العموم البريطانى .. فقد كانوا يبغضون أى مظهر للاتحاد بين بريطانيا وايرلندا ، وكان شعارهم : « لتحيا ايرلندا .. ولتمت بريطانيا »**

وكانت الظروف التى تأسست فيها « السين ـ فين » ـ فى سنة ١٩٠٥ ـ خليقة بأن تجعلها تقوم كحزب سياسى ، اذ كانت بريطانيا قد شرعت فى تلك الأثناء فى اصلاحات واسعة خففت من أحقاد الايرلنديين . ومن ثم انتهجت الجمعية أساليب سياسية ـ بعيدة عن الارهاب ـ فى نشر الدعوة الانفصالية . وكانت تذهب فى تطرفها الى درجة الدعوة لبعث اللغة الايرلندية القديمة ، وتحريم الالعاب الرياضية التى اشتهرت بها بريطانيا ـ مثل « الكريكت » و « الرجبى » و « الهوكى » ـ على الشباب الايرلندى !

الانجليز « يلعبون » بالايرلنديين !!

• **وفى** سنة ١٩١١ ، قدم لورد « اسكويث » ـ زعيم

الاحرار - الى مجلس العموم البريطانى، مشروعا للحكم الذاتى. ولكن هـذا المشروع لم يعرض للمناقشات العامة الا فى سنة ١٩١٢ ، واذ ذاك قوبل بمعارضة شديدة من أعوان الاستعمار فى شمال ايرلنـدا ، الذين ابوا ان يؤول الامر الى الـكاثوليك ، أصحاب الاغلبية . **وبلغ من شدة معارضة ((الاورانجيست)) انهم افسدوا الاحتفال الذى أعدته السلطات فى (بلفاست) - عاصمة الشمال - لتشرشل ، حين زارها بوصـفه وزيرا للبحرية ، واشعلوا النار فى مخزن للبارود ، فاضطر تشرشل الى الهرب عائدا الى انجلترا**

وفى تلك الاثناء ، أخذت الحركة الايرلندية تمتاز بشقين : حركة فى الشمال يتزعمها البروتستانت وتنادى بالتحالف مع بريطانيا ، وحركة فى الجنوب لاترضى عن الاستقلال والانفصال عن بريطانيا بديلا .

وبينماثار الشماليون على مشروع الحكم الذاتى لانهم خشوا ان يكون الحكم للاغلبية الكاثوليكية ، ثار الجنوبيون لان المشروع لم يكن يحقق أمانيهم . وكانت الاسلحة لاتزال تتـدفق من الخارج على المجاهدين فى هذه الاثناء !

واستغل المستعمر الشقاق بين الفريقين لخدمة أغراضه ، فانفق بسخاء فى سبيل اثارة انصاره على الوطنيين، حتى اذا كان يوم الاحد ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١٢ ، ألقيت الخطب فى خمسمائة كنيسة بروتستانتية ضد الحكم الذاتى الذى سيجعل السلطات فى أيدى الـكاثوليك ، وزحف عشرات الالاف من المأجورين - الذين اندس الجنود الانجليز ورجال البوليس بين صفوفهم - الى قصر الحاكم ، ليقسموا على انهم لن ينوا عن مناهضة الحكم الذاتى الذى يهدد حياتهم وأموالهم وحرياتهم المدنية والدينية .. وعلى ان يظلوا من رعايا الملك جورج الخامس ، المحافظين على وحدة الامبراطورية !

وكان ((كارسون)) - زعيم هؤلاء المأجورين - يصيح فى

خطبه مناديا الوطنيين الاستقلاليين : « لننفض هذا الامر بطريقة حاسمة .. تعالوا الينا ونازلونا ! » . ولكن الجنوبيين لزموا الهدوء ، وان راحوا يعبئون قواهم .. اذ كانت أفواج المتطوعين تتدفق على الجمعيات السرية .

حرب ١٩١٤ تنقذ ايرلندا من الحرب الاهلية !

٥ **وتحولت** « السين ـ فين » الى حزب للجهاد والحرب دفاعا عن النفس .. وتزعمت حركة تنسيق تدابير الدفاع ، بعد اجتماع عقد فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ وضم الهيئات المناضلة . **واشتد تدفق الاسلحة المهربة على الفريقين ، وباتت البلاد ـ فى أواخر يوليو سنة ١٩١٤ ـ على ابواب حرب أهلية شعواء،لولا أن ((مارس)) ـ اله الحرب ـكان يتطلع الى ميدان أوسع نطاقا .. اذ قامت الحرب العالمية الاولى فى تلك السنة !**

وأرادت انجلترا ان تهدىء من التوتر فى ايرلندا ، لتتفرغ الى اعدائها ، ولكن الخبث الاستعمارى لم يشأ ان يتخلف فى الحل الذى ارتآه فرصة لخدمة أغراضه ! .. فقد زعمت انجلترا انها ستفصل بين الفريقين ، بأن تفصل المقاطعات الشمالية الست ـ التى تؤلف (الصتر) ، والتى تضم الناقمين على الحكم الذاتى ـ عن الجنوب .. فتمنح الجنوب استقلالا ذاتيا ، ويبقى الشمال تابعا لبريطانيا ، التى كانت الفائزة الوحيدة .. اذ ادت بذلك الى تفتيت ايرلندا ، فضلا عن ان المقاطعات الشمالية كانت ذات قيمة استراتيجية واقتصادية لاتستطيع الاستغناء عنها .

وهب الجنوب يقاوم التقسيم ، فدفع الانجليز «كارسون» الى المطالبة بأن يكون التقسيم وافيا ، فلا يقتصر الشمال على المقاطعات الست وحدها . ومرة أخرى ، تظاهرت انجلترا بانها تفصل بين الاخوة المتنازعين ، اذ ارجأت تنفيذ المشروع الى مابعد انتهاء الحرب .

الاحرار يعلنون حياد ايرلندا !

• على ان ايرلندا كانت مضطرة الى تحديد موقفها من الحرب العالمية الاولى .. ووجد الوطنيون الجرأة الكافية لان يعلنوا حياد ايرلندا ، بل انهم أبدوا عطفا على المانيا ، قائلين انها ليست معادية لايرلندا ! .. **وانطلقت الصيحة مدوية : « اعدوا الاسلحة للعدو الداخلى أولا .. لن يخرج من البلاد ايرلندى واحد ليحارب من أجل الامبراطورية البريطانية » . وكتب السير « روجر كيسمنت » فى صحيفة « ايرلندا الحرة » (صحيفة السين ـ فين) يقول : « ليس لدى ايرلندا دافع واحد يدفعها الى معاداة الشعب الالمانى أو محاربته » !**

وعندما اشتد اوار الحرب ، بدأت بريطانيا تسعى لتأليف جيوش من الايرلنديين تلقى بها الى المعمعة ، ولكن الوطنيين كانوا يقولون « ان الفرصة لتحرير ايرلندا تزداد انفساحا كلما اشتدت الضائقة على انجلترا » !.. وتولت الزعامة الوطنية فى تلك الفترة جماعتا « السين ـ فين » و « الاخاء الجمهورى » ، واضطلعت الجماعة الاخيرة باتخاذ الاستعدادات لانتهاز تلك الفرصة ، وتحرير ايرلندا من الامبراطورية الغاشمة .. ومن ثم أخذ المال يتدفق من المهاجرين الايرلنديين . وبدات صفوف المتطوعين فى الانتظام . ومع ان هذه الحركة لم تكن سوى جزء من الحركة السرية العامة ، الا ان هذا الجزء قرر ان يفتدى الشعب ، فان فشل ، كان مجهوده كافيا لان يوقظ فى الشعب الايرلندى احترامه لنفسه واعتداده بكرامته ..

وكان زعيم هذا الجزء هو « توم كلارك » ، احد اعضاء « الفينيين » القدامى ، وكانت سنه اذ ذاك ٧٠ سنة ، قضى منها ست عشرة سنة فى حبس انفرادى اراد به الاستعمار ان يهزم روحه ، فلم يزده الا قوة وحماسا . وكان كلارك يتخذ من الجزء الخلفى لحانوته ـ الذى كان يبيع فيه التبغ ـ مخبأ للمتآمرين . حتى اذا خشوا العيون ، الفوا جمعية ذات صبغة

أدبية فى الظاهر . وما لبثوا ان اطلقوا « رواد الثورة » فى ارجاء البلاد ! .. وكان هؤلاء الرواد جيشا من راكبى الدراجات الذين أخذوا ينتقلون من قرية الى قرية، لنشر الوعى السياسى، واطلاع الفلاحين على حقيقة القضية الايرلندية ، وتوزيع المنشورات الثورية ، وكشف أكاذيب انجلترا فى الدعاية التى كانت تنشرها عن الحرب .. ولم تردعهم عن ذلك اعتقالات ولا مطاردات !

المانيا .. حليفة ايرلندا !

• **ولم** يكن للثوار بد من ان ينشدوا المعونة الخارجية .. لاسيما من أعداء بريطانيا فى الحرب ! .. وكان السير « روجر كيسمنت » - وهو ايرلندى عمل فى السلك الدبلوماسى البريطانى ، ثم هالته سياسة بريطانيا فى وطنه فهجر منصبه وانضم لحركات التحرير - يطوف بكندا والولايات المتحدة ، لجمع الاموال وشراء الاسلحة وتهريبها للوطنيين، عندما قامت الحرب، فاسرع عائدا الى أوربا ، واستطاع ان يفلت من شباك البريطانيين وان يصل - بعد مغامرات خطرة - الى المانيا ، حيث عقد مباحثات مع المسئولين عن نوايا المانيا ازاء ايرلندا اذا ماخرجت من الحرب مظفرة . **وكان من نتائج هذه المباحثات ان أصدرت الحكومة الالمانية بيانا فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٤ ، أكدت فيه انها لاتريد للشعب الايرلندى الا كل خير ، وان الالمان لن يدخلوا ايرلندا كاعداء وغزاة ، وانما كحلفاء وأصدقاء !**

وتم الاتفاق على ان تخترق بارجة المانية نطاق الحصار البريطانى ، وان تسعى الى الساحل الجنوبى الغربى لايرلندا ، حيث تنزل أسلحة وذخائر للثوار .. على ان تتبعها غواصة المانية تحمل السير « روجر كيسمنت » واثنين من الايرلنديين كانا قد تسللا فى زى القساوسة لينشرا الدعوة التحريرية بين الاسرى - من الذين وقعوا فى أيدى الالمان - من الايرلنديين الذين تطوعوا فى الجيش البريطانى .

سفينة غامضة .. فى طريقها الى ايرلندا !

• وحدد الاحرار الايرلنديون يوم سبت السعف السابق لعيد الفصح من عام ١٩١٦ ، موعدا للثورة على بريطانيا .. واتفقوا مع حلفائهم الالمان على ان يوافوهم بين يوم الجمعة المقدسة (اليتيمة) ويوم عيد الفصح - اى بين ٢٠ و ٢٣ أبريل - بامدادات من الاسلحة والذخائر ، فى خليج (ترالى) ، عند الساحل الغربى لايرلندا ..

وكانت بريطانيا قد أحست بنذر توحى بالشر ، فاستعانت المخابرات السرية البريطانية بزميلتها الامريكية ، حتى عرفتا دقائق هذا الاتفاق ، فتأهبت السلطات لاحباط الثورة ..

وفى أوائل ابريل سنة ١٩١٦ ، غادرت ميناء (لوبك) الالمانى سفينة غامضة ، اذيع أنها تقصد البحر الابيض المتوسط ، حتى اذا هبط عليها أول مساء وهى فى عرض البحر ، تغيرت حالها ، فلما أسفر الصباح ، لم يكن لها وجود فى البحر ، وان بدت فى عرضه سفينة تدعى « أود » ، قيل انها كانت فى طريقها الى فنلندا ، لتثير الفنلنديين حتى تعرقل المانيا نشاط روسيا !

وبهذا التضليل ، وبالتزام الساحلين السويدى والدانيمركى المحايدين ، استطاعت السفينة الغامضة ان تتسلل خلال الحصار البحرى البريطانى ، وان تصل فى يوم الخميس المقدس - السابق على عيد الفصح - الى جزيرة (انشتو سكرت) عند مدخل خليج (ترالى) فى غرب ايرلندا . وكان من المقرر ان تلتقى هناك بالغواصة الالمانية التى تحمل السير « روجر كيسمنت » وزميليه « مونتيت » و « بيلى » . ولكن انتظارها طال ، دون ان تظهر اية اشارة !

وعند ظهر اليوم التالى ، فطن بحارة السفينة الى اقتراب بارجة بريطانية مسلحة بالمدافع ، فأسرعت بالخروج الى عرض البحر ، ولكنها وجدت طريقها مسدودا بطرادات

بريطانية ، ثم صدرت اليها أوامر من سفينة القيادة البريطانية بأن تتبعها .. فما كان من الربان الا أن أمر رجاله بارتداء ثيابهم العسكرية الالمانية ، ليكونوا اسرى حرب ، وحتى لايعدموا باعتبارهم من مهربى الاسلحة .. **وتبعوا سفينة القيادة ، حتى اذا اقتربوا من الميناء الذى قادتهم اليه ، هبطوا الى قوارب النجاه ،ورفعوا العلم الابيض،وأسرعوا يبتعدون عن سفينتهم. وان هى الا دقائق ، حتى انفجرت السفينة الالمانية بكل ماكان فيها من أسلحة وذخائر !**

أما الغواصة التى كانت تحمل « كيسمنت » وزميليه ، فكانت لها قصة غريبة .. اذ انها أقبلت على مكان اللقاء فى الموعد المتفق عليه ، ولكنها اذ رأت السفينة الالمانية فى مظهرها المستعار ــ حتى لقد ظنتها سفينة بريطانية ! ــ أسرعت بالابتعاد عنها ، وانزلت « كيسمنت » فى قارب من المطاط حمله الى الشاطىء ، بينما انطلقت هى عائدة ..

النحس يلازم خطوات كيسمنت !

• وفى صباح يوم الجمعة اليتيمة ، عثر فلاح ايرلندى ــ على الساحل الرملى لخليج (ترالى) ــ على قارب من مطاط به خنجر ، كما عثر فى بقعة قريبة على صندوق ذخيرة ، وثلاثة مسدسات ، وخرائط لايرلندا ، وعلم ايرلندى ، وثلاثة معاطف وجد فى جيب أحدها تذكرة سفر فى عربة النوم بقطار (برلين ــ ولهيلمسهافن) فى ١٢ ابريل !

وبعد قليل ، عثرت داورية بريطانية ساحلية على لاجىء مختبىء بين انقاض مبنى مهدم . واذ عجز عن اثبات شخصيته ــ زاعما انه اديب يدعى « ريتشارد مورتون » ــ اقتيد الى أقرب مخفر للبوليس . وفى الطريق ، فوجىء وهو يحاول التخلص من ورقة كانت معه ، فانتزعت منه .. وتبين انها تحتوى على فقرات من برقيات تلقاها عن تهريب اسلحة الى

ايرلندا .. ولم يكن ذلك «الاديب» سوى «كيسمنت» نفسه ، فقد لازم النحس خطته بكافة أجزائها .. وكان قد لجأ الى المبنى المهدم فى انتظار سيارة تفد لنقله ، وبها اربعة من رجال الحركة السرية ، ولكن السيارة انزلقت أثناء اسراعها وسقطت فى نهر ، فغرق ثلاثة من ركابها .. ونجا السائق ففر هاربا !

وأدى هذا النحس الى اضطراب فى صفوف الثوار . وكانت الجمعيات السرية قد وحدت صفوفها تحت قيادة زعيم يدعى « كونوللى » ، اختير ليكون قائدا عاما للثورة .. فلما نمى الى اللجنة العليا للمقاومة ان السفينة الالمانية قد اخفقت فى انزال الاسلحة الى الساحل، قررت أن تبادر الى الثورة قبل أن تفاجئها السلطات البريطانية .. ولكن البروفيسور « ماكنييل » ــ الذى كان يرأس الناحية السياسية للثورة ــ كان قد أرسل الى المتطوعين يأمرهم بالغاء قرارات الحشد والتعبئة ، دون ان يدرى بما أعتزمته اللجنة العليا .. ومن ثم كان كثيرون من المتطوعين قد سافروا الى مواطنهم فى الاقاليم قبل صدور قرار اللجنة .. ولم يبق عند بدء الثورة سوى ٩٠٠ متطوع ، من ٣٠٠٠ ، تولى قيادتهم زعيم ثورى يدعى « باتريك بيرس » ، كان فى الاصل روائيا وشاعرا وصحفيا ..

ولم يجزع « بيرس » لما أصاب قواته من نقص ، بل انه بادر الى تقسيمها الى وحدات لاحتلال المراكز الستراتيجية الهامة فى (دبلن) عاصمة الجنوب . وفى منتصف الساعة الثانية عشرة من يوم الاحد ، تلقى مقر نائب الملك فى ايرلندا رسالة تليفونية بأن الثوار احتلوا المركز الرئيسى للبوليس ، وعدة مبان حكومية ، ومصنعا للبسكويت قوى البنيان ، كما نسفوا قناطر (اشتنون) ، ورفعوا العلم الوطنى على كل تلك الاماكن ! .. وتألفت حكومة مؤقتة لايرلندا ، اشرفت على القتال الذى دار فى الشوارع والبيوت .. ولكن الامدادات البريطانية تدفقت من كل مكان ، فسقطت معاقل الثوار تباعا .

« كونتيسة » .. تقود حامية فى مدرسة !

٠ **وكان** آخر معقل استسلم ، مبنى مدرسة الطب . وعندما خرج حماته لتسليم أنفسهم ، كانت تتقدمهم سيدة فى ملابس الفدائيين العسكريين الخضراء ، تجلى الالم واضحا على محياها وهى تقبل مسدسها لتقدمه الى قائد الاعداء .. وكانت تلك المجاهدة هى « كونتيسة ماركيوتيز » !

وفى معقل آخر ، لم يخرج للاعداء سوى قائد الحامية ، فسلم نفسه للقائد البريطانى قائلا : « افعلوا بى ماشئتم ، ولكن احسنوا معاملة رفاقى ! » .. **ولم يكن ذلك الفدائى سوى « ايمون ديفاليرا » ، الذى كان مدرسا للعلوم الرياضية ، ثم تطوع مع الفدائيين ، وجرح قبل ذلك فى معركة مع العدو أثناء تهريب الاسلحة الى ايرلندا !**

وأسفرت الثورة عن محاكمة خمسة عشر زعيما ـ بينهم كيسمنت ـ بتهمة الخيانة العظمى ، واعتقال ٣٥٠٠ فدائى . أما الزعماء ـ أعضاء هيئة القيادة العليا للثوار ـ فقد أعدموا جميعا ، اللهم الا « ديفاليرا » .. **فقد أوعز القدر الى الطغاة أن يبدلوا حكم الاعدام بالنسبة له الى الاشغال الشاقة المؤبدة ، اذ كان قد اختاره ليقود مواطنيه بعد ذلك الى الحرية !**

وكسبت بريطانيا المعركة ، ولكنها خسرت ايرلندا الى الابد ، كما خسرت تقدير الرأى العام العالمى ، الذى استنكر فظائع الانجليز .. وكان من جراء ذلك ان سقطت الوزارة البريطانية

وخلفتها وزارة ائتلافية برئاسة « لويد جورج » ، فكان أول ما أقدمت عليه ان سعت الى التقرب الى الايرلنديين ، بأن أفرجت عن المعتقلين ، ثم استصدرت فى يونيو سنة ١٩١٧ عفوا عمن بقى من زعماء الثورة الايرلندية ، فعادوا الى بلادهم فى احتفال مهيب .. وكان « ديفاليرا » قبلة الانظار ، لانه الزعيم الوحيد - من هيئة القيادة العليا للثوار - الذى نجا من الاعدام

وظن الانجليز انهم كسبوا بذلك قلوب الايرلنديين ، فعادوا يغرونهم على التطوع فى الحرب ، ولكن « ديفاليرا » تزعم حركة المعارضة ، وأصبحت الصيحة التى تتردد فى أرجاء ايرلندا بأسرها : « لاتجنيد ! » .. **ودعا ديفاليرا الى المقاومة السلبية ، فأقبل الايرلنديون على سحب أموالهم من المصارف البريطانية ، وأضرب عمال السكك الحديدية ، وامتنع المزارعون عن تسليم الحكومة البريطانية محصولاتهم من الحبوب .. وكانت أروع مظاهر توحد كلمة الايرلنديين ، ان احدا من غير مرشحى « السين - فين » لم يظفر بصوت واحد فى انتخابات البلديات والمجالس المحلية فى ايرلندا .**

كذلك كان من أقوى مظاهر المقاومة السلبية ، ان اضرب الوطنيون الذين سجنوا عن الطعام . وقد حاول طبيب أحد السجون ان يطعم أحد المضربين بالقوة ، فمات السجين اثر نوبة قلبية ، مما زاد من تأجج السخط العام .. وأصبح كل من يتعاون مع الانجليز اورجال البوليس خائنا فى انظار الايرلنديين

انتخاب « ديفاليرا » رئيسا للجمعية .. وهو سجين !

• **وكانت** تلك الفترة من أحفل الفترات بالنشاط ، فى حياة « السين - فين » .. فان قيامها فى الاصل على أسس سياسية هيأها للكفاح السلبى . وكانت لديفاليرا فى هذا النشاط أدوار رائعة ، ابرزت عبقريته وزعامته ، حتى انه انتخب رئيسا للجمعية باجماع الاصوات ، فى فترة كان فيها سجينا بسبب نشاطه فى مقاومة أى تعاون مع الانجليز ، لاسيما حين تحرج

موقفهم فى الحرب ، واصبحوا فى أشد الحاجة الى محاربين ، حتى أنهم استدعوا للخدمة العسكرية من كانوا فى الخمسين من أعمارهم !

واذ بدأت السلطات البريطانية تجنح للعنف ، اضطر الوطنيون الى ان يحذوا حذوها ، فردت السلطات على ذلك بأن أعلنت ان « السين ـ فين » وجماعة « المتطوعين » وكل هيئة وطنية أونظامية ـ حتى الاتحاد النسائى والفرق الكشفية ـ خارجة على القانون .. **وعاد الارهاب ينشر لواءه على ايرلندا ، فاتبع الوطنيون فى تلك الفترة نوعا جديدا من حرب العصابات، اذ أخذوا يكمنون للقوافل الحكومية فى الطرق الريفية ، لاسيما قوافل البوليس التى كانت تنقل الاسلحة والذخائر ..**

وخطرت للفدائيين فكرة جريئة : ان يقتلوا نائب الملك . وبالفعل ، تربصوا له وهو فى طريقه الى مقره الريفى . وكانوا يعرفون أن سيارة محملة بالحراس كانت تتقدم سيارته عادة، فقرروا أن يدعوها تمر ، ثم يطلقون النار على سيارته . وشد ما كانت الصدمة حين انهال على المنتدبين للمهمة وابل من الرصاص ! .. فقد تبين ان النظام تغير فى ذلك اليوم ، وان سيارة الحاكم كانت تنطلق فى المقدمة ، وسيارة الحراس تتبعها! ولا يدرى أحد حتى اليوم ما اذا كان هذا التبدل جاء نتيجة المصادفة ، أو انه كان مدبرا نتيجة تسلل بعض أنباء المؤامرة الى السلطات !

وأعقبت هـذا الحادث موجة من الاضطرابات الرهيبة . وعمدت السلطات البريطانية الى تأليف عصابات من أعوانها ، اطلقتها لتعيث فى المزارع فسادا ، وتسطو على الدور ، وتقتل كل من تشتبه فى أمره ، فسالت الدماء أنهارا ، وخربت مدن بأكملها ..

ولكن شيئا من هذا كله لم يوهن الحركة الوطنية ، أو يفت فى عزيمة الاحرار !

الانجليز يعدمون ٢٠ ايرلنديا .. كل يوم !

• **وبانتهاء** الحرب العالمية الاولى ، وعودة القوات البريطانية من الميادين ، بدات بريطانيا تفكر فى أن تشن حملة فاصلة ضد احرار ايرلندا ، فأرسلت اليها قوات وامدادات وفيرة فى سنة ١٩٢١ .. وقابل الايرلنديون ذلك بحملة مقاومة مستترة ، فكان عمال الموانىء والسكك الحديدية يعرقلون وصول هذه الامدادات ما استطاعوا .. **وقررت الحكومة مصادرة الاسلحة، وجعلت الاعدام عقوبة لكل من يعثر معه على سلاح ، وأرسلت حملات التفتيش ، فهب الفدائيون يقتلون رجال البوليس البريطانيين ، ويقطعون أسلاك التليفون ، ويشعلون النار فى مبانى الحكومة .. وازدادت أحكام الاعدام فى تلك الفترة ، حتى ان عدد من كانوا يعدمون يوميا تراوح بين ١٥ و ٢٠ شخصا !**

وفى أوائل صيف سنة ١٩٢١ ، أدركت بريطانيا ان العنف لن يجديها نفعا ، وعاد « لويد جورج » ينفذ سياسه المهادنة والتقرب الى الايرلنديين .. وكانت مفاجأة اثارت عليه بعض أعضاء حزبه ، وفى مقدمتهم تشرشل . ولكنه مضى فيها ، فتولى السير جيمس كريج ـ رئيس وزراء شمال ايرلندا ـ الاتصال بالوطنيين فى الجنوب . والح فى ان يجتمع بديفاليرا ، الذى كان يقود المعركة من مخبأ سرى ، فلم يسمح له الا بعد ان قبل ان تعصب عيناه حتى لايعرف الطريق !

وبعد المقابلة الثانية ، اتفق الطرفان على هدنة بدات فى منتصف ليل ١١ يوليو سنة ١٩٢١ ، فاذا شوارع (دبلن) ـ فى اليوم التالى ـ تموج بالثوار الذين كانوا يعتصمون بالغابات ، والذين غادروا مخابئهم ليشهدوا تلك الحلقة العجيبة من تاريخ بلادهم ، اذ يجلس الثوار الذين حكم عليهم بالاعدام ، مع رئيس وزراء بريطانيا وأعوانه ، حول مائدة واحدة ، للتفاوض ! .. ورأس المفاوضين الايرلنديين « ديفاليرا » ، الذى كان الوطنيون قد اختاروه فى انتخابات سرية رئيسا لجمهورية ايرلندا !

استقلال ايرلندا الجنوبية

• وبدأت الجلسة الاولى فى ١١ اكتوبر .. واستمرت المفاوضات شهرين ، كانت خلالهما تتعثر ثم تستقيم . وفى الساعة الثالثة من صباح ٦ ديسمبر ، انتهت المفاوضات بمعاهدة تكفل استقلال ايرلندا الجنوبية ، على ان تبقى فى نطاق « الكومنولث »

ولكن فريقا من الوطنيين فى ايرلندا كانوا من التطرف بحيث أبوا ان تظل بلادهم على أى اتصال ببريطانيا ! .. **وانقسم المجاهدون الى حزب للمعارضة، وحزب لمناصرة حكومة ديفاليرا ، هو فى الاصل جمعية « السين ـ فين » بعد ان عادت هيئة سياسية .. بينما استقلت العصابات وأصبحت تعمل لحسابها، دون ان تصغى لاى منطق . ومن ثم شبت نار حرب أهلية ضارية ، فما لبث « ديفاليرا » ان استقال من رئاسة الدولة**

واشتدت وطأة العصابات ، متحدية سياسة الحكومة والمعارضة على السواء ، وراحت تعيث فى البلاد فسادا ، حتى انها قطعت الخطوط الحديدية ٤٦٧ مرة ، ونسفت ٢٩٠ جسرا، وأحرقت ٣٠ محطة ، وقلبت ٧٥ قطارا ، وقطعت اسلاك البرق بين ايرلندا وامريكا ..

وفى ٢٣ مايو سنة ١٩٢٣ ، أهاب « ديفاليرا » بالمحاربين ان يكفوا عن نشاطهم ، اذ راى ان البلاد تسير بسرعة هوجاء الى هوة سحيقة .. واستجاب له الثوار ، ولكنهم لم يسلموا ، بل اعتصموا بالغابات ، ليظهروا كلما دعت الضرورة الى الارهاب

.. والبقية تأتى !

• ومع ان ايرلندا الجنوبية استطاعت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ان تدعم استقلالها ، وان تصبح جمهورية ، الا ان العصابات لم تضع سلاحها بعد .. **فهى ماضية فى الجهاد من اجل توحيد ايرلندا ، وضم المقاطعات الشمالية الست ـ**

التى لاتزال تتبع انجلترا - الى جسد الوطن الايرلندى . وقد بلغ من براعة هذه العصابات ، التى أصبحت تعرف باسم ((الجيش الايرلندى الجمهورى)) ، انها تحمل ارهابها الى قلب لندن ذاتها ، والى أرجاء النصف الشمالى من ايرلندا !

◆ كتابى : عندما عاد مجرم الحرب انطونى ايدن من رحلة الاستجمام التى قضاها فى (جمايكا) - لكى لا يشهد بنفسه تسليم بريطانيا وخضوعها لاوامر الامم المتحدة ! - تلقت ادارة بوليس « اسكتلنديارد »انذارا تليفونيا بان «الجيش الايرلندى الجمهورى » أعد لايدن استقبالا « جهنميا » فى أول جلسة لمجلس العموم يحضرها .. وعجزت « اسكتلنديارد » رغم عراقة أساليبها عن معرفة مصدر الانذار . و هبت السلطات البوليسية فى لندن بأسرها تبحث عن الفدائيين الذين اوفدوا لتنفيذ تلك المهمة ، وساد عاصمة الامبراطورية المتحضرة جو من التوتر والقلق !

وتنفست السلطات الصعداء عندما انتهت الجلسة بسلام. ولكن نشاط « الجيش الجمهورى » لايزال يقض مضاعجها .

كتاب البحث الطبى

فى الامراض البولية والتناسلية المستعصية ، وتضخم البروستاتا التى هى سبب العلل فى جسم الانسان .. وطريقة علاجها بجهاز ((فهجر)) الذى لا يستعمله الا مخترعه مؤلف هذا الكتاب ، الدكتور فهمى جرجس - ٧٨ شارع الجمهورية (ابراهيم باشا سابقا) ت : ٥٦٢٠٤ ويطلب من المؤلف ((٥٠ مليما))

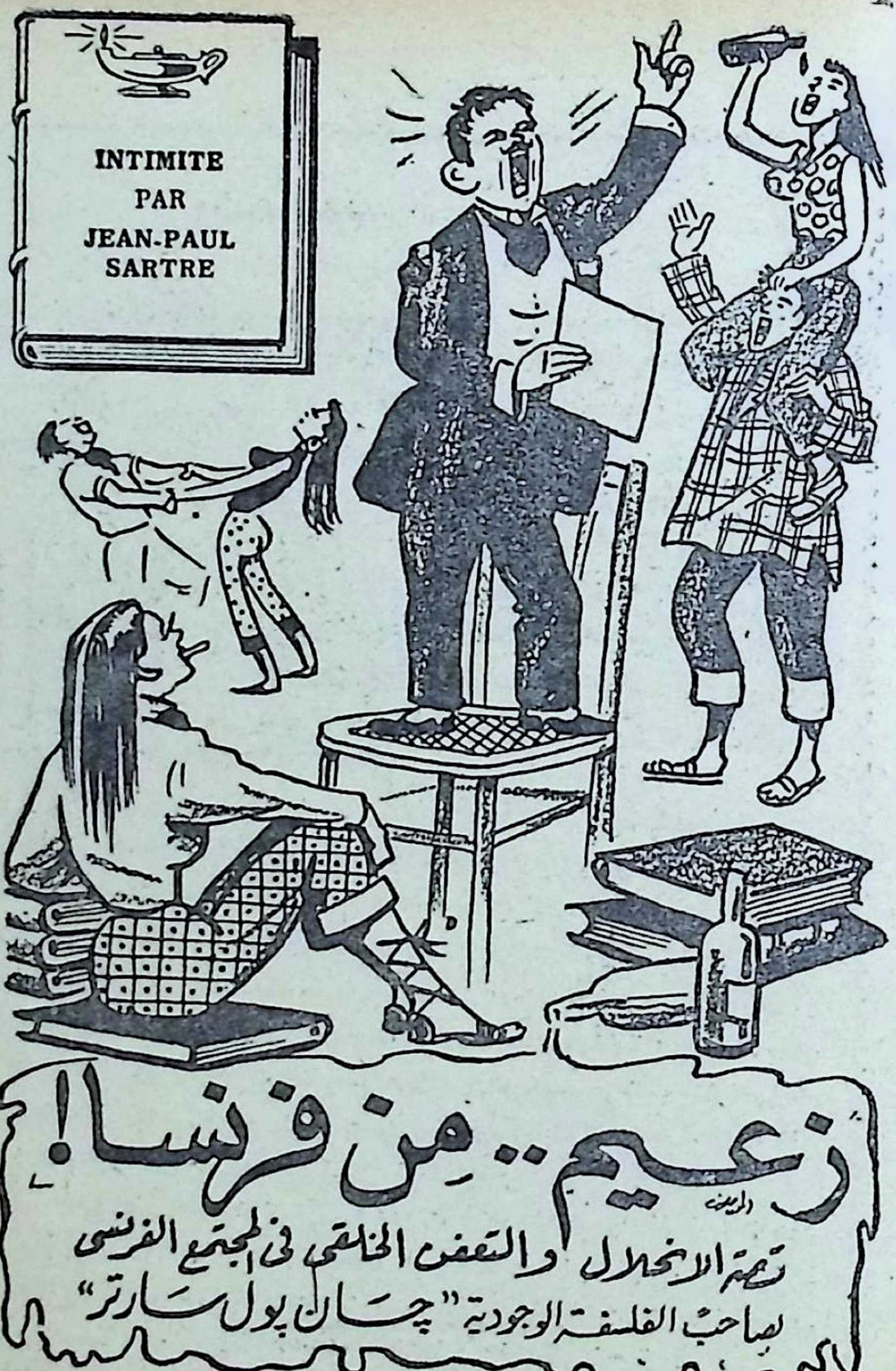
INTIMITE
PAR
JEAN-PAUL
SARTRE
زعيم.. من فرنسا!
تهمة الانحلال والتعفن الخلقي في المجتمع الفرنسي
لصاحب الفلسفة الوجودية "جان بول سارتر"

وشهد شاهد .. من فرنسا !

• لم يعد ثمة شك فى ان فرنسا تحتضر ! فان العالم لم يشهد فى أعقاب الحرب العالمية الاولى مجتمعا ينحدر بسرعة انحدار المجتمع الفرنسى ، ولم ير فى أعقاب الحرب العالمية الثانية دولة فسد فيها الحكم وهزتها الانقلابات الوزارية بالدرجة التى شوهدت فى فرنسا . وقد اجمع المعلقون الدوليون على ان فرنسا تفتقد « الزعامة الصحيحة » ..

فان الفرنسى - بوجه عام - يولد فى مجتمع تسلل الانحلال الى كل خلاياه ، فجعل منه « متحفا » للاستهتار ، والفجور ، والشذوذ .. مجتمع تعتبر الفضيلة فيه غريبة ، مهددة ، تعيش - ان استطاعت - فى الظلام مختفية ، والا انقضت عليها ذئاب الرذيلة والجريمة !.. ومن ثم نرى الطفل ينشأ مضطرب النفس ، مزعزع الخاطر ، صريعا لضروب شتى من العقد النفسية والاضطرابات العقلية ، فهو لا يانف من أن يرتكب افظع الرذائل والجرائم .. ولكنه مع ذلك ينشأ - من صغره - وهو مطمئن الى انه خلق ليكون زعيما ، لان اباه اعده الى ذلك بما أوتى من جاه أو مال او نفوذ ، ومن ثم فالزعامة حق له !

هذه هى الزعامة فى فرنسا ، وقد صورها الاديب الفرنسى « جان بول سارتر » - فى هذه القصة التى يقدمها لك « كتابى » اليوم - تصويرا امينا ، فلم تمنعه جنسيته الفرنسية من ان يبرز نواحى الضعف والعيب ، وان يحيطها بالتحليل الدقيق العميق !

• كان الولد يبدو جميلا فى زى « الملاك » ، فقالت مدام بورتييه لامه : « ان ابنك من الجمال بحيث يغرى المرء على ان يأكله ! .. ما أبدعه فى هذا الزى الذى يجعله كالملاك ! » .. واجتذب مسيو بوفارديه الطفل فأوقفه بين ركبتيه ، وأخذ يربت ذراعيه معجبا ، ثم سأله : « الحق انك بنت صغيرة ! .. ترى ما اسمك ؟ .. أهو جاكلين ، أم لوسيين ، أم مارجو ؟ » .. فاحمر وجه الطفل وقال : « بل اننى ولد .. اسمى لوسيان ! »

ولكن لوسيان لم يعد واثقا من انه ليس « بنتا » صغيرة .. فقد اعتاد الناس أن يقبلوه ، وأن يصفوه بأنه بنت ! .. وكانوا جميعا معجبين بزيه الملائكى .. بالجناحين الشفافين ، و« الفستان » الأزرق الطويل ، والذراعين الصغيرتين العاريتين، والجدائل الشقراء . وكان فى خوف من ان يقرر الناس فجأة انه ليس ولدا ، وانما هو بنت صغيرة . ولعله يستطيع أن يعترض اذ ذاك على قرارهم ، ولكن أحدا لن ينصت اليه .. لقد كانوا جميعا ينادونه بيا « حبيبتى الحلوة الصغيرة » ! .. وكان يشعر بنعومة فى أعماق كيانه ، كما كان صوته ينبعث كأنغام القيثار .. وكان يحب من الامور ما ليس واقعيا ، ولكنه وجد فرصة ممتعة فى ذلك الثلاثاء الذى كان من أيام الاعياد ، عندما البسوه زيا أبداه كملاك ، وتركته أمه يلعب مع « ريرى » ويختفى معه تحت المائدة .. وكانت الام تربت ظهره ، وتقول : « اننى فخورة بابنى الصغير هذا ! » .. وكانت جميلة ، ضخمة ، بل كانت اضخم الحاضرات ! .. أما ابوه ، فقد رفعه بين ذراعيه ــ وهو منصرف الى الشمبانيا ــ وقال : « يا رجلى الصغير ! » ، فود لوسيان ان يبكى ويقول : « لا ! »

ووجد لوسيان متعة فى ان يجلس بين ابيه وامه فى العربة . وضمته الام اليها ، فاذا بها دافئة ، معطرة ، ترفل فى الحرير .. وتمنى اذ ذاك لو انه فى حوض الحمام يعبث بالماء ، وامه

تدلكه بالاسفنجة ! .. وتركه أبواه ينـام فى مخدعهما فى تلك الليلة لانه كان « صبيا صغيرا » ، فراح يضحك ويقفز متأرجحا على زنبركات السرير !

وفى الصباح التالى ، شعر لوسيان بأنه نسى شيئا ما .. كان يذكر الحلم الذى رآه بجلاء : كان أبواه فى زى الملائكة ، بينما جلس هو عاريا يدق على طبلة ، وهما يحومان حوله ! .. كان من أضغاث الاحلام ، ولكن .. لا ، بل كان ثمة شىء قبل الحلم! .. لابد انه كان مستيقظا حين رأى شيئا كالنفق الطويل المظلم ، لا يضيئه سوى مصباح أزرق صغير ، كذلك المصباح الـذى يضاء فى مخدع أبويه كل ليلة .. وفى أقصى ذلك الظلام ، تحرك شىء ما .. شىء أبيض ! .. وكان لوسيان يجلس على الارض عند قدمى أمه ، وقد أمسك بطبلته . وسـألته أمه عن سر تحديقه فيها ، فنكس بصره وأخذ يطرق الطبلة ويصيح : « بوم ، بوم ، تارابوم ! » .. واذ أشاحت بوجهها عنه ، عاد يتفرس فيها !

وفجأة ، خطر له انه أدرك ذاك الذى جرى قبل أن يراوده الحلم .. ولو انه أمعن النظر خلال الظلام الذى كان ضـوء المصباح يقف فى اقصاه عاجزا ، لاستطاع اذ ذاك ان يرى كل شىء .. ولكن الخوف ملك نفسه فصرخ، واذ ذاك اختفى النفق المظلم ، وخفت اليه أمه تسأله عما به .. وركعت الى جواره منزعجة . وكان عبيرها حسنا ، ولكنه شعر بخوف من ان تمسه .. فقد كانت تبدو فى منظر عجيب .. وكذلك ابوه !

وقرر ان لا ينام فى مخدعهما قط بعد تلك الليلة !

* * *

• ولم تلحظ الام على طفلها شيئا فى اليوم التالى .. ولكن أوهاما جديدة بدأت تدب فى نفس الصبى ، فكان يخيل اليه أن أشياء تحدث حوله فلا يفهمها .. **اهذه أمه حقا ؟ .. أفلايجوز**

انها كانت فى صغرها ولدا ألبسوه ثياب الاناث ـ كما يفعلون الآن معه هو ـ فظل محتفظا بهذا الزى ؟.. وكان يتحسس ذراعيها فيجدهما جميلتين ، ممتلئتين ، فى ملمس الزبد تحت غلالة من حرير ناعم ! .. ولكن ، ما الذى يحدث لو ان « ماما » لبست « بنطلون » بابا ؟ .. الا يحتمل ان ينبت لها شاربان اسودان ؟ .. وكان لوسيان ـ اذا بلغ فى هواجسه هذا الحد ـ يحتضن أمه بشدة ، وكأنه يخشى ان تتحول الى وحش فظيع أمام عينيه ! .. وكانت الام تضحك وتفتح فاها ، فيبين حلقها ، ويتراءى للوسيان انه قذر ، فيود لو يبصق فيه ! .. وكانت الام تهتف به : « لشد ما تضمنى أيها الرجل الصغير ! .. ضمنى بشدة وقوة .. ضمنى بقدر ما تحبنى ! »

وفيما كانت تداعبه فى اليوم التالى ، تحول اليهـا فجأة ، وتفرس فيها قائلا : « أانت أمى الحقيقية فعلا ؟ » ، فقـالت له : « يا للسخف ! » ، وتحولت عنه . ومنذ ذلك اليوم ، وقر فى نفس لوسيان انها تعبث به ، فلم يعد يقول لها انه سيتزوجها اذا ما كبر . على انه كان واثقا ان فى الامر خدعة وان لم يدرك ماهيتها ! .. لعل اللصوص تسللوا الى « النفق المظلم » ذات مساء ، فسرقوا أباه وأمه ووضعوا هذه الام وذاك الاب بدلا منهما ! .. أو لعل هذين أبواه الحقيقيان ، ولكنهما يقومان فى النهار بدور ، وفى الليل يؤديان دورا آخرا مغـايرا له كل المغايرة !

وأصيب لوسيان فى شهر فبراير من العام التالى بمـرض « الحصبة » ، فحظى بكثير من التدليل والسرور . ولـكنه استطاب بعد شفائه ان يمثل دور الطفل اليتيم ! .. وكان يتصور انه قضى أياما بلا طعام ، حتى وهو على المائدة ! .. وبدا له الامر مسليا .. فقد كان كل انسان حوله يمثل دورا غير دوره الحقيقى ، كما خيل اليه . كان « بابا » و « ماما » يلعبان

دورى الابوين .. ولكن ، أى دور كان يمثله هو ؟.. أهو دور « اليتيم » ، أم الدور الذى يتظاهر فيه بأنه لوسيان ؟.. وخطر له انه سئم تمثيل دور لوسيان ، ولكنه مع ذلك لم يـسكن يملك ان يكف عن التمثيل ، فتاق الى ان يكون مثل مسيو « بوفارديه » ذا الوجه القبيح المتجهم . وعندما جاء الرجل ليتناول عشاءه على مائدتهم ذات مساء ، انحنى على يد الام قائلا : « خادمك .. يا سيدتى العزيزة ! » ، فوقف لوسيان فى وسط « الصالون » يرقبه فى اعجاب .. وعندما قلد الرجل ، فانحني مقبلا يد أمه وهو يقول : « خادمك .. يا سـيدتى العزيزة » ، عبثت بشعره قائلة : « ليس هذا لطيفا منك ، أيها الفأر الصغير .. فما ينبغى لك ان تسخر من الكبار ! » ، فثبطت حمية لوسيان ..

وكان أحب الايام الى نفسه هما يوما الجمعة الاول والثالث من كل شهر ، اذ كانت تفد سيدات كثيرات لزيارة « ماما » . وكانت بينهن اثنتان أو ثلاث فى ثياب الحداد .. وكان لوسيان يحب ذوات الحداد ، لاسيما اذا كانت لهن اقدام كبيرة ! .. **بل كان يحب الكبيرات عامة ، لان لهن مظهرا وقورا ، لا تستطيع معه أن تعــرف ما اذا كن قد نسين انفسهن الحقيقية فى المضاجع ، او انهن لم يكن ياتين بطبعهن من الاعمال ما ياتيه الاطفال !** وكن يعاملنه كشخص كبير ، ويداعبنه ، ويقبلنـه ، ويسألنه عما يحب وعما لا يحب . وكان احيانا يقول لهن انه سيغدو قائدا عظيما مثل « جان دارك » ويسـترد الالزاس واللورين من الالمان .. وأحيانا يقول انه يود ان يصبح مبشرا ! .. وكانت مدام « بيس » تدغدغه ، فيضحك ويتلوى تحت دغدغتها ، ويخال نفسه دمية ، فيتمنى لو انها خلعت عنـه ثيابه وغسلت له جسمه ـ كما تفعل الطفلة بدمية من المطاط ـ ثم تسلمه الى مهد صغير

***

• على ان لوسيان كان يلاحظ دائمـــا ان امه تفوق صاحباتها فى الحجم والجمال . ومع ذلك فانه عجز عن الاجابة عندما سأله القس يوما عن أيهما أحب اليه : أمه أم الله ! .. كان القس لا ينفك يحدثه عن حبه لامه ، حتى لقد أصبح يخيل اليه ان هذا الحب مفروض عليه .. ولم يكن يكره شـيئا فى حياته قدر كراهيته لما يفرض عليه ! .. وبدأ يشعر بأنه يكره أمه ، ولكنه لم ير فى ذلك اثما ، وانما ضاعف من تلطفه لها .. فقد رأى ان عليه ان يتظاهر بالحب لوالديه طيلة حياته ، والا اعتبر « ولدا شريرا » ! .. وهكذا وجدت الام ان ابنها يزداد حنانا ، لا سيما وان أباه ذهب الى الحرب فى تلك الاثناء، فسرت « ماما » ــ فى غمرة الاسى ــ لأنها ألفت لوسيان مليئا بالرعاية لها .. وكانت تناديه « يا رجلى الصغير .. يالك من رجل لطيف ! » ، فكان يغمرها بالقبلات فى عنف ، قائلا : « ياحبيبتى ماما »

ولكنه فى الوقت ذاته كان يشعر برغبة فى الايذاء . و حـلا له ذات يوم ان يسب شجرة فى الحديقة ، فلم يحدث شىء على الاطلاق ! وراح يركلها ، ولكنها ظلت كما كانت . وعجب فى نفسه .. كان اذا سب انسانا ، اشتكاه الى أمه ، أما الشجرة ، فلا تشكو ولا تغضب ! .. وسأل أمه عند العشاء فى ذلك ، فأنبأته ان الخشب ليس كالانسان .. وأخذ يلوى قسمات وجهه بشكل مضحك ، ولكن أمه قالت فى جفاء : « لا تتصرف كالحمقى ! » .. واخذ يزداد قسوة فى فضوله ، فكان يهشم لعبه ليتبين كيف صنعت ، وشق ذراع المقعد بموسى قديم ، وكسر تمثالا فى قاعة الجلوس ليرى ان كان أجوف أو ممتلىء الجوف . وكان اذا سار فى الحديقة ضرب الزهور بعصاه . ولكنه كان ــ فى كل مرة ــ يزداد ضيقا .. فقد كانت الاشياء

سخيفة ، وكانما كان وجودها غير حقيقى ! .. ولم تفطن امه لذلك أو تحفل به ، فظل على مسلكه .. وكان يطرب لسماع أنين صفار الحيوانات اذا ما ضربها أو خنقها ، فاستمرأ ضربها وخنقها !

وفى شهر مارس ، عاد أبوه ـ مسيو فلوريه ـ من الحرب ، اذ كان مديرا لمصنع ، فراى القائد ان وجوده على رأس المصنع أكثر نفعا للدولة من وجوده فى الجيش . **وتبين الاب ان ابنه قد تغير كثيرا ، فلم يعد بعد ذلك ((الرجل الصغير)) الذى تركه قبل رحيله ، وانما أصبح صبيا مستهترا ، لا يفتأ يدس اصبعه فى أنفه ، ولا يؤدى من واجباته الا النزر اليسير ـ وبعد رجاء والحاف ـ ويكثر من النوم ، ويسرع فى الرد** . وكان قد اعتاد ان يدخل غرفة الحمام وحده ، على ان يترك الباب مواربا ، لتطمئن عليه ماما أو ((جرمين)) ـ الخادم ـ بين وقت وآخر . واخذ يقضى الساعات فى دورة المياه ، حتى لقد غشيه النعاس مرة هناك . وقرر الطبيب ان جسده ينمو بسرعة تفوق المألوف فى سنه ، ووصف له دواء مقويا !

* * *

• **وجاء** ابن عمه ((ريرى)) وأمه الحسناء ، ليقيما فى (فيرول) فرارا من الغارات ، فابتهج لوسيان لذلك .. وافضى الى ابن عمه بانه يسير فى اثناء نومه ، فقد قرأ فى كتاب ان من الناس من ينهض فى الليل فيتكلم ويسير وهو نائم ، ومن ثم خطر له ان هناك لوسيان حقيقيا يتكلم ويسير ويحب والديه حقا .. فى الليل ! ولكنه اذا ما أسفر الصباح ، نسى كل شىء ، وتظاهر بأنه لوسيان ! .. وما لبث لوسيان نفسه أن صدق ذلك ، ففشيته رغبة طاغية فى البكاء .. ولما كان ينام مع ((ريرى)) فى سرير واحد ، فقد اتفق الاثنان على ان يظل ((ريرى)) ساهرا طيلة الليلة التالية ليرقب لوسيان اذا مانهض

فى نومه ، وليسمع حديثه . ولكن النوم لم يفش جفنى لوسيان فى تلك الليلة ، بينما نام « ريرى » ، فراح لوسيان يهزه ويقرصه .. ثم أخذ يفكر فى دراجة وعده بها أبوه ، فلم يفطن الا وقد أقبلت الخادم تزيح الستائر عن النافذة .. اذ كانت الساعة قد بلغت الثامنة من الصباح التالى !

وهكذا لم يقدر للوسيان ان يعرف ما كان يفعله اثناء الليل ، ولكن الله يعلم ، لانه العليم بكل شىء ! .. وركع لوسيان يصلى وهو يحس بأنه يكره الله ، لان الله كان يعرف عنه اكثر مما كان هو يعرف عن نفسه ! .. كان الله يعرف أن لوسيان لم يكن يحب أبويه ، وانه كان يتظاهر بأنه ولد طيب ، فى حين انه كان يمس الاعضاء المحرمة من جسمه وهو فى فراشه بالليل ! .. واستمرا لوسيان ان يخادع الله ، ثم كف عن هذه اللعبة الجديدة ، وان ظل يتظاهر بالطيبة ، حتى ان القس امتدحه يوم ذهب الى الكنيسة ليحظى بأول «تناول للقربان المقدس» فى حياته !

وكانت بهجته الكبرى فى يوم الاحد من كل اسبوع ، حين يخرج مع أبيه الى المصانع ، فكان العمال يحيونهما ويحتفون بهما . وفيما كانا عائدين يوما ، أجلسه ابوه على ركبتيه ، واخذ يحدثه عن مسئولية من يتولى رئاسة الناس . وود لوسيان أن يعرف كيف يحدث أبوه مرؤوسيه فى المصنع ، فاذا لهجة أبيه تتغير وهو يبين له ذلك .. فسأله لوسيان : «وهل سأكون رئيسا انا الآخر ؟ » . فأجابه الاب : « طبعا يا رجلى الصغير .. هذا ما أعده لك !»

ـ ومن الذين سأتولى أمرتهم ؟

ـ لسوف تصبح بعد موتى صاحب المصانع ، فتتولى امرة عمالها

ـ ولكنهم سيموتون .. هم الآخرون

– اذ ذاك ستصبح رئيسا لابنائهم ، فيجب أن تتعلم كيف تغدو محبوبا ، مطاعا !

ومنذ ذلك اليوم ، حرص لوسيان على ان يتلطف الى أبناء العمال !

* * *

• **واخذ** الاب يعنى بتلقين ابنه اصول الزعامة الصغيرة – فى المصانع – والزعامة الكبيرة ، خارج المصانع . وكان فى كل مساء يقرأ الصحيفة بصوت عال ، ويحدث ابنه عن الاحداث الجارية !

وفى اكتوبر سنة ١٩١٩ ، ألحق لوسيان بمدرسة « سان جوزيف » ، فاذا الطلبة يعرضون عنه ، بعد اذ وجدوا منه عزوفا عن مشاركتهم لعبهم ، وميلا الى استصغارهم .. بل انهم اطلقوا عليه لقب « لوسيان النخلة » ، لانه كان أطولهم قامة . وكان لوسيان فى البداية يرى فى طوله ميزة على رفاقه ، ولكن سخريتهم منه أشاعت فى نفسه السخط على جسده الكبير . وداخل نفسه شىء من الخجل ، اذ أصبح موضع السخرية من رفاقه ، حتى لقد سأل أباه ذات مساء عما اذا كان الانسان يستطيع أن يصغر من حجمه اذا كانت له اردة قوية . فأجاب مسيو فلورييه : « كلا . . فقد نشأ كل أفراد عائلة فلورييه ضخاما أقوياء .. وسيستمر لوسيان فى النمو والكبر ! »

وشغل الامر كل تفكيره ، فكان يقف أمام المرآة ويرفع ثيابه عن ساقيه الطويلتين ، ثم يخالجه خجل منهما ، فيجرى الى السرير ويدفن وجهه فى الوسادة ! .. وكان اذا وقف فى حجرة الدرس ، خيل اليه ان زملاءه – من ورائه – يتطلعون الى قفاه ضاحكين ، وهم يتهامسون : « انظروا الى قفاه الرفيع ! » . ولم تكن له حيلة ازاء شكل قفاه ، فهو دائما كما هو .. صامت جامد !

ولم يشأ أن ينتقل الى مقعد فى آخر الفصل .. فقد كانت المقاعد الاخيرة مخصصة للاغبياء . كذلك لم يكن يستطيع البقاء حيث كان ، ومن ورائه الزملاء ينظرون الى قفاه مستهزئين !

ولكن روحا من الاستهتار والتمرد تملكته ، فأصبح يجد من نفسه نزوعا طاغيا الى أن يعرض جسده للناس ، فخرج مرة من الحمام متسللا وقد لف قميصه حول ساقيه دون أن يرتدى ملابسه ، حتى وقف الى جوار « جيرمين » الخادمة ، فنظرت اليه باستغراب قائلة : « ما هذا الذى تفعله ؟ » .. فلم يجب ، وانما رمى قميصه وصار عاريا أمامها ، ثم انطلق يجرى فارتمى فوق السرير !

وازعجت هذه التصرفات الشاذة مدام فلورييه ، فكانت كثيرا ما تقول لزوجها : « انظر كم كان لطيفا وهو صغير ، وكيف تحول فأصبح فظيعا لا يطاق ! » . ولكن مسيو فلورييه كان يتطلع الى ابنه دون أن يفارقه الاعجاب به ، وكان يقول لزوجته : « لا داعى للقلق ، فهذا حكم السن ! »

.. لم يكن لوسيان يعرف ما الذى يفعل بجسده ذاك الذى تكون دون أن يكون له فيه حيلة أو مشورة ! وكان يحلو له أن يتخيل نفسه غير مرئى ، حتى يتيسر له أن يرى الناس دون أن يروه ! .. ثم تحولت العادة فأصبح يتلصص عليهم ، ناظرا اليهم خلال ثقوب الابواب ، ليرى — خلسة — كيف تتكون اجسادهم ! .. ورأى أمه مرة وهى تستحم .. كانت جالسة بشكل يوحى الى الرائى بأنها نائمة .. ولا ريب أنها نسيت نفسها تماما ، واطمأنت الى أن احدا لا يراها ، فكانت تمسك بقطعة الصابون فتجريها على جسدها الناعم ، فى حركة متراخية ، وقد بدا عليها شىء من التجهم .. لا ريب أنها كانت تفكر فى شىء آخر .. فى امر تعليم لوسيان ، أو فى مسيو بوانكاريه المرشح للحكم .. ولكنها فى كل ذلك كانت كتلة

ضخمة من اللحم الابيض ، استقرت فوق مقعد الحمام !
وكذلك تعود لوسيان أن يختلس النظر الى « جيرمين » ، كلما سنحت له الفرصة الى ذلك !

* * *

● وواصل الفتى دراسته حتى نال شهادة « البكالوريا » التمهيدية ، فأرسله أبوه فى رحلة الى انجلترا جزاء نجاحه . والفى فى انجلترا نوعا جديدا من الحياة ، فتح أمامه آفاقا لم يكن يعرفها . **ولكنه لم يلبث ان وجد نفسه فى باريس مرة أخرى ، وقد التحق بالفصل الاعدادى للعلوم الرياضية فى « الليسيه كوندورسيه » مع سبعة وثلاثين طالبا ، كان بينهم ثمانية يزعمون انهم على المام بكل شىء عن المرأة ، فلم يكونوا يكفون عن الحديث عن النساء ، وكانوا يطلقون على بقية زملائهم لقب « العذارى » !** .. وقد ظلوا يزدرون لوسيان ، الى ان كان اليوم الاول من شهر نوفمبر ، اذ خرج لوسيان للنزهة مع « جارى » ـ أكثر أفراد الشلة تجارب ـ الذى أخذ يحدثه عن دقائق الجسم البشرى حديثا أذهله ! .. على ان لوسيان لم ينضم لشلة « المتنورين » ، لان ابويه لم يكونا يسمحان له بالسهر خارج البيت فى الليل ، ولكنه مع ذلك وثق علاقاته بأفرادها !

وكانت زوجة عمه « بيرت » تزور الاسرة مع ابنها « ريرى » فى مساء الثلاثاء من كل أسبوع ، فيتناولان العشاء هناك . وكانت السن قد نالت من مرح العمة « بيرت » ، فبدا عليها الاسى ، كما كانت تنهداتها تتتابع .. ولكن بشرتها ظلت بيضاء جذابة ، حتى لقد اجتاحت لوسيان رغبة طاغية فى ان يراها عارية !.. بل انه كان ـ لفرط تفكيره فيها ـ يتمثل جسدها الابيض عاريا أمامه فى الليل ! والتمس التقرب اليها عن طريق مساعدة ابنها فى دراسة الرياضيات .. ومع انها لم ترحب

بذلك ، الا انه أكثر من هذه الدروس ، حتى قالت له أمه ذات ليلة : « أتظن أن ريرى يقدر ما تبذله من أجله ؟.. انه يقول أنك تفرض نفسك عليه ، وقد أنبأتنى عمتك بيرت بذلك ! » .. ولاحظ لوسيان أن أمه كانت مغيظة ، محنقة !

وساءل نفسه فى استياء : « هل أنا أفرض نفسى عليه حقا ؟ ولماذا ؟ » .. وعجز ذهنه عن متابعة الاسئلة التى توالت عليه . وتضاربت الافكار فى رأسه ، حتى خيل اليه ان ضبابا كثيفا يتصاعد أمامه .. وكان ذلك الضباب يمثل أفكاره ، فحاول ان ينتزع نفسه بعيدا عنه ، ولكن الضباب كان يتبعه ويلاحقه .. بل لقد خيل اليه انه استحال هو الآخر ضبابا ، فراح يقول لنفسه : « أنا لوسيان فلوريه .. وانا فى غرفتى أحل مسألة فى علم الطبيعة ! » .. وعاد يكرر : « أنا .. » ، ثم أمسك ، وشعر بأنه يستيقظ فجأة من سبات عميق . وتولته حيرة وعجب وهو يتساءل : « من أكون .. أنا ؟ .. ان اسمى لوسيان فلوريه ، ولكن هذا ليس سوى اسم .. اننى مفروض .. لا ، لست مفروضا على أحد .. اننى طالب مجد .. بل هذه أكذوبة ، فالطالب المجد يقبل على العمل ، وهذا مالا أفعله! .. اننى أحصل على درجات طيبة ، ولكننى لا أحب العمل ، ولست أكرهه كذلك ، بل لست أحفل به .. ولا بأى شىء ! .. قط لن أصبح رئيسا ولا زعيما!» .. وفكر فى أسى : « اذن، فماذا أصبح ؟ »

واغمض عينيه ، واستسلم للافكار المتلاطمة : **« ليس الوجود سوى وهم ، لاننى أعلم أنى غير موجود .. ليس على سوى ان أصم أذنى ، وأكف عن التفكير ، فأغدو .. لاشىء !.. أجل ، لست موجودا ، ولا أحد فى العالم موجود ، فليس العالم سوى مهزلة .. « كوميديا » بلا ممثلين ! »**

***

• ولم يعد فى الاشهر التالية يحظى بنوم . كان يستلقى على سريره ، ويستسلم للافكار ، تحلق به وتدور حول الخاطر الذى ملك عليه باله : « لست موجودا ! » .. وأصبح لوسيان، الذى نال تقدير أستاذه عن موضوع كتبه فى «الاخلاق والعلم » ، يحلم بكتابة « رسالة عن العدم » ! .. وسأل أستاذه فى ذلك قائلا : « هل يستطيع انسان ان يثبت وجوده » ، فقال الاستاذ: « طبعا ، بالكوغيتو ! .. أنا أفكر واذن فأنا موجود ! .. انك موجود لانك تشك فى وجودك ، والا ففسر لى مصدر هـذا الشك !»

ولم يقتنع لوسيان ، ولكنه كف عن التساؤل. حتى اذاكان شهر يوليو ، اجتاز الامتحان النهائى لشهادة « البكالوريا » ، وعاد مع والديه الى (فيرول) ، فراى أشياء عجيبة .. كانت حال عمال المصانع قد تغيرت ، فلم يعودوا يبالغون فى تحيته وتحية ابيه ، وانما أصبح الواحد منهم يكتفى بلمس قبعته اذا رآهما .. واصبحوا يتقاضون اجورا أعلى من ذى قبل ، كما اصبحت زوجاتهم يرتدين الجوارب الحريرية ! .. وسمع مدام بو فارديه تحدث امه عن هذا التطور فى استنكار قائلة : «عجيب أمر هؤلاء الناس .. ان شيئا لن يملأ عيونهم ، وهم لن يكفوا عن أطماعهم ، ولن يرضوا الا بأن يملكوا كل شىء مما نملكه نحن السادة ! »

ومر لوسيان ذات مرة بشاب من العمال الجدد ، فلم يسارع العامل الى تحيته . ونظر اليـه لوسيان فى استنكار ، عسى أن يشعره بسلطته عليه ، ولكن العامل لم يبد اى اهتمام ، بل لقد نظر اليه هو الآخر ومر الى جواره مصفرا بفمه . فقال لوسيان لنفسه : « لا بد انه لم يرنى ! » .. ولكن حنقا شديدا استولى عليه ، وزاد يقينه بأن العالم ليس موجودا ، ففكر فى

تجربة جديدة .. ماذا لو انتحر ؟! انه الآن لفى أشد حالات يأسه ، ولن ينقذه من حيرته الا الانتحار !

وفكر فى أن يطلق الرصاص على نفسه بعد أن يكتب فى ورقة : « قتلت نفسى لانى لست موجودا ، وأنتم أيضا ايها الاخوان .. لا وجود لكم ! » .. وخيل اليه ان هذه العبارة ستهز الناس من أعماقهم وتجعلهم يشكون فى حقيقة وجودهم، فأحس بسعادة جارفة ، اذ أنه رأى فى اقباله على الانتحار نوعا من الشجاعة : ولقد عرف القادة الحقيقيون جميعا اغراء الانتحار .. هناك نابليون مثلا ! .. وأحس لوسيان بيأس مرهق لايستطيع منه هروبا ، وظل يرجىء أمر الانتحار ، ولكن الى متى ؟ .. لابد له من أن يبت فى الامر !

وحدد يوم ٣٠ سبتمبر نهاية لتردده . وبدت له الايام الاخيرة عصيبة قاسية ، فلم يعد يجسر على ان يمس المسدس. ثم شعر باستياء وضيق شديد ، عندما انتهى الى تغيير رأيه فقرر ان يعيش .. وبهذا القرار ، لم يعد يجد مايشغل باله !.. ولكن أيام الدراسة أقبلت ـ لحسن حظه ـ فألحقه أبوه بمعهد « سان لوى » ، حتى يستعد للالتحاق بمدرسة « السنترال » .

على انه لم ينسجم مع زملائه الطلبة ، اذ كانوا ينقسمون الى شيع ، ولا يربط بينهم سوى سوء الخلق . وبقى وحده دون صديق . وكان اذا شكا لابيه ، أجابه الاب حالما : « ان تجمع الشباب فى مثل هذه الشيع لاينم الا على ضعف .. لن يكون منهم قادة ولا زعماء .. يالهم من مساكين ! »

وعاد اليأس يدب فى فؤاد لوسيان .. وعاودته فكرة الانتحار .

***

• **الى** ان كان شهر يناير ، فانضم الى الفصل طالب جديد يدعى « بيرلياك » لم يلبث ان اجتذب انتباه الجميع ، اذ كان

يرتدى معاطف خضراء على أحدث طراز ، و « بنطلونات » ذات سيقان جد ضيقة . وكان يفخر ببلادته فى العلوم الرياضية ، ويقول : « ماحيلتى وأنا انسان شاعرى ؟ »

وعرض « بيرلياك » يوما على لوسيان مجموعة من قصائده فى النساء ، ذهل لها لوسيان وأبدى اعجابه بها ، فقال الآخر : « اننى أنظمها بطريقة جديدة أدعوها .. الكتابة الاتوماتيكية ! »

.. فلما ألحت فكرة الانتحار على لوسيان من جديد ، جلس يوما الى بيرلياك ، فروى له أمره بصراحة ، وسأله عما ينبغى ان يفعله . وكان بيرلياك ينصت فى اصغاء ، وهو يمتص أصابعه ثم يمسح البثور التى فى وجهه بلعابه .. وما لبث أن قال بعد تفكير : « افعل ما بدا لك ، فهذا غير مهم على الاطلاق ! »

ولكن بيرلياك تأثر بحيرة لوسيان ولا ريب ، أو لعله وجد فى لوسيان صورة منه ، فدعاه الى بيته ليتناول الشاى فى يوم الثلاثاء التالى . وبعد ان شربا الشاى ، جلسا يدخنان السجاير الانجليزية ، ويستمعان الى الموسيقى .. ولكن بيرلياك التفت فجأة الى لوسيان وقد بدت على وجهه أسارير الجد ، وسأله ان كان يعرف شيئا عن التحليل النفسى .. ثم تطرق به الحديث فقال : « لقد كنت أشتهى أمى حتى بلغت الخامسة عشرة ! » .

فاضطرب لوسيان وهو يستحضر صورة مدام بيرلياك ، وتعجب .. كيف يمكن لانسان أن يشتهى أمه ؟ ! .. وعاد بيرلياك يقول : « وأنت أيضا كنت تشتهى أمك بالطبع » .. ولم يكن فى لهجته تساؤل ، بل بدا كمن يقرر حقيقة ، فقال لوسيان مرتبكا : « طبعا ! »

وانصرف لوسيان منذ ذلك اليوم الى علم النفس ، فقرأ « مقدمة الى التحليل النفسى » ، وكتاب « الاضطرابات النفسية فى الحياة اليومية » .. واذا به يرى كل شىء فى وضوح ، وأدرك كنه شعوره الغريب بعدم وجوده ، والفراغ الطويل الذى اجتاح ادراكه ، والاضطرابات فى التفكير ، والجهود الضائعة

التى كان يبذلها محاولاً فهم نفسه دون ان يصل الى نتيجة ، أو ينتهى الى غير .. الضباب ! .. وهمس لنفسه : « يا الهى ، اننى مصاب بعقدة نفسية ! »

واتفق معه بيرلياك على هذه النتيجة ، لانه هو الآخر .. مصاب بعقدة نفسية ! .. ومن ثم عكف الاثنان على تحليل نفسيهما ، فوصلا الى نتيجة ظنا انها مرضية ، تلك هى أنهما يرتديان أقنعة من المرح والظرف ، فيخدعان زملاءهما عما فى أعماقهما من شقاء . وقال لوسيان لزميله :

ـ انك تفهمنى .. اننى فى الظاهر فتى كسول لايختلف عن غيره ولا يثير اهتماما ، ولكن فى الحقيقة أشعر فى قرارة نفسى بأن هناك شيئا آخر !

فهز بيرلياك رأسه موافقا وقال : « دائما ما يوجد هذا الشىء الآخر ! »

وابتسم كل منهما لصاحبه فى اعتداد العارف بأمر نفسه .. واستمرا يبحثان عن خفايا نفسيهما ، وعن القوة الجنسية الهائلة المكبوتة فيهما .. كما يقول « فرويد »!

واجتاحت لوسيان أفكار مزعجة كانت تثور فى رأسه كلما أوى الى فراشه ، فلم يعد يجرؤ على التطلع الى وجه أمه ، أو على تقبيلها قبل النوم ، اذ كان يخال ان ثمة قوة خفية توشك ان تجذب شفتيه لتهوى بهما على شفتى الام ! .. كان يشعر كأن بركانا يثور فى نفسه ، فأخذ يلتزم الحذر والحرص ، خشية ان تفتضح تلك الميول التى اكتشفها فى نفسه .. وأصبح يردد فى نفسه : « اننى خائف من نفسى ! »

***

• **على** ان علاقته ببيرلياك لم تلبث ان فترت ، اذ ان صاحبه خيب أمله فى أن يعرفه بنساء ممن كان يزعم أنه يعرف .. فقد بنى لوسيان آمالا عراضا على التعرف بامرأة ، بعد ان رأى فى ذلك السبيل الوحيد لتخفيف ثورة افكاره ! .. ومما زاد فى ضيقه

ببيرلياك ، أن هذا كان قد تعرف الى صديق يجيد التحليل النفسى – ويدعى بيرجير – فأبى أن يعرف لوسيان به ، رغم الحاحه الشديد !

وفى شهر مايو ، أخذ بيرلياك يتغيب عن المدرسة ، فكان لوسيان يلقاه فى مشرب بشارع (بيتى شامب) . واذ أقبل عليه بعد ظهر احد الايام ، بادره بيرلياك بانه ذاهب الى طبيب الاسنان . على انه لم يكد يبرح مكانه ، حتى التقى بشاب فى الخامسة والثلاثين ، نحيف الجسم ، حسن المظهر . وحدس لوسيان أن هذا هو « بيرجير » ، لاسيما حين فطن الى أن بيرلياك قد اضطرب ، وحاول أن يبتعد بصديقه . غير ان هذا هتف به : « عجبا .. الا تريد ان تعرفنى بصديقك ؟ » .. فلم يجد بيرلياك بدا من أن يقدم كلا منهما للآخر ، ولكنه لم يشأ أن يدع « بيرجير » ، فحاول ان يصطحبه الى طبيب الاسنان . غير ان بيرجير آثر البقاء فى المشرب ، فلم يسع بيرلياك الا ان ينصرف وحده ، وبنفسه نزوع الى البقاء بين الاثنين

وانتهز لوسيان الفرصة ، فشرع يقص على « بيرجير » خواطره الحائرة ، وكيف انه أراد الانتحار يوما ، وكيف انه كان يشتهى أمه ، وكيف كانت جميع الاشياء تبدو له تافهة حتى كره الدنيا وما فيها !

وجلس لوسيان مشوقا ، يريد ان يسمع حكم صديقه الجديد عليه ، فمد بيرجير يده ووضعها على كتفه قائلا : « أتدرى يالوسيان بماذا أصف حالتك ؟ انها مجرد اضطراب ! »

وسأله لوسيان عما عساه أن يفعل ، فلم يجب الرجل ، وانما تبسط معه فى الحديث حتى أوجد شيئا من الالفة بينهما .. ثم طلب اليه أن يزوره قائلا : « سأنتظرك يوم الثلاثاء المقبل .. انى أسكن فى حى مونبارناس »

واعتاد لوسيان – بعد ذلك – ان يتردد على بيت « بيرجير » مرة فى كل أسبوع ، اذ وجد عنده ما أغناه عن « بيرلياك » ، حتى

لقد أصبح نادرا ما يلقاه .. وقد عبر عما بنفسه عندما قال لبيرجير ذات يوم : « لقد اكتشفت أخيرا انه تعلم منك كل ماكان يجذبنى من شخصيته » .. فضحك بيرجير قائلا : «انهمضحك كالقرد ، وهذا مايجعلنى أصادقه !»

وعجب لوسيان حين وجد عند صديقه الجديد مجموعة هائلة من الكتب التى تتناول شئون الجنس والشذوذ الجنسى، وان لم يكن « بيرجير » يرى أن ثمةشيئا يعتبر « شذوذا » فى الجنس .. بل انه طرح امام لوسيان مجموعة من صور لنساء عاريات فى أوضاع مثيرة ، وقال : « ان أول ماينبغى عليك هو ان تقنع نفسك بأن أى شيء يمكن ان يكون موضع رغبة جنسية .. حتى آلة الحياكة ، والمنظار المقرب ، وحدوة الحصان !» .. وتضرج وجه لوسيان ، ولكن «بيرجير» مضى يحاول أن يقنعه بصحة رأيه .. بل انه أغراه ـ فى زيارة أخرى ـ على ان يقف أمام المرآة ، وان يكشف عن صدره ليرشده الى جمال جسمه وفتنة وجهه . ومنذ ذلك اليوم اعتاد لوسيان ان يطيل التطلع الى المرآة ، وان يخلع ثيابه أمامها .. وسرعان ما انتفضت فى ذاكرته صورته وهو صغير ، عندما كان الناس يقبلونه ويدعونه بنتا !

* * *

• **وصادفته** مفاجأة جديدة حين زار « بيرجير » فى يوم آخر ، فوجد بيرلياك عنده ، وقد انهمك فى تقطيع مادة بنية مغبرة . وقال الاخير : « انه حشيش سندخنه فى الغليون .. أن له تأثيرا مدهشا ! » .. ولم يستطع بيرلياك أن يغرى لوسيان على التدخين ، ثم لم يلبث ان فقد شعوره ، فأخذ « بيرجير » ـ الذى لم يتأثر كثيرا بالمخدر ـ يسخر منه ! .. وعندما التقى لوسيان ببيرلياك فى المدرسة فى الصباح التالى ، أخذ الثانى يعير الاول باحجامه عن تدخين الحشيش ، فما لبث لوسيان أن صاح به : « وماذا تفيد انت من تدخين الحشيش .. انه

يخرجك عن شعورك ، حتى ليضحك منك بير جير ! » . وتبدى الحنق اذ ذاك على بيرلياك ، وقال : « ايسخر منى امامك ؟ .. ما كنت أحسب انه يضيع صديقا قديما من اجل صديق جديد ! »

وأقضت المسألة ضمير لوسيان ، فلما التقى ببير جير ، ذكر له ماجرى ، معتذرا بانه لم يكن يبغى وقيعة ما . فقال بيرجير : « لابأس .. لعل ذلك يريحنا منه ، فانى لم أعد أريده ! .. بل اننى أريدك انت ! »

وجذبه اليه فقبله ، ومد يده يداعب بها جسمه . وتحمل لوسيان هذه المداعبة على مضض ، خشية السخرية ، ولكن يد بيرجير ازدادت انحدارا ، فتبادرت الدموع الى عينى لوسيان ، تعبر عن ثورة مكبوتة .. ثم استجمع أطراف جرأته ، فدفع الرجل بعيدا عنه ، وانطلق خارجا كمن مسه خبل !

وتدافعته الافكار المصطخبة .. ماذا يفعل ؟ .. ان العقد النفسية توشك ان تصيبه بجنون !.. ليته يتعرف الى امرأة تثبت فى نفسه الشعور بالرجولة ، وتنقذه من هذه البلبلة !

وفيما كان ينطلق على غير هدى ، التقى بأستاذه القديم فى الفلسفة . وأنس اليه ، فأخذ يذكر له ما قرأه لفرويد ، ثم سأله عن رأيه فى «التحليل النفسى» . وضحك الاستاذفى استخفاف قائلا : « انها نزوة .. « تقليعة » .. سخافات ابتدعها فرويد ! فدعك منها . ان كتابا عن فلسفة اسبينوزا اجدى لك من فرويد ومؤلفاته كلها ! »

اجل ، هذه هى الحقيقة ! .. وسرعان ما أحس لوسيان بانه يقبل على حياة جديدة تبدد منها الاضطراب . وعاديلتمس الاندماج فى اسرته . لقد كان أهله من ملوك الصناعة فى فرنسا ، فلا أقل من ان يرث عنهم العظمة ، وأن يحقق ماكان أبوه يرجوه له ! .. وأسعفه ان انتقل فى العطلة الصيفية الى الريف — حيث كانت تقوم مصانع الاسرة — فانصرف الى الحياة العائلية ، ورافق

أباه الى المصانع والمجتمعات ، وأصبح معارف الاسرة ينظرون اليه كشاب محترم بات فى عداد الرجال .

❋ ❋ ❋

• وانتهت العطلة الصيفية ، فعاد لوسيان الى المدرسة مهموما . ولكنه مالبث ان ارتاح اذ لم يجد لبيرلياك اثرا فى المدرسة ، فاتخذ لنفسه صديقا جديدا يدعى « جوجار » عرفه بفتاة تدعى « مود » ودعاهما مع صديقته هو — وكان اسمها « فانى » — الى احد مراقص الحى اللاتيني ، ذات الاركان المظلمة .. وانصرف جوجار وفانى الى الرقص والعناق ، بينما وقف لوسيان يتطلع الى شفتى « مود » مشوقا ، يتمنى لو يطبع عليهما قبلة طويلة .. ولم يكن يشغله سوى التساؤل : كيف يتنفس اذا طالت القبلة ؟ !

والتفتت اليهما فانى فجأة وصاحت : « لم لاتتبادلان قبلة ؟ .. اننى لارى كلا منكما مشوقا ! » .. وجذب لوسيان فتاته الى صدره ، وضغط بشفتيه على شفتيها .. وتبين انه يستطيع ان يتنفس ! .. ووقف جوجار يعد ، حتى اذا بلغ ٥٦ انتهت القبلة ، فجذب فانى اليه وغاب معها فى قبلة طالت حتى عد لوسيان ١٢٩ ، فاغتاظ هذا وغاب مع مود فى قبلة طويلة قالت الفتاة بعدها : « أراك تجيد التقبيل ! » .. فتضرج وجهه وقال : « فى خدمتك دائما ! »

واعتاد ان يلتقى بمود فى يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، فيتبادلان قبلات لاحصر لها . ولكنه أقبل يشكوها يوما الى

جوجار ، قائلا : « انها عنيدة ، لاترضى بشيء أكثر من التقبيل! » .
فقال جوجار : « لاتيأس ، فقد أكدت لى فانى ان مود لن تلبث ان تستسلم لك ، ولكن عليك أن تترفق بها ، فهى لما تزل بعد صغيرة ، ولم ترافق قبلك سوى اثنين فقط ! »

وجاءه ذات يوم احد زملائه يسأله ان يوقع على شكوى مقدمة الى الحكومة ضد الغاء التدريب العسكرى ، لمعارضة اقتراح كان مائتان من أنصار الصهيونية قد تقدموا به . .
وافعمت نفس لوسيان سرورا ، اذ عرف ان الشكوى ستنشر فى الصحف . وأخذ يبتاع الصحف كل يوم .. وبعد أيام ، قفز قلبه فى صدره حين وجد الشكوى منشورة تحت عنوان : « الشباب الفرنسى يعارض الصهيونية العالمية » .. والتهمت عينه سطور الاسماء ، حتى عثر على اسمه بينها ، فظل يقرأه مرات ومرات !

ومنذ ذلك اليوم ، أخذ لوسيان يهتم بالسياسة ، ويقبل على الكتب والمجلات التى تتناولها . وساعده زميل له يدعى « ليموردان » ، فكان يرشده الى المصادر التى تتحدث عن المذاهب والحركات السياسية ! .. واخذ لوسيان يتطلع الى حياة افضل .. حياة الزعامة السياسية ، فانضم الى جماعة انشأها « ليموردان » من عشرين طالبا ، واطلق عليها اسم « كاميلو » .. وتعلم كيف يكون الشباب جادا ، قويا ، لايعبأ بالسفاسف . وتبدل موقفه فى البيت ، حتى أصبحت أمه تشفق عليه وتنصحه قائلة : « لاتدع نفسك تنساق مع هؤلاء .. انهم معرضون للاخطار والسجن .. ما لك انت والسياسة! » .
ولكن أباه كان يقول لها : « دعيه يسير وفق افكاره الخاصة .. يجب ان تكون له آراء مستقلة ! »

ولما كانت الجماعة تقوم على أسس دينية ، فقد استعذب لوسيان السخرية من اليهود . واذ تذكر ان بيرجير ينتمى اليهم اجتاح نفسه حقد حقيقى نحو اليهود ، حتى انه اشتهر بين

رفاقه بأنه أشدهم حماسة وتعصبا ، وحتى انه هاجم مع رفاقه ذات يوم يهوديا كهلا ، فلما سبهم الرجل قائلا : ((انكم أقذار أيها الفرنسيون)) ، اوسعوه ضربا . ولكمه لوسيان لكمة افقدته الرشد ، فأسلم الشاب وزملاؤه سيقانهم للريح . وقال له احد زملائه :((انك قتلت الرجل بلكمتك !)) .. فقال لوسيان : ((وماذا فى ذلك .. أليس يهوديا ؟)) .. وأحس لاول مرة برجولته واعتداده بنفسه !

* * *

. **وقابل** لوسيان صديقته مود فى اليوم التالى .. واذرأى انها كانت متعبة ، ابى الا ان يرافقها الى مسكنها ليطمئن ، فما أن شهد مظاهر الفقر ، حتى فاض قلبه رثاء . واستلقت مود على سريرها قائلة : « اواه ! .. ما ألذ راحة السرير ! » .. فاقترب منها واخذ يداعب بيديه كل جسدها ، ويتحسس مواطن الالم . واغمضت الفتاة عينيها وارتسمت على أساريرها ابتسامة غامضة .. وما لبث لوسيان ان أقدم على ماكان يهفو اليه طيلة عمره دون ان يجسر عليه ! .. وعندما انتهى من نزوته ، قال لنفسه : « أخيرا انطلقت ! » .. وتطلعت اليه مود ، وهتفت فى تأنيب رقيق حنون : « يالك من ولد شقى .. حسبتك طيبا ! » . فقال : « هذه سنة الحياة ! » .. وفكرت مود قليلا ثم قالت : **((لست نادمة .. لقد كانت علاقتنا من قبل أكثر طهرا ولكنها لم تكن كاملة !))**

وعندما استقل لوسيان قطار « الميترو » بعد ذلك، راح يقول لنفسه : « لقد أصبحت لى خليلة ! » .. وكان خاوى الوفاض والذهن ، مكدودا ، مثقلا برائحة الخمر والسمك . وشد قامته حتى لايمس لحمه القميص المشبع بالعرق .. وأحس كأن جسده استحال الى لبن مختر (رايب) .. وعاد يكرر لنفسه : « ان لى عشيقة ! » .. لقد كانت كل بغيته من مود ،

فى الليلة السالفة ، هو وجهها النحيل ، الجاد الملامح، وكبرياؤها، وما اشتهرت به من انها منيعة ، عسيرة المنال ، وازدراؤها لجنس الذكور .. **كل هذه الصفات كانت تبديها له كائنا غريبا يختلف كل الاختلاف عن كل الاناث .. ولكن كل هذه المناعة ذابت فى أحضانه ، وبقى الجسد .. اللحم ! .. لقد التحما معا حتى تعذر عليه ان يميز بدنه عن بدنها .. قط لم ينح له أحد هذه الالفة !** .. واحس لوسيان بشىء من الارتياح، وهو يفكر فيما سيقوله لجوجار فى غده .. ولكنه مع ذلك لم يكن مرتاح النفس ، بل أحس كانه يجلس عاريا فى جو « الميترو » الدافىء المشوب بالغبار .. أحس بانه عار ، والى جواره قس ، وأمامه امرأتان ناضجتان ، فارعتا القامة !

وهنأه جوجار حين أفضى اليه بما جرى ، ثم تطرق بهما الحديث الى « بيريت » أخت جوجار ، فقال هذا: «انها تقول انك تحسن الهروب .. الحق اننى لست آسفا لان لى اختا ، فانك عن طريق الاخت تكتشف أشياء لاتطوف بخيالك ! » .. واستغرقا فى الحديث عن الفتيات ، وكان جوجار يستمرىء ان يردد أقوال عم له كان موفقا مع النساء : **« من المحتمل اننى لم أفعل صالحا فى حياتى التعسة ، ولكن ثمة شيئا واحدا اعتقد انه يرضى الله .. ذلك اننى أوثر ان تقطع يداى على ان أمس عذراء ! »**

* * *

• **وكان** لوسيان يميل الى « بيريت » ، ويغازلها بعض الشىء ، ويعجب بشعرها الطويل المسترسل ، ولكنه كان منهمكا فى النشاط السياسى ..

وفى ١٧ ابريل ، دعاه جوجار الى حفلة راقصة بمناسبة عيد ميلاد « بيريت » الثامن عشر .. وكانت الفتاة تعجب ببراعة لوسيان فى الرقص ، فراقصته فى تلك الليلة مرارا ، حتى

اذا انهكهما التعب ، أخذا يجوسان فى أرجاء البيت ، بحثا عن جوجار . ووجداه مع ثلة من الاصدقاء ، تبين لوسيان بينهم شابا ذا شعر أحمر ، وبشرة بيضاء كاللبن ، وأهداب سوداء.. واستولى الحنق على لوسيان فجأة ، وصاح :« **ماذا يفعل هذا الشاب هنا ؟ .. ان جوجار يعرف اننى لا أطيق اليهود !** ») .. ثم التفت الى « بييريت » وقال : « **من يكون هذا اليهودى ؟.. اننى أكره اليهود !** » . فضحكت بيريت وجذبته الى المقصف حيث شرب ملء زجاجة من الشمبانيا .. واذا جوجار يقبل مصطحبا الشاب اليهودى ، محاولا ان يقيم بينهما صداقة ، ولكن لوسيان أدار لهما ظهره ، وغادر الدار وهو يقسم فى نفسه ان لايلجها ثانية ، بعد ان شعر بأن كرامته طعنت ! .. على ان حنقه ما لبث أن تبدد حين غدا فى الطريق ، وأخذ يسائل نفسه عما اذا كان قد أخطأ أو أصاب فى مسلكه . وهز رأسه وهو يقول فى اقتناع : « ماكان لجوجار ان يدعو يهوديا مادام قد دعانى ! » .. ولكنه عاد يقول لنفسه : « لابد ان بيريت تحسبنى الآن وغدا . كان يجب أن أصافح الشاب ، فما كان هذا ليضيرنى فى شىء ! »

وفكر فى ان يعود الى جوجار ، ولكنه شعر بأن لاسبيل الى اصلاح مسلكه ، فقال محنقا : « لماذا أردت ان ابدى ارائى أمام الناس الذين لايفهمونها ؟ » .. **كان الحادث نكبة لاسبيل الى التراجع عنها ، وهذا كله بسبب ذلك اليهودى ! .. وضم لوسيان قبضته وهتف : « ياالهى !.. لشد ما أكره اليهود !»**

.. وحاول أن يذكى شعلة الكراهية فى نفسه ليبرر فعلته ، حتى انتبه الى نفسه ، فاذا به فى مسكن مود .. فتحول يحدثها عن حبه ويحاول ان ينالها .. وقالت مود :«لا ، كف عن هذا ياحبيبى الكبير .. انه ممنوع ! » ، ولكنها استسلمت فى النهاية ، فأقبل عليها يحاول ان يفثأ غيظه فى الاتصال بها ! .. واحس بأنه مثل طفل ألم به الضيق ، فود لو يبكى !

وفى الصباح التالى ، أقبل عليه جوجار معتذرا عن الحرج الذى سببه له عن غير قصد ، فقال لوسيان : « لقد كنت أنا الآخر مخطئا ، اذ تصرفت بغباء .. ولكننى لم أتمالك نفسى ، فان شعورى أشد من أن أقاومه .. انها كراهية طبيعية فى نفسى. ولكن .. ماذا قالت بييريت عنى ؟ »

ـ لقد ظلت تضحك كمن أصيب بجنون . ان والدى يقولان انك كنت على حق ، وما كنت لتملك أن تفعل غير ذلك ، نظرا لايمانك بآرائك !

واستعذب لوسيان هذا التعبير : « ايمانك بآرائك » ! .. وقال لنفسه : « ياللعجب ! اننى لم أعد .. أنا ! اننى لا أعرف نفسى ! » . وشعر بالكرامة والاعتداد ، وأحس للمرة الاولى بأنه شىء كبير ! .. **وتمثل فى خياله صورة جوجار وبييريت وهما يعدان بطاقات الدعوة الى احدى الحفلات ، فيستعرضان اسماء المدعوين ، ثم يقفان عند احدها ويقولان: «لا ، لندع هذا ، فانه يهودى .. ولوسيان يكره اليهود ! »**

واحس بسعادة طارئة ، وهو يستعرض كل هذه الافكار ، فى مشرب هادىء . وتثاءب فى نشوة .. وسقط شعاع من الشمس على انفه ، فحك أنفه وابتسم .. أترا هاكانت ابتسامة ، أم مظهرا من المظاهر الخادعة التى كان يصطنعها ؟ .. وداخله شعور بالتعالى .. انه لم يكن يملك سوى ان يكره اليهود ، فهو صاحب عقيدة ! .. **ما الذى أتى بهؤلاء اليهود الى فرنسا؟ أية امواج حملتهم ثم لفظتهم على أرضها ؟ .. وأحس بأن كراهيته لليهود من نوع يختلف عن كراهيته لاى شىء أو أية متعة .. انها كراهية خالصة ، تبرز منه كنصل من فولاذ يتطاول الى صدور اليهود ! .. وهمس لنفسه : « انه شعور .. قدسى ! »**

واخذ يرمق نفسه ـ باحترام ! ـ بعينين اخترقتا أخيرا نطاق البدن ، ليتعرف الى مايحب وما يكره ، والى عاداته

ونزواته .. وتأمل كل دقيقة فى نفسه باخلاص صادق ، ثم قال : « اذا لم اكن سوى ما أنا عليه ، لما كنت أمتاز على أى يهودى ! » .. ما الذى يكتشفه المرء فى سريرته الخفية عدا أشجان البدن ، وأكذوبة المساواة مع الغير ؟!.. ومن ثم عاد لوسيان يقول لنفسه : « ان الحكمة الاولى هى : لاتحاول أن تمد بصرك الى أغوار نفسك ، فليس أخطر من هذا الخطأ ! »

وادرك اذ ذاك ان لاوجود للوسيان الحقيقى — الذى كان يبحث عنه طيلة عمره — الا فى أعين الآخرين .. **ان قيمة المرء لاتظهر لعينيه ، وانما تنعكس على أعين سواه ، وتتبدى فى احترامهم له ورهبتهم منه ، كما فعلت بييريت وجوجار معه ، وكما يجب أن يفعل كل أولئك الذين كبروا ونضجوا من أجله : صغار العمال الذين سيصبحون رعيته اذا تبوأ مركز الرياسة فى مصانع أبيه ..وأهل(فيرول) ، كبيرهم وصغيرهم الذين يجب ان يصبح يوما سنيدا لهم !** .. وشعر لوسيان برهبة .. أحس انه أعظم مما يحتمل .. ما أكثر اولئك الذين كانوا ينتظرونه فى انتباه .. وهتف لنفسه : « هكذا يكون الزعيم !» .. وتمثلت امام ناظره احدى الكاتدرائيات ، فقال لنفسه : « الآن فقط اصبحت كاتدرائية ! »

***

• **والتفت** حوله ، فرأى شابا من (كوبا) يدخن سيجارا . وشعر بحاجة الى كلمات يعبر بها عن هذا الكشف العجيب ، غير العادى ، الذى توصل اليه . وفى حذر وهدوء ، رفع يده الى جبينه ، كما لو كان يرفع شمعة مضيئة ، وأطل على نفسه لحظة فى تفكير وتقديس ، ثم انطلقت الكلمات التى كان يفتقدها: « ان لى حقوقا ! »

وهكذا أصبح لوسيان : باقة ضخمة من المسئوليات والحقوق !.. لقدظل أمدا طويلا يظن أنه وجد بطريق المصادفة ،

ولكنه أيقن الآن بأن له مكانا تحت الشمس ، جدد فى (فيرول)، قبل مولده بزمن طويل ! .. لقد كان « مرتقبا » قبل زواج ابيه بزمن طويل ، واذا كان قد هبط الى هذه الدنيا ، فانما جاء ليشغل مكانا معينا !.. وهتف لنفسه : « اننى موجود ، لان لى حقا فى الوجود ! » .. وللمرة الاولى وجد جوابا للغز الذى كان يحيره .. ووجد بصره ينفذ للحظة خلال حجب الغيب ، ليتعرف مصيره ! .. وكانت الصورة واضحة : لسوف يتم دراسته فى مدرسة « السنترال » .. وسيهجر مود ، فقدسئم مضاجعتها ، وانه لتفوح من جسديهما ـ عند التقائهما ـ رائحة كرائحة الجرذان المحروقة !.. ثم ان مود لكل الناس : « انها اليوم لى ، و غدا لسواى ! » .. ولسوف يذهب فيقيم فى (فيرول) . و فى مكان ما فى فرنسا ، فتاة جميلة ، ذكية ـ مثل بييريت ـ تحتفظ بعفتها من أجله ، وتحاول أحيانا ان تتمثل ـ فى أفكارها ـ سيدها المقبل .. ذلك الرجل الرقيق الرهيب ! .. انها عذراء،وتعترف فى أعمق أغوار سريرتها بحق لوسيان وحده فى ان يمس عفتها !

وشعر بتحرق الى ذلك المستقبل ، وبسأم من ان يستمر فى وضعه الراهن ، فهتف لنفسه : ألن يموت مسيو فلورييه فى القريب ؟

***

• وانتبه على دقات ساعة تعلن انتصاف النهار .. لقد كان مراهقا منذ ساعة ، فأصبح الآن رجلا مكتمل الرجولة .. **أصبح « زعيما » بين الفرنسيين !**

وصادفته مرآة فى واجهة حانوت ، فوقف يتأمل شكله فيها .. وكان يرجو ان يرى وجها صارم الاسارير ، كوجه ليموردان ، ولكنه رأى أمامه وجها وسيما ، ناعما ، لاأثر للصرامة فيه .. فقال لنفسه : « لسوف أنمى شاربى ! »

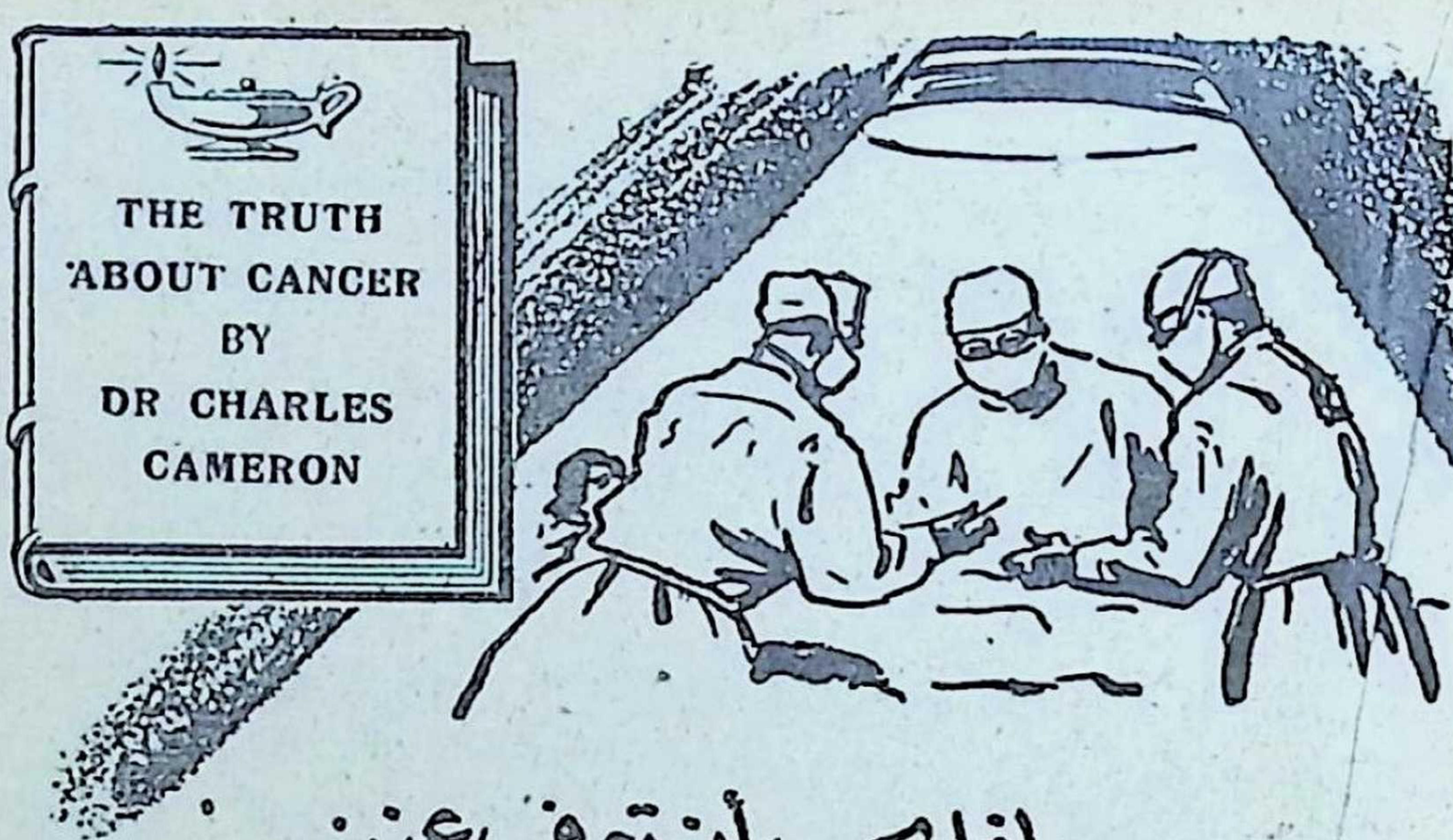

ماذا يجب أن تعرف عن:

السرطان

للباحث الأمريكي الدكتور "تشارلس كاميرون"

رئيس جمعية السرطان الأمريكية

تلخيص : الدكتور ناجي يسى

النجاة من السرطان .. فى يد المريض !

• ثبت علميا أن نصف حالات السرطان من الممكن أن تشفى اذا تسنى علاجها فى الوقت المناسب .. وتحديد الوقت المناسب هو مهمة كل مريض يريد النجاة من هذا المرض الفتاك ، فان كثيرا من أعراضه المبكرة تكون مستترة لايفطن اليها سوى المريض نفسه .. لهذا كان لابد من أن يلم كل امرىء بالحقائق الضرورية عن السرطان ، الامرالذى دفع العالم الامريكى الدكتور « تشارلس كاميرون » الى وضع هـــذا الكتاب الذى قدم لك « كتابى » حلقة منه فى العدد الماضى ، ويقدم لك ثانية حلقاته اليوم .

« طابع الحسن » .. قد يكون نذيرا بالسرطان !

• ان سلامتك رهن شعورك بالمسئولية ، التى تتمثل فى الانتباه الى أية أعراض توحى بالسرطان أو تعرضك له :

ان أية قرحة أو بقعة أو بثرة ، أو أى عيب يعتور الجلد ولا يبدو أنه ينحو الى التحسن فى وقت معقول ـ لايتجاوز ثلاثة أسابيع فى المتوسط ـ يجب ان يعرض على الطبيب ! وخليق بك أن تتجنب التعرض المتكرر ، ولمدد طويلة ، لاشعة الشمس القوية ، أو التعرض المستمر للهواء الساخن الجاف لسنوات عديدة ، لا سيما اذا كنت من ذوى البشرة البيضاء التى تحرقها الشمس بدلا من ان تحيل لونها للسمرة

واجزاء الجسم المعرضة للشمس ـ كالوجه والرقبة ظهر اليد ـ هى الاماكن المختارة لسرطان الجلد . كما ان القضاءعلى الاورام الجلدية البسيطة ـ التى تكمن فيها احتمالات الانقلاب الى أورام خبيثة ـ سهل الى درجة لاتدعو للاهمال الذى قد يعرضك لسرطان الجلد .

ان « طابع الحسن » قديكون بريئا فى مظهره ، ولكن سرطان الجلد الملون قد يبدأ فى طابع الحسن بالذات .. فان من المتقد

ان الجرح او التهيج او الالتهابات المتكررة فى طابع الحسن قد تؤدى الى سرطان . واذا لاحظت ان طابع الحسن قد اخذ فى النمو فجأة ، فخذ الحذر ، لان هذا النمو قد يكون نزيرا بتحوله الى ورم خبيث ! .. ومن الواجب استئصال طابع الحسن و « الحسنة » الملونة ، اذا كانا فى باطن القدم أو كف اليد أو الاعضاء التناسلية .

الوقاية .. خير من العلاج !

• **كذلك** يجب تجنب الافراط فى تعريض الشفتين لاشعة الشمس ، والا فضع عليهما – وعلى الشفة السفلى بوجه خاص – طبقة واقية من « الكريم » . **ومع وجوب الاعتدال فى التدخين ، تجنب ضغط الشفتين بين الاسنان والغليون ، وكذلك تجنب التصاق لفافات التبغ – السجاير – بشفتيك ، واحرص على أصلاح الاسنان الخشنة ، أو الاسنان البارزة التى تضغط أو تحتك بالشفتين .. وراقب اللسان واللثة وسقف الفم وقاعه ، والسطح الداخلى للخدين . وانتبه لظهور اية قرحة او تورم أو ارتفاع متيبس غير منتظم أو ازدياد فى سمك هذه الاجزاء . وهى أشياء يمكن ان تحس بها أكثر من ان تراها .** والواقع ان انواع السرطان التى تصيب الفم سهلة الاكتشاف ، وفرص الشفاء منها سانحة اذا عولجت وهى صغيرة . فلا تتردد فى أن تعرض على الطبيب – او طبيب الاسنان – فى الحال ، أية قرحة أو نتوء لايبدى ميلا للالتئام خلال اسبوعين من ظهوره .

ومن الاسباب التى يخشى ان تسبب سرطان الفم : الاسراف فى التدخين ، وعدم العناية بنظافة الفم ، والاسنان المدببة ، والاسنان الصناعيـة الرديئة التركيب ، والتعود على تناول الاطعمة والمشروبات وهى مرتفعة الحرارة !

لاتدخن أكثر من عشرين سيجارة فى اليوم !

• **وهناك** حالة زهرية قليلا ماتشاهد فى هذه الايام ، وتسمى

« ليوكوبلاكيا » .. وهى تبسط على اللسان غشاء يميل لونه للبياض . فخليق بك ان تعرف انها فى الواقع انذارا بالسرطان، ويجب علاجها بالجراحة فى الحال . كذلك يجب ان تسعى الى الفحص الطبى الدقيق لأية خشونة أو بحة طارئة على الصوت تلازمك لاكثر من أسبوعين مهما يكن سببها الظاهر .. فان التشخيص المبكر ينقذ المرء من سرطان الحنجرة ، لاسيما وان ثمانى أو تسعا من كل عشر من الاصابات به ، يمكن الشفاءمنها تماما ، اذا أدركت بالعلاج وهى بعد محصورة فى حبل واحد من الاحبال الصوتية !

وليس لسرطان الحنجرة أسباب متفق عليها ، وان كان بعض الثقاة يؤكدون انه أكثر حدوثا فى حالات الافراط فى التدخين . ومن ثم فان الاجراء الوقائى الوحيد هو الاعتدال فى التدخين ، بحيث لايتجاوز المرء عشرين سيجارة فى اليوم .

على ان هناك سببا مؤكدا من الاسباب المؤدية الى الاصابة بسرطان الحلق .. ذلك هو نقص فيتامين « ب »

كذلك يخلق بك ان لاتستهين بعسر الهضم ، فان أعراض عسر الهضم البسيط لاتختلف فى شىء عن الاعـراض الاولى لسرطان المعدة . وجدير بكل من تجاوز الخمسين من عمره دون ان يعانى كثيرا من اضطرابات المعدة المزمنة ، ان يلجأ الى الطبيب اذا شعر بعسر هضم يلازمه لمدة ثلاثة أسابيع ، وان يكن متقطعا ، أى غير مستمر تماما خلال هذه الفترة . ومن المحتمل ان لايكون عسر الهضم فى هذه الحالة سرطانا ، ولكن من المحتمل أيضا ان يكونه .. فينبغى ان لاتحمل وحـدك مسئولية البت فى ذلك . لاسيما وان سرطان المعدة اذا عولج قبل ان يتجاوز حجمه حجم القرش ، وقبل ان ينتشر الى الانسجة الاخرى ، كان الشفاء منه محتملا ـ فى خمسين فى المائة من الحالات ـ فى خلال خمس سنوات .. أما التأخر فى العلاج فجد خطير !

ومن الاعراض المبكرة الهامة فى هذا الصدد :

١ - النزيف الذى قد يلاحظ فى دورة المياه ، أو الذى يسبب فقر الدم ..

٢ - تقلب مستمر فى سير الامعاء ، من امساك الى اسهال وبالعكس ، مع ازدياد الفـازات بحيث تسبب آلاما متفاوتة الشدة فى البطن .

نزيف ((البواسير)) .. قد ينذر بالسرطان !

• **ومع** انه لا توجد علاقة بين « البواسير » والسرطان ، الا أن النزيف الذى يصحب الاولى ، قد يكون نذيرا بالسرطان. وكذلك يحسن استئصال الاورام البريئة المتدلية من المستقيم ، والتى تعتبر وراثية لتواتر ظهورها فى أفراد بعض الاسرات ، اذ انها قد تتحول الى أورام خبيثة ، لاسيما اذا كان فى تاريخ الاسرة من أصيب بسرطان المستقيم أو سرطان « المصران الغليظ »

ومن ناحية أخرى ، قد يكون ظهور نزيف فى البول نذيرا بوجود سرطان المثانة . كما ان عشرة فى المائة من حالات السرطان التى تصيب الرجال تنتمى الى سرطان البروستاتا . بل لقد أثبت التشريح أن واحدا من كل خمسة ممن ماتوا بعد سن الخامسة والخمسين ، كان مصابا بسرطان البروستاتا ، مما يدل على امكان بقاء أورام السرطان كامنة فى البروستاتا دون ظهور أية اعراض مرضية تكشف عن وجود الداء . **وليس لسرطان البروستاتا سوى علاج حاسم واحد ، هو استئصال هـذه الغدة تماما ، كما يمكن توقع شفاء دائم - بحيث لا يعود المرض الى الظهور - اذا ما أجريت الجراحة قبل أن يتجاوز السرطان الكيس المحيط بالغدة .** ولما كانت الاعراض المبكرة لهذا النوع من السرطان قليلة الظهور ، فان هناك طريقتين عمليتين للتثبت . أولاهما هى الفحص الطبى بمجرد ظهور بوادر اضطراب فى التبول ، كازدياد التبول ليلا ، والشعور بألم أو بصعوبة عند

أدائه .. مع ظهور الدم فى البول طبعا . وأما الطريقة الثانية ، فهى استئصال الاجزاء المتضخمة التى تظهر عادة فى الكهولة .

على أنه ليست هناك أسباب مؤكدة لسرطان البروستاتا ، وان كان ثمة اعتقاد بأن للهرمونات صلة بذلك . **ويقال ان هذا النوع من السرطان لايصيب اطلاقا ((المخصيين)) من الرجال فى سن مبكرة ، كالاغوات . كما يشاع أنه نادر الحدوث جدا لدى العرب الذين يعيشون فى البادية ، ويركبون الخيل دون استعمال السروج ، مما يؤدى الى ضمور الخصيتين .** وقد أوحى هذا بأن استئصال الخصيتين اجراء مضمون للوقاية من سرطان البروستاتا ، ولكن هذا لا يعدو مجرد الرأى العلمى النظرى

نسبة سرطان الرئة .. فى ارتفاع مستمر !

• **وسرطان** الرئة من أكثر أنواع السرطان شيوعا لدى الرجال ، ولا تزال نسبته فى ارتفاع مستمرلدى الرجال والنساء على السواء . ومن ثم فجدير بك ، اذا أصبت بسعال يستمر شهرا أو أكثر ، أن تعرض نفسك على الطبيب ، ولو لم يكن سعالك مصحوبا ب « بلغم » !.. كذلك يجب استشارة الطبيب لدى الشعور بأى ألم فى الصدر ، لا سيما اذا كان مصحوبا بالسعال أو البصاق الملطخ بالدم . وعلى العموم ، فمن واجبك أن تلجأ الى الطبيب فورا عند ظهور أية كمية من الدم فى البصاق ، مهما تكن قليلة ..

ومن علامات سرطان الرئة ارتفاع الحرارة وزيادة العرق أثناء الليل . ويحدث هذا عندما يصاب الورم ـ أو الجزء المحيط به من الرئة ـ بعدوى ميكروبية . ولا يلبث أن يدب الضعف والهزال فى الجسم

ويعتمد التشخيص المبكر لسرطان الرئة على شيئين : تعقب أسباب أى سعال يدوم لاكثر من أسابيع قليلة ، والفحص بالاشعة السينية (أشعة اكس) . وفى الولايات المتحدة الامريكية ،

ينصحون بالفحص بالاشعة مرة فى كل ستة أشهر ، لمن تتجاوز سنه الخامسة والاربعين . وتدل النتائج على أن حوالى خمسين فى المائة من الحالات التى يكتشف فيها السرطان نتيجة الفحص الدورى بالاشعة - أى الفحص الذى لا يتوقف على الشعور بألم - يمكن شفاؤها ، وهذه النسبة تصل الى ثمانية أضعاف نسبة الشفاء فى الحالات التى يتأخر فيها العلاج الى ما بعد ظهور أعراض المرض !

ثدى المرأة .. مكان السرطان المختار !

• **فاذا** انتقلنا الى السرطان عند النساء ، وجدنا أن أكثر أنواعه ازعاجا لهن هو سرطان الثدى . وفى بريطانيا ، لايشفى من الآلاف اللائى يصبن به سوى خمسة وثلاثين فى المائة تقريبا . ولكن هذه النسبة ترتفع الى الضعف اذا بدىء فى العلاج قبل أن يزيد حجم الورم عن القرش الصاغ . ومن هنا نتبين قيمة ادراك المراة لظواهر المرض ، وعدم استسلامها للخوف والجهل !

ويحدث سرطان الثدى عادة بعد سن الخامسة والاربعين ، ولكن حدوثه قبل ذلك ليس نادرا . وأول نذره يتمثل فى وجود تورم أو تيبس غير مؤلم فى أى جزء من الثدى ، لاسيما فى الربع العلوى الى الخارج . ومع ازدياد حجم هذه الكتلة ، تظهر أعراض اخرى ، اذ تبدأ جذور الورم المتشعبة فى القبض على أربطة الانسجة الخلوية التى تربط بين العضلات الواقعة تحت الثدى والجلد المنبسط فوقه ، مما يؤدى الى انكماش هذه الاربطة ، فتشد الجلد الى الداخل . وقد لايلاحظ هذا فى البداية الا اذا ضغط ذلك الجزء من الثدى ورفع الى فوق ، أو برفع الذراع الى أعلى . ثم يظهر شىء من الانبعاج فى الاستدارة الطبيعية للثدى ، ولا يلبث ذلك الانبعاج أن يصبح انخفاضا مستديما فى السطح . وقد يحدث الشىء نفسه فى الحلمة أحيانا ، فتبدو منكمشة الى الداخل ، ولا تلبث مع مرور الوقت أن

تصبح كلها واقعة تحت مستوى الجلد المحيط بها . وقد تميل الحلمة نحو جهة التورم ، نتيجة لما يصيب الجلد من شد . ولا تلبث مسام الجلد المشدود ان تظهر كالمسام التى تتخلل قشر البرتقال .

وقد يتضخم حجم الثدى اذا نما الورم ، ولكنه فى أحوال أخرى قد يبدو ذابلا منكمشا ، نتيجة حلول الانسجة السرطانية الكثيفة اليابسة محل نسيج الثدى الطبيعى المرن ؛ وعندما يصيب السرطان القنوات المجاورة للحلمة تظهر علامة نادرة نسبيا على شكل تقرح رطب متهيج يصيب جلد الحلمة ، ويكون له افراز يتحول ـ عندما يجف ـ الى قشرة تلتصق بالجلد . وقد يكون الافراز الدموى من الحلمة دليلا على ورم برىء فى احدى القنوات ، اكثر مما هو دليل على السرطان ، ولكن الفيصل فى ذلك هو الاستكشاف الجراحي . وهذا هو السبب فى تحبيذ المبادرة الى الجراحة . **ولا يقدم الجراحون على استئصال الثدى كله الا بعد التأكد من وجود دليل قاطع على السرطان . فاذا اجرى الاستئصال الكامل ، بلغت فرص الشفاء سبعين فى المائة ، طالما كان السرطان محصورا داخل الثدى ، دون أن يمتد الى الانسجة المجاورة .**

لذلك فكلما انتبهت المراة الى وجود التورم أو التيبس غير العادى مبكرا ، زادت فرصة شفائها . وخير وسيلة هى تحسس الثدى فى اليوم التالى لانتهاء الدورة الشهرية للمرأة

أمل جديد .. للنساء !

• **ويأتى** انتشار سرطان الرحم عند النساء فى الدرجة التالية . وهو يصيب عنق الرحم فى حوالى ثمانين فى المائة من حالاته . وتبدو أولى نذره فى شكل نزيف مهبلى غير منتظم ، يعزى فى كثير من الاحيان الى اسباب عارضة ، قليلة الخطر ، كالبرد أو الالتهاب أو بدء انقطاع العادة الشهرية . ويكون

السرطان هو الاحتمال الاكبر ـ والاخطر ـ عند حدوث النزيف المهبلى لدى المرأة بعد أن تتخطى سن اليأس ، ولا سيما فى المرحلة التى تضطرب فيها الدورة الشهرية قبيل انقطاعها ، اذ يصعب فى هذه الحال التمييز بين النزيف الطبيعى والنزيف الناشىء عن ورم سرطانى . على أنه ليس من الضرورى أن يتضمن النزيف الذى ينم عن سرطان الرحم دما ، اذ أنه قد يتمثل فى أى افراز مهبلى آخر .

ومن ثم فمن الواجب الاطمئنان الى أسباب أية افرازات مهبلية ـ وما أكثر ما يحدث منها نتيجة أسباب أقل خطرا من السرطان ـ والمبـادرة الى علاجها . **على أن الافراز يصطبغ عادة بالدم عند وجود سرطان الرحم ، فيتراوح لونه بين الوردى الباهت والاحمر القانى . فاذا حدث النزيف المهبلى بعد الجماع أو بعد غسل المهل ، دل ذلك ـ فى أغلب الحالات ـ على وجود سرطان عنق الرحم**

وفى استطاعـة المرأة أن تتقى شرور وأخطار السرطان ـ حتى أشد أنواعه ـ اذا هى بادرت الى العلاج فى وقت مبكر . وفى حالة الافراز المهبلى غير الطبيعى ـ أو فى حالة أى نزيف غير طبيعى ، مهما يكن بسـيطا أو نادر الحدوث ـ يجب أن تعرض نفسها على طبيب دون ابطاء . وهناك طريقة أخرى ما زالت فى طور التجربة ، ولا تطبق الا فى بعض معاهد الابحاث . . تلك هى طريقة الفحص الميكروسكوبى لعينة من الغشاء المخاطى للمهبل . . فان هذا الفحص يرشد الى الخلايا الخبيثة قبل أن يصل الورم الى الحجم الذى يسهل معه رؤيته بالعـين أو تحسسه باليد . وهذه الطريقة تنطوى على أمل جديد للنساء فى تشخيص سرطان الرحم مبكرا ، قبل أن يستفحل

كيف تفحصين صدرك .. لتشخيص سرطان الثدى

(١) اجلسى معتدلة أمام مرآة كبيرة ، وتجردى من ملابسك

الى الخصر ، ثم اتركى ذراعيك الى جانبيــــك فى استرخاء ، وافحصى شكل كل ثدى على حدة ، وتأكدى من عدم وجودأى تغير فى حجمه أو شكله أو استدارته الطبيعية ـ كظهور بروز أو ورم أو غرز أو انكماش ـ ثم ابحثى عن أى مظهر غيرطبيعى فى الحلمة

(٢) ارفعى ذراعيك الى ما فوق الرأس ، وابحثى عن أى تغير فى حجم الثدى أو شكله ، أو أى مظهر غير عادى فى الجلد أو الحلمة . وتأكدى من عدم وجود أى انبعاج فى الاستدارة الطبيعية للثدى ، أو انكماش (كرمشة) فى الجلد ، أو وجود غرز به

(٣) استلقى على ظهرك فى الفــــراش ، وضعى وسادة صغيرة أو ما اليها تحت احدى كتفيك ، ثم ارفعى الذراع التى فى جانب هذه الكتف ، وحاولى الاسترخاء .. فان هذا الوضع يسمح للثدى بأن ينبسط على جدار الصدر ، فلا تظهر من نسيج الثدى سوى أرق طبقة ممكنة . والآن ، افحصى بأطراف أصابع يدك الاخرى النصف الثانى من الثدي . وللتأكد من صحة الفحص تخيلى خطا مستقيما يمتد من أعلى الثدى الى أسفله مارا بالحلمة ، ثم حركى أصابعك من هذاالخط العمودى الى الداخل ، حتى تصل الى عظمة القص ، مبتدئة من أعلى الثدى ومنحدرة الى أسفله فى خطوط أفقية متوازية . على أنه يجب ملاحظة أن تسير الاصابع من نقطة الى أخرى ، مع ضغط وقتى خفيف ولكنه كاف لتحسس الاجزاء العميقة من الثدى

(٤) اخفضى ذراعك الى جانبك ، ثم افحصى بأصابع اليد الاخرى النصف الخارجى من الثدى ، بادئة من خط الانتصاف الوهمى ومتجهة بأصابعك الى الخارج حتى نهـاية الحدود الخارجية للثدى ، فى خطوط أفقيــــة متوازية كما فعلت فى النصف الداخلى .. ثم كررى هذه الخطوات فى الثــدى الآخر .

وفى وسع أية سيدة تتبين أى تغير فى ثدييها بهذه الطريقة، أن تبادر باستشارة الطبيب فى الحال ، اذا لاحظت شيئا من هذه العلامات :

كتلة متيبسة – تشوه فى استدارة الثدى – ارتفاع فى سطح الثدى – تفرز أو انكماش فى جلد الثدى – تقلص الحلمة الى الداخل – نزيف أو افراز من الحلمة – مسام واسعة تجعل جلد الثدى شبيها بقشر البرتقال !

التدخين .. والسرطان

• **لا يكاد** يوجد سبب – ثابتا كان أو مشتبها فيه – لحدوث السرطان ، كالتدخين . **فقد أدت الزيادة الملحوظة فى نسبة الاصابة بسرطان الرئة ، الى اتجاه الشبهات الى التدخين، والى تدخين السجاير بوجه خاص ، لاسيما وأن دخانها ينفذ الى الرئة ، فى حين أن دخان الغليون أو السيجار لايستنشق بالقوة التى تدفعه الى داخل الرئة . ومما يضاعف الشبهات ، أن نسبة المفرطين فى التدخين بين مرضى سرطان الرئة ، أعلى دائما من نسبتها بين سواهم !**

وتقوم جمعية السرطان الامريكية ببحث احصائى واسع النطاق فى هذا المجال ، لمعرفة العلاقة بين التدخين وبين نسبة الوفيات عامة ، وبينه وبين أسباب الوفاة . وتدل البيانات التى تسنى جمعها حتى الآن على :

أولا : الافراط فى التدخين يضاعف نسبة الوفيات بوجه عام ، بغض النظر عن أسباب الوفاة

ثانيا : الافراط فى تدخين السجاير يضاعف – تقريبا – نسبة الوفيات بأمراض الشرايين التاجية

ثالثا : نسبة الوفاة بسرطان الرئة بين مدخنى السجاير تبلغ خمسة أضعاف نسبتها – تقريبا – بين الذين لايدخنون

رابعا : نسبة الوفاة بالسرطان – أيا كان نوعه – تبلغ بين مدخنى السجاير ضعفى ونصف ضعف نسبتها بين غيرهم

خامسا : ترتفع نسبة الوفيات ـ بين المدخنين ـ تبعا لارتفاع عدد السجاير التى يستهلكها المرء

سادسا : نسبة الوفيات بين المدخنين الذين يجمعون بين السجاير وأنواع التبغ الاخرى ، ليست فى ارتفاع نسبتها بين الذين يقتصرون على السجاير وحدها ، ولكنها مع ذلك أعلى من نسبتها بين الذين لا يدخنون

سابعا : نسبة الوفيات بين معتـادى تدخين السجاير تزيد على نسبتها بين غير المدخنين بقليل . ولكن الفرق بسيط. لا يكاد يعتد به

ثامنا : نسبة الوفيات بين مدخنى الفليون (البايب)لاتزيد بدرجة محسوسة عنها بين الذين لايدخنون

المقارنة تثبت صحة النتائج السابقة !

• **وبعد** أشهر قلائل من نشر هذه البيانات الامريكية ، نشرت أبحاث مشابهة قام بها ثمانون ألف طبيب بريطانى،فكان توافق نتائج أبحاث الهيئتين المستقلتين استقلالا كاملا ، مثيرة للعجب حقا !.. وتدل أبحاث أخرى ـ فى هذا الصدد ـ على استنتاجات محددة غاية فى الخطورة . ففى أحد هذه الابحاث التى ما زال العمل فيها مستمرا ، أمكن استخلاص الحقائق التاليـة ـ وهى حقائق رهيبـة ، وان لم تؤيد بعد بالادلة العلمية :

• استمرار الشخص فى تدخين أربعين لفـافة يوميـا لفترة لا تقل عن خمسة وعشرين عاما ، يرتفع بفرص اصابته بسرطان الرئة الى اثنين وخمسين ضعف الفرص التى يتعرض لها من لم يدخن اطلاقا

• تدخين ما بين عشرين وخمس وعشرين سيجارة يوميا يضاعف الخطر اثنين وعشرين مرة

• الشخص الذى يدخن تدخينا خفيفا ـ حوالى عشر

لفائف يوميا لمدة خمس وعشرين سنة - يكون اكثر تعرضا لسرطان الرئة من غير المدخن بمقدار ١١ مرة

ونخلص من هذا الى أن الشخص الذى بلغ الخمسين من عمره دون أن يدخن اطلاقا ، يواجه احتمال اصابته بسرطان الرئة بمعدل واحد الى مائتين ، فى حين أن قرينه فى السن بين المفرطين فى التدخين يتعرض للاصابة بمعدل واحد الى ثمانية !

فهل هذا الخطر مما يمكن الاستهانة به ؟.. وهل تساوى لذة التدخين سنوات معدودة ، كل هذا الخطر ؟

هذان سؤالان لا يستطيع الاجابة عنهما سواك ! !

سرطان الرئة .. فى طريقه الى صدور النساء !

• وتدل الاحصائيات على أن تدخين اللفائف (السجاير) قد ارتفع ارتفاعا كبيرا فى السنوات العشر التى تلت سنة ١٩٢٠. وقد ارتفعت نسبة سرطان الرئة - فى العشرين سنة التالية لسنة ١٩٢٠ أيضا - ارتفاعا تدريجيا بسيطا ، ولكنه تحول الى ارتفاع حاد مفاجىء بعد سنة ١٩٤٠ ، وقد استمر على حدته حتى يومنا هذا !

ومن المعلوم أن غالبية العوامل التى تسبب السرطان تحتاج لفترة طويلة - قد تمتد فى أكثر الحالات الى نصف الحياة - ليظهر أثرها . ولما كان سرطان الرئة ينتج عن عامل يحتاج الى فترة عشرين أو ثلاثين سنة ليظهر أثره ، فان الارتفاع الحاد فى انتشاره منذ سنة ١٩٤٠ الى وقتنا هذا ، يشير الى أن ((شيئا ما)) قد بدأ يمارس عمله على نطاق واسع منذ نحو عشرين أو ثلاثين سنة سابقة لهذا التاريخ .. أى عندما ظهرت الزيادة الكبيرة فى تدخين السجاير عقب الحرب العالمية الاولى !

ولكن .. اذا كان لتدخين السجاير شأن فى الاصابة بسرطان الرئة ، فلماذا لا نصادف كثيرا من حالات هذا المرض بين النساء ؟

الواقع أن سرطان الرئة بين النســـاء فى ازدياد حقيقى ، وبشكل أكيد . ويجب أن لاننسى أن انتشار التدخين بين النساء أخذ فى الظهور بعد انتشاره بين الرجال . فاذا كان التدخين يساهم فى تسبيب سرطان الرئة ، فلا بد أن يأتى اليوم الذى يتساوى فيه انتشاره بين الرجال والنساء ، اذا استمرت عادة التدخين على انتشارها بين النساء حتى تبلغ مستوى انتشارها بين الرجال !

التدخين ليس هو « المتهم » الوحيد !

• **على** أن السؤال الهام هو : هل العلاقة الاحصائية بين تدخين السجاير وسرطان الرئة تثبت أن الثانى نتيجة الاول ، أو انها مجرد علاقة عرضية ؟

وبينما نحن فى انتظار الاجابة على هذا السؤال ، يوافينا اخصائيو الاحصاء فى جمعية السرطان الامريكية بخلاصة وافية لمعلوماتنا الحالية ، وهى تدل على أنه :

« اذا كانت الادلة القائمة حتى الآن غير كافية لادانة تدخين السجاير بالمسئولية عن تولد سرطان الرئة ، فانها تظهر بوضوح أن التـــدخين كان – على الاقل – من العناصر المشتركة فى الجريمة ! »

ومما تجدر الاشارة اليه أن التدخين ليس « وحيدا » فى اللوم ، فى صدد سرطان الرئة ، بل يشاركه فى قفص الاتهام « التلوث الجوى » .. اذ أن الطرق ترصف فى أيامنا هـــذه بمادة أسفلتية متصلة من الناحية الكيميائية بمواد نعلم أنهـا تولد السرطان . فالابخرة والغبار القطرانى تعتبر لدى بعض العلماء من المواد التى يحتمـــل أن تسبب السرطان ! كما أن الابخرة المتصاعدة من آلات الاحتراق المختلفة تحتوى على مواد مولدة للسرطان .. وكذلك تولد آلات الديزل باطراد ، والادخنة المنبعثة من المصانع والبيوت ، مواد سناجية (هباب) وأبخرة تؤدى الى تلوث الهواء فى المدن !

المذهب الجديد الذى ينادى
برجوع الإنسان الى الطبيعة !
للكاتب "لوى شارل روايية"

فى بلاد.. العراة !

تلخيص : فرج جبران

ما رأيك .. فى هذا المذهب الجديد ؟ !

• ترتفع بين حين وآخر أصوات تدعو الى رجوع الانسان الى الطبيعة .. وأول مظهر من مظاهر هذا الرجوع ، يتمثل - فى رأى أصحاب هذه الاصوات - الى التحرر من تلك الملابس التي تحد من حركات الانسان ، وتحول بينه وبين الافادة التامة من العناصر الطبيعية التى تعتبر سر الحياة والنمو والازدهار ، كالشمس ،والهواء. على أن أهم ما يذهبون اليه فى هذا الصدد ، هو ان هذا العرى - الذى يدعون اليه - يساعد على استكانة وتعقل الغرائز الجنسية لدى الانسان ، فلا يضيع كثير وقت فى تخيلات وأوهام لا تزيد غرائزه الا ارهاقا وتوترا

وفيما يلى نقدم لك ملخصا لكتاب وضعه كاتب زار مستعمرة للعراة فى ألمانيا .. تاركين لك الحكم على الآراء التى وردت فيه

رحلة .. بعيدا عن مدينة الفضائح !

• لم اكن أدرى الى أين كنت ذاهبا .. كل الذى كنت أدريه ، هو ان صديقى « كابريكوفو » - الشاعر الذى واتته الثروة وصلحت حاله عندما هجر الشعر الى التجارة ! - مر بمشرب كنت أجلس فيه ، فما ان رآنى حتى قال :«ان صحتك ليست كما ينبغى ! .. وجهك ينم عن ذلك ! .. لماذا لاتستجم الى جوار البحر ، أو فى الجبال والريف ؟ »

وقلت : « الحق اننى بحاجة الى الاستجمام .. الى راحة روحية ! .. **اننى أبحث عن مكان لايتحدث فيه الناس عن باريس ، والمسرحيات ، والاقتصاديات ، والفضائح .. اننى أتوق الى مكان لاتصل اليه الصحف ! »**

وابتسم صديقى « كابريكوفو » ، وأخرج من جيبه مفكرة

صغيرة ، قلب صفحاتها وهو يقول : « اننى أعرف مكانا يتوفر فيه كل ما تنشد .. هل يضايقك أن تذهب الى ألمانيا ؟ »

ـ ألمانيا ؟! .. لا .. أقصد لامانع !

ـ ان المكان الذى ذكرته لك فى الريف .. « بنسيون » فى الريف .. طعام بسيط ولكنه صحى .. بحر البلطيق لايبعد عنك بأكثر من رحلة تستغرق خمس عشرة دقيقة .. وأقرب محطة للسكك الحديدية على مسيرة نصف ساعة .. وليست هناك مركبات « ترام » ، ولا صحف !

وكتبت العنوان الذى أملاه على . وبعد ثلاثة أيام ، كنت أتأهب للرحيل الى (ناكندورف) .. قرية صغيرة ، على مقربة من مدينة (لوبيل) بألمانيا . وكانت المحطة التى بارحت القطار فيها ، محطة صغيرة تقوم وسط غابة . أما القرية ذاتها ، فكانت على مسافة ثلاثة كيلو مترات ، ولكننى لم أذهب اليها ، اذ أن « البنسيون » الذى كنت أقصده كان فى الجانب الآخر من المحطة ، موغلا فى جوف الغابة

.. فى مدينة العراة !

• **ولم** اعثر على عربة او سيارة تقلنى الى « البنسيون » بل كان على أن أسعى اليه على قدمى . ولم أصادف مخلوقا فى الطريق ، حتى خيل الى اننى ضللت السبيل . ولكننى تذرعت بالصبر ، وواصلت سيرى . وبعد ثلاثة أرباع الساعة ، وجدتنى أمام بحيرة جميلة ، تحف بها أشجار الصنوبر اليانعة .. سياج من الخضرة ، حول صفحة من الزرقة البديعة ! .. ولم يكن المنظر بديعا فحسب ، بل انه بدا كصورة من تلك الصور التى نراها على البطاقات السياحية (الكارت بوستال) .. وبأية الوان ؟ .. ألوان تفوق كل ماتتفتق عنه قريحة أى فنان مبدع

وادركت انني وصلت .. فقد شهدت « البنسيون » الذى وصفه لى صديقى .. ولم يكن يبعد عنى بأكثر من مائتى

خطوة ، فسعيت اليه . وما أن طرقت الباب حتى صافحت أذنى ضحكات وخطوات . ثم فتح الباب ، وظهرت امامى فتاة تقضم تفاحة !.. وكانت عارية تماما ، كأمنا حواء .. وقد زادت التفاحة من هذا التشابه !

ومددت بصرى الى داخل الدار ، فرأيت فى البهو سيدتين فى مثل شقرة الفتاة .. وفى مثل عريها ايضا !

وجمدت مبهورا ! .. أين أنا ؟ .. أفكانت هناك خدعة دبرها صديقى ((كابريكوفو)) ، فأغرانى على أن أجتاز فرنسا وبلجيكا ونصف ألمانيا ، لاستقر أخيرا .. فى بؤرة ؟ ! ..

وكانت «حواء» الصغيرة لاتزال تحملق فى ، مأخوذة هى الاخرى .. ولكنها لم تبد شيئا من الاستحياء أو الخجل . وسلمت أخيرا بأننى لابد وقد ضللت الطريق فقلت موجسا : « أهذا هو نزل البروفيسور هيجو ؟ » .. فأجابت : « أجل .. تفضل بالدخول ! »

وطالعتنى فى الردهة صور كثيرة تمثل العرى والعراة . وفيما كنت أنتظر ، مرت بى سيدة فى الخمسين من عمرها ، وثلاثة أطفال .. وكان الكل عراة ! .. وما لبثت حواء الصغيرة أن عادت فأرشدتنى الى حجرة المكتب ، حيث وجدت « البروفيسور هيجو » .. وكان بدوره عاريا ! .. والحق اننى أحسست بخجل من ملابسى ، وأسفت لاننى لم أخلع قبعتى ومعطفى على الاقل — قبل أن أدخل الى حجرة «البروفيسور»

وقال الرجل : « أعتقد أنك صديق كابريكوفو .. تشرفنا ! .. أرجو أن تعذرنى اذا استقبلتك بهذا الشكل ، فقد كنا نستعد للخروج ! » .. **وازددت دهشة عن ذى قبل .. أيستعد القوم للخروج بأن يتجردوا من ثيابهم جميعا !.. ولم أعد أوجس من أن أكون قد وقعت فى بيت موبوء ، فقد أيقنت أننى فى دار للمجانين !**

ولكننى أدركت — بعد حديث استغرق ربع ساعة مع

البروفيسور هيجو – أدركت اننى فى « مستعمرة للعراة » !

قوم أحرار ، أصحاء ، طاهرون !

• **وفى** أوربا – لاسيما ألمانيا – جماعات كثيرة تباشر العرى كرياضة أو علاج طبى أو عقيدة ، وينتمى أفرادها الى مختلف الطبقات الاجتماعية والاحزاب السياسية والعقائد الدينية .. فهناك عراة من العمال ، ومن مستخدمى المصارف ، ومن عاملات التليفون ، ومن أغنياء التجار .. بل ومن رجال الدين !.. ولهم فى معظم الولايات الالمانية مستعمرات خاصة ، ومتنزهات كبيرة منعزلة ، يعيشون فيها عراة ، طليقين من كل قيد .. فاذا اشتد البرد – فى الشتاء – مارسوا العرى فى صالات واسعة ، تسلط عليها أشعة الشمس الصناعية ، ويقف فيها الرجال والنساء والاطفال كتفا لكتف ، يباشرون الالعاب الرياضية ! .. **بل أن العراة أقاموا فى برلين حماما اصطنعوا فيه الامواج لينعموا بمباهج معيشة الشواطىء ، دون أن يضايقهم اضطرارهم الى الملابس التى يقولون فى وصفها انها ليست سوى ((نوع من الرياء الذى يثير الغرائز)) !**

وللعراة أدب خاص ، وفلسفة ، وأسرار وطقوس غامضة ، وصحف شهرية مصورة .. وكل هذه جديرة بالدرس !

واستلقى أمامى البروفيسور « هيجو » ، ثم راح يحدثنى عن الحركة فى ألمانيا ، فقال انها استمدت من اربعة مصادر مختلفة :

١ – الرياضة البدنية ، وما عرف عن تأثير الاشعة الشمسية على الصحة . وكان أول من نادى بذلك ، العالم النمسوى « ريكلى » ، فى سنة ١٨٥٥

ولذلك فالعراة كلهم أصحاء !

٢ – حركة التجديد التى انبعثت من مدرسة « ستجليتز » الالمانية فى سنة ١٨٧٧ ، لتحرير الشباب

ولذلك فان العراة قوم أحرار !

٣ ـ جهود الرسامين لتحقيق الجمال فى الحياة . وقد نادى بهذه الرسالة « ديافنباخ » و « فيدوس »

فقلت أسبقه الى التعقيب : « ولذلك فالعراة جميعا مخلوقات جميلة ! »

فابتسم قائلا : « انهم يحاولون ان يصلوا الى الجمال ، ولا شك ان ذريتهم ستكون جميلة ! » .. ثم استطرد قائلا : « أما المصدر الرابع للحركة ، فهو الفريزة الجرمانية ، كماأعلنها « وايدمان » .. **فلقد ظل اجدادنا الالمان يستحمون عراة حتى القرن السابع عشر .. ومع ذلك فقد كانوا مضرب الامثال فى الخلق والطهر . ومن ثم فالعراة قوم أنقياء طاهرون »** !

خير رفيق .. للرجل .. وللمراة ، فى دنيا العراة !

ولم يكن امامى بعد هذه المحاضرة سوى ان اوقع طلبا للانضمام الى جماعة العراة ، وان أبادر الى خلع ثيابى !

جنة .. على الارض !

• **وسألنى** البروفيسور هيجو : « هل يروق لك ان تبدأ اليوم علاجك الروحى ؟.. اذن فاتبعنى حتى نلحق بزملائنا »

وكان اول ماخالجنى حين خرجت عاريا ، هو اننى أستجم فى بحر من الهواء والضوء !.. وكنت أطأ أحيانا بعض الاغصان اليابسة ، فأشعر بشىء من الالم ، فكان البروفيسور « هيجو » يبتسم قائلا ــ وهو يدوسها فى بساطة : «لسوف تتعودهذا !»

وبلغنا فجأة بناء عتيقا يشبه المزرعة ، وقد بدت عنده فلاحة صغيرة تحمل فى كل من يديها اناء مترعاباللبن . وأسرعت أهم بالاختفاء وراء احدى الاشجار ، ولكن البروفيسور صاح بى : « ماالذى دهاك ؟.. اننا فى أحد المتنزهات الحرة ، وهى مناطق يباح فيها العرى . ثم ان المزرعة التى تلى هذه ــ غربا ــ ملك لى . **هل تحب ان تتناول شيئا من اللبن . انه نقى .. مثلنا ! انكم لاتعرفون هذا النقاء فى باريس !»**

وبعدعشر دقائق ، وصلنا الى مكان مكشوف ، يملؤه الضوء وتحيط به أكواخ خشبية صغيرة ، وجدنا بها اسرة للاطفال ، وقد وضعت الى جانب الاسرة الكبيرةالخاصةبالوالدين . وقال البروفيسور هيجو ــ عندما لمح التساؤل على أساريرى : « لقد خرجوا للاستحمام » .. واشار بيده الى مكان يبعد عنا بحوالى مائة متر ، فاذا البحيرة الجميلة تتلألأ تحت أشعة الشمس ..

وانبعثت على مقربة منا صيحة تنم عن ابتهاج ، ثم أقبلت علينا صبية شقراء فى الثامنة من عمرها ، قدمت خدها للبروفيسور « هيجو » الذى طبع عليه قبلة ، ثم تقدمت منى .. ولم يسعنى الا أن أقبلها فى شىء من الحياء .. وغنى عن

القول انها كانت عارية ! .. وقال لى هيجو : « انها كبرى بنات أسرة غنية من (همبورج) .. انها تسبح كالسمكة ! »

استكانة الغرائز .. فى مدينة العراة

• **وعندما** بلغنا شاطىء البحيرة ، رأينا حوالى ثلاثين شخصا يستحمون . ولكنهم ماكادوا يرون « البروفيسور » ، حتى غادروا الماء على الفور واقبلوا يحيونه . ومع انهم كانوا عراة ، الا انه لم يبدمن اى منهم انه يرى العرى امرا غيرعادى !.. وما ان علموا اننى أجنبى ، حتى أحاطونى باهتمام بالغ ، وسددوا الى نظراتهم فى تفحص أثار خجلى ، فألقيت بنفسى فى المـاء احتمى به من نظراتهم ، وأستر خجلى !.. على أننى اضطررت فى النهاية الى مغادرة الماء ، رغم تلكؤى وتعمدى التأخر بعد ان غادره الجميع ..

واجتمع البعض حولى يجاذبوننى أطراف الحديث . وكان بصرى يعلق أحيانا بأجسادهم العارية ـ بغير قصد ـ فكنت أسارع الى تحويل عينى ، حتى اضطررت فى النهاية الى ان أثبت نظرى فى قمم الاشجار وأسطح الاكواخ طوال الحديث !.. وبينما انهمك بعض الشبان فى جمع فروع الاشجار للوقود ، انصرفت الاناث الى جمع بعض الاحجار لاعداد أفران خلوية للطهو ، وفى اقتطاف الخضر واعدادها !

وألفت الاوضاع تدريجيا ، واستطعت ان اقنع نفسى بأن جميع المحيطين بى لم يكونوا ينظرون الا الى وجهى دون أن يعنوا بشىء آخر منى ! .. وحاولت بدورى مااستطعت ان اروغ ببصرى بعيدا عن أجسامهم ، ولكن هذا لم يحل دون ان الاحظ انها ـ جميعها ـ كانت اجساما صحيحة ، جميلة ، خالية من الترهل والتشوه والاعوجاج !

العراة يعيشون على الخضر والفاكهة !

• **وعلى الاعشاب** ، تناولنا طعامنا : خضر مسلوقة ، وفاكهة

مطهوة واخرى طازجة .. ولم نشرب سوى الماء الذى كان ينساب من عين قريبة . **حتى اذا فرغت من الطعام ، دهشت اذ شعرت بنشاط بدلا من ذلك التراخى الذى كان يستولى على بعد وجبات الطعام عادة ! وادركت الفارق بين اسرافنا فى الطعام – لاسيما اللحوم – وبين اقتصار هؤلاء القوم على الخضر .**

ومع خفة وطأة الخضر على المعدة ، فان البروفيسور هيجو لم يلبث ان دعانا الى الاشتراك فى بعض الالعاب لتنشيط الهضم ! وانصرفنا بعض الوقت الى تقاذف كرة كبيرة ، ثم اشتركت فى العدو مع من كانت سنهم تقل عن الاربعين .. ولشد ماكان استمتاعى بالجرى فى الغابة وانا مجرد من كل ثيابى !

ترى هل كانت هذه المتعة وليدة الارتداد الى عادة فطرية هجرها الانسان منذ قرون طويلة ؟ .. او انها كانت منبعثة من لثمات الشمس لجسمى ، ودغدغة الهواء لاعضائى ؟ .. لست أدرى ، ولكننى شعرت بارتياح بالغ عندما استلقيت فى النهاية على الاعشاب الخضراء ، بينما حفت بى النباتات الشذية .. لقد شعرت اذ ذاك باننى أشبه الحيوان الطليق ، وهو يتقلب على الارض سعيدا !

وعدنا اخيرا خلال طريق يعترضه تل صغير . وارتدت بى الذاكرة الى رحلات كنا نقوم بها فى منطقة (الفوج) الجبلية . فقفزت الى ذهنى صور الرجال حين كانوا يتعمدون التلكؤ لتسبقهن الاناث فى التسلق ، كى يستطيعوا ان يختلسوا النظرات من تحت أطراف ثيابهن ! .. ان شيئا من هذا لم يحدث هنا ، فلم يكن ثمة شيء مختف أو مستور حتى يثير الفضول وحب الاستطلاع ! .. بل ان احتكاك أجسامنا ونحن نتسابق فى التسلق ، لم يكن يثير اية جارحة فى احد منا !

السمو الخلقى .. فى مدينة العراة !

• ولا مراء فى ان الامر كان يختلف لو ان الاناث اللاتى كن

يحطنني ، لم يخلعن ثيابهن الا من أجلى وحدى .. أو انهن كن يستهدفن من العرى اثارة او اغراء .. أو حتى ارضاء أحد منا نحن الذكور ! .. ولكن كلا من هؤلاء القوم لم يتجرد من ثيابه لاحد أو لغاية .. كان كل منهم عاريا من أجل نفسه فقط!

وكان الانسجام يسود الجميع .. بل ان هذا الانسجام ، والشعور باننا نمارس رياضة عادية ، والسمو الخلقى الذى سادنا .. كل هذه جعلتنا نشعر بان العرى كان واجبا فى تلك الظروف !.. كان شيئا طبيعيا ، لايستحق ان يوليه المرء أى اهتمام !

والى هؤلاء الذين يجادلون فى قيام حال كهذه ، ويرونها مستحيلة ، أضرب المثال التالى : من منا معشر الرجال يستبيح لنفسه ان يوجه نظرة آثمة الى امرأة ترضع طفلها فى مكان عام ، مهما تكن هذه المرأة بديعة الجسم ، صغيرة السن ، جميلة ؟!

واشتد البرد وأنا أعود مع البروفيسور هيجو الى المنزل فى الليل ، فانتابنى العطاس .. وبحركة آلية وجدتنى أمد يدى الى موضع الجيب من سترتى ، بحثا عن منديل .. فقدنسيت أننى .. عار !

كاهن .. يؤمن بمذهب العرى !

• **وجلست** فترة بعد العشاء ، مع أسرة « هيجو » التى كانت تتألف منه ومن زوجته ـ التى كانت ضخمة الجسم ، طويلة القامة ، تحتفظ رغم سنى عمرها الاربعين بمظهر الطفلة الوادعة ـ وبناتهما الثلاث « ايلسا » وكانت فى التاسعة عشرة، ضخمة الجسم كأمها وأختيها ، طويلة ، بادية القوة والصحة ، ذات عينين جميلتين ماكرتين .. و « مرجريت » ، التى كانت فى السابعة عشرة ، شديدة الشقرة ، زرقاء العينين .. و « استريد » الصغرى التى كانت قصيرة القامة بالنسبة لسنى عمرها الاربع عشرة ، شقراء ، بديعة الصدر ، دائمة الابتسام !

وكانت للام « هيجو » وبناتها قلوب عامرة بالحب والرقة واللطف .. وبينما انصرفن الى التطريز ، احضر « هيجو » الى « ألبوم » صور الاسرة ، وجلس الى جانبى يشرح لى كل صورة .. كان معظم الصور لافراد اسرته ، وقد بدوا فيها جميعا عراة

ورأيت صورة لسيدة لم أكن أعرفها ، وقد وقفت عارية وسط حقل من حقول الحنطة . وقال لى هيجو : « هذه زوجة الكاهن وايدمان ، أحد أقطاب مذهب العرى . لقد قضى بيننا أياما فى هذا المعسكر » .. وبدت على الدهشة ، اذ تبينت ان أحد رجال الدين يؤمن بمذهب العرى !

وما لبثت بنات « هيجو » أن انضممن الينا ، فأخذت كل منهن تعرض على صورها فى (الالبوم) .. وكانت كلها صورا عارية ، راحت كل فتاة تحدثنى عن مناسباتها فى غير ماتورع او حرج ! .. ولست أدرى لماذا طاف بخاطرى فى تلك اللحظة ماكنت اشعر به من حرج عندما كانت أمى تعرض على أصدقائها وصديقاتها صورة التقطت لى - وأنا عار - فى الاشهر الاولى من عمرى !

مفاجأة .. فى المنطقة الحرة !

• **وكان** يوم الاحد شديد القيظ ، فخرجت منذ الساعة الثامنة صباحا ، ويممت وحدى - وأنا عار - صوب المتنزه الحر . وفيما كنت أتسكع فى طريقى ، وجدتنى فجأة أمام عشرات من صبية المدارس ، وعلى رأسهم معلمتهم .. وظننت انهم ضلوا الطريق ، فأسرعت أحاول الاختباء كى لايرونى فى عريى ، ولكنهم هرعوا نحوى . وعدوت الى المتنزه الحر ، فجروا ورائى واقتحموه ، واذ ذاك ، التفت الى المعلمة وأنبأتها - وأنا محنق - ان المتنزه خاص بالعراة ، وان دخوله محرم على غيرهم . ولكنها ابتسمت لى فى براءة الملائكة ، وقالت : « ان الدكتور هيجو يسمح لنا بالدخول ، وقد اعتدنا ان نأتى فى كل عام .. فهل تراه أصدر الامر بالتحريم منذ عهد قريب ؟ »

وكان الصبية يتطلعون الى فى غير دهشة .. وكنت قد وجدت قطعة صغيرة من الملابس ، حاولت أن أستر بها نفسى وانا أتحدث الى المعلمة .. وأدركت فى الحال اننى أنا الذى كان يجهل قواعد السلوك فى (ناكندورف) ! .. واعترفت للمعلمة بأن « هيجو » لم يصدر أمرا جديدا ، فصاحت متهللة: « الحمد لله !.. لو أنه أصدر مثل هذا الامر ، لحزن الاولاد كثيرا ، اذ أنهم يحبون هذه الرياضة .. وهم فى منتهى الهدوء كما ترى ، كما أنهم يحرصون على أن لايسببوا لكم أية مضايقة! »

وقبل أن أرد عليهـــا ، كانت قد اتجهت الى أحد الاكواخ الخشبية الصغيرة ، ثم خرجت بعد دقيقة وقد تجردت من كل ثيابها .. أما الصبية ، فكانوا قد خلعوا ثيابهم قبلها وانطلقوا يمرحون وهم عراة !

العراة لايخجلون .. الا حين يرتدون ثيابهم !

• **وبدأت** أتذوق هذه الحياة الحرة ، المرحة ، النقية !

وكان أعجب ما رأيت فى المستعمرة ثلاثة شبان أقبلوا دون زوجاتهم ـ اذ تخلفت الزوجات بسبب أطفـــالهن ـ وثلاث سيدات حالت الظروف دون أن تصحب أى منهن زوجها .. **ولكن أحدا من الفريقين لم يشعر بأى حرج ، ولا بأية نزوة .. كان همهم الاوحد هو أن يستمتعوا بعطلة بهيجة ، يدربون فيها أنفسهم على أن يرقوا فى مدارج « الثقافة الحرة »**

وأصبحت أشعر بالارتياح الى العرى .. كنت احس اننى انعم بالتنفس واستنشاق الهواء الطلق بحرية اكثر من ذى قبل .. وخيل الى أن جسمى اخذ يخف ويلين ويقوى فى آن واحد !

وأقيمت ذات مساء حفلة راقصة كبرى فى قرية (ناكندورف)، التى كانت ذات شهرة سياحية .. وذهبنا جميعا ـ معشر

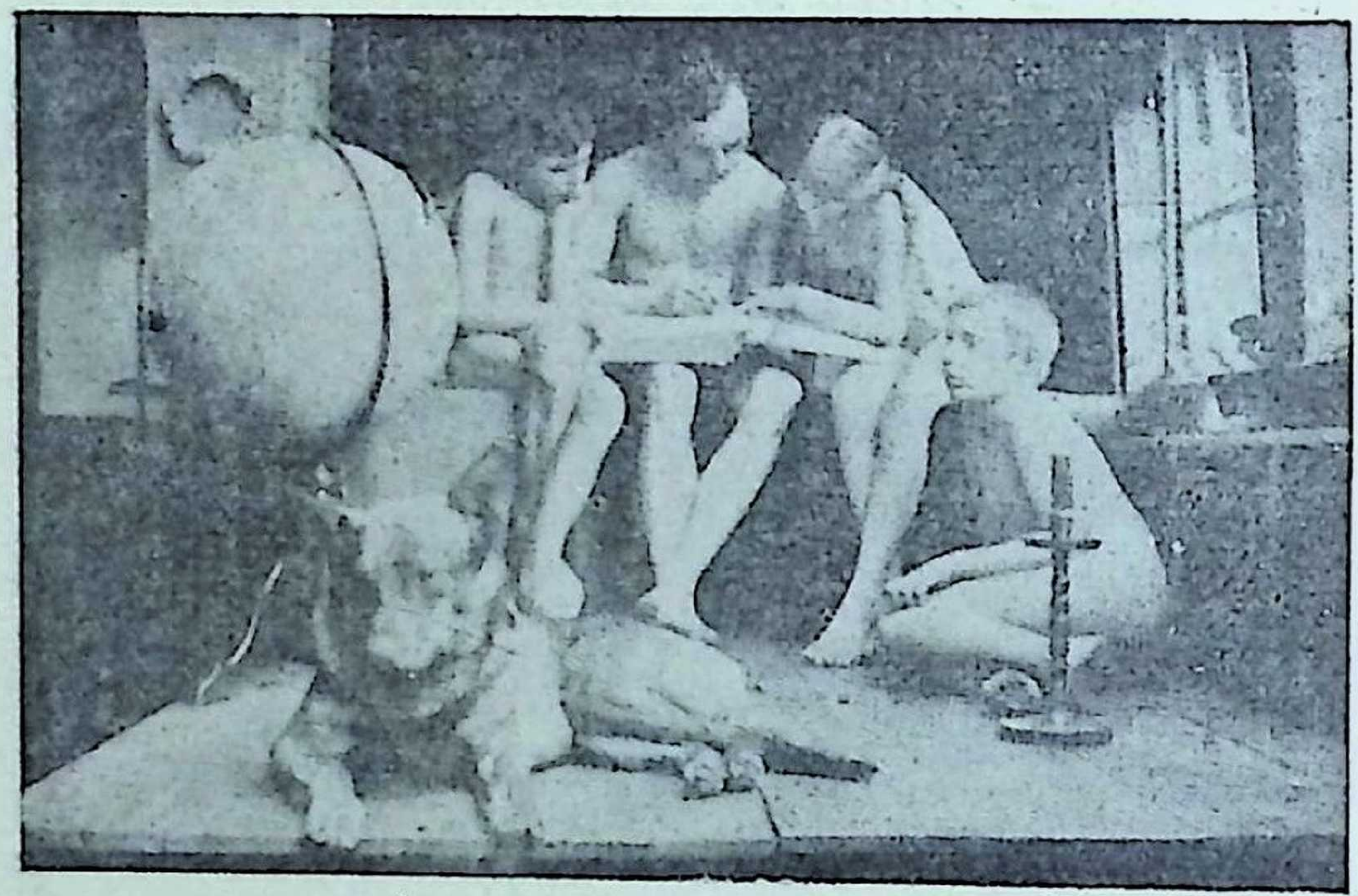

للدرس اوقات .. وللهو اوقات !

اهل مستعمرة العراة ـ الى الحفلة ، وقد ارتدينا ثيابنا كاملة .. واجلت بصرى فى الجميع ، اذ انتشرنا فى القاعة الكبيرة ، فكدت انكر منظر الرجال والنساء والفتيات الذين اعتدت أن اراهم عراة .. كان منظرهم وهم مكتسون غريبا لم تألفه عيناى !..

وكان من المفارقات الطريفة أن تلمح الحياء ينتاب الانثى منهن ، اذا ما انحسر طرف ثوبها عن ركبتيها وهى تجلس ، فتبادر فى الحال الى جذبه ليستتر ما انكشف من ساقيها !.. وكانت الانثى منهن ، اذا ما خاصرت رجلا أثناء الرقص ، تبدو متحرجة ، وتحرص على ألا تلتصق به ، وهى التى لم يكن يخجلها أن يحتك جسدها وهى عارية بجسد زميل لها !.. كان شعور العراة وهم فى الثياب أشبه بشعور المرء العادى اذا ما تجرد من ثيابه !

وفيما كنا عائدين بعد الحفلة ، أبدى صبيان وفتاتان رغبة فى الاستحمام فى البحيرة ، رغم شدة البرد ، فاتجهنا جميعا صوب البحيرة ، وأسرع السباحون الاربعـــة الى التجرد من ثيابهم .. وعندما سلطنا عليهم أنوار السيارات ، بدوا وهم عراة فى منظر بديع ، فكأنهم أطياف من غير هذا العالم .. أو كأنهم من أبطال الاساطير ، أو من عرائس البحر ، خرجت من جوف البحيرة !

أهى جنة .. أم جحيم ؟ !

• **وعندما** قدر لى فى النهاية أن أبرح (ناكندورف) ، خيل الى أننى أغادر الجنة الى الارض . ولم يكن لى من عزاء سوى أننى حملت عناوين بعض نوادى العرى فى فرنسا لأتردد عليها !

وفى أحد أعياد الميلاد القريبة ، تلقيت خطابا من ألمانيا ، لم أكد أفضه حتى وجدت به صورة لثلاث فتيات عاريات ، كتبت تحتها هذه العبارة : « نحن الثلاث : مرجريت ـ استريد ـ اليزا »

ووجدتنى أحلق على أجنحـــة الذكريات الى تلك الايام السعيدة التى قضيتها فى الجنة .. جنة العراة !

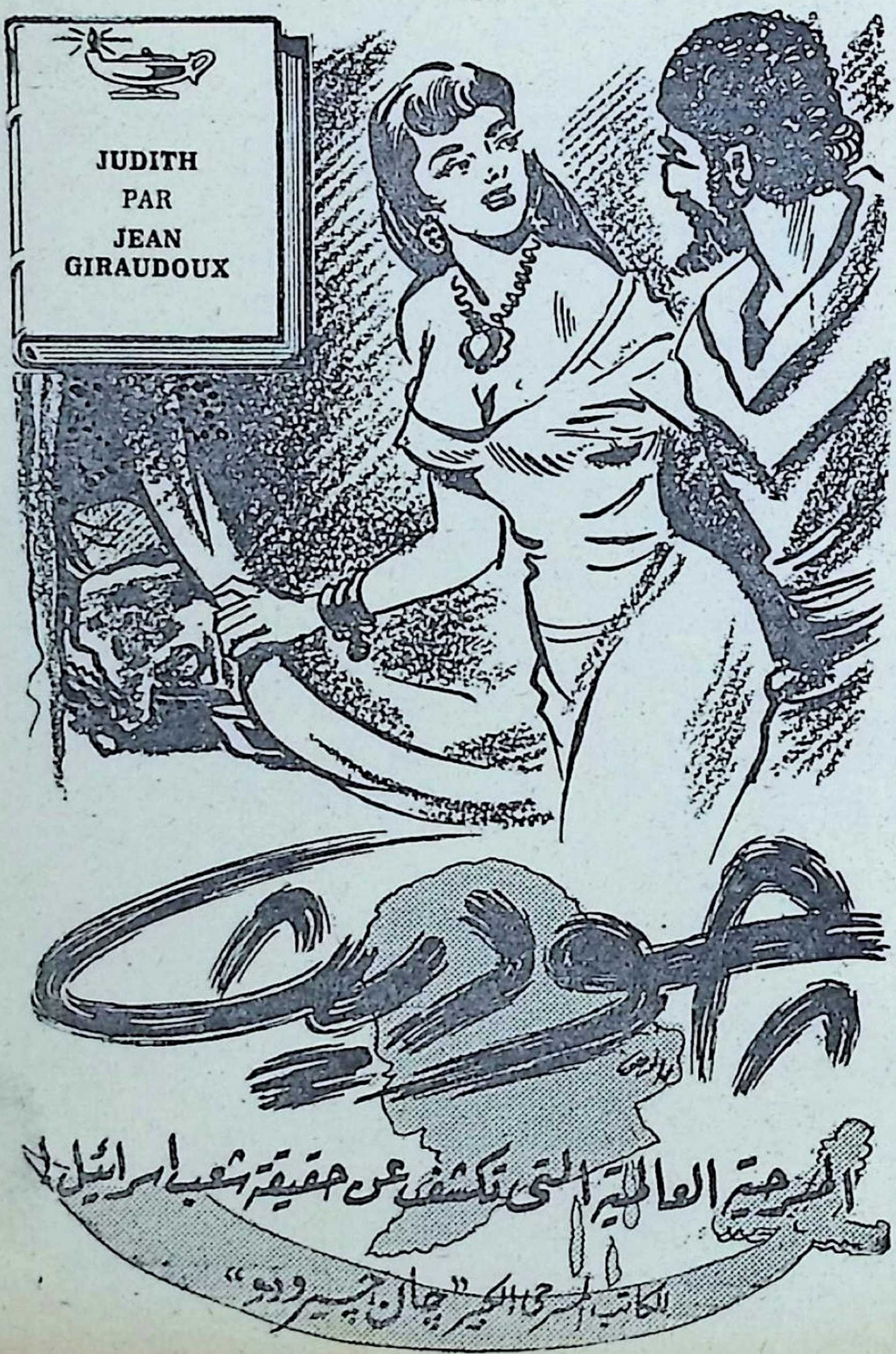
JUDITH
PAR
JEAN
GIRAUDOUX
المسرحية العالمية التي تكشف عن حقيقة شعب اسرائيل!
الكاتب المسرحي الكبير "جان جيرودو"

اسرائيل الامس .. هى اسرائيل اليوم !

• لم يلعن قوم فى الكتب المقدسة قدر مالعن بنو اسرائيل ، فقد كانوا دائما يتنكرون لرسلهم ، ويبيعون دينهم ومبادئهم بعرض الحياة الدنيا .. وفى هذه المسرحية الرائعة ـ التى يلخصها ((كتابى)) فيما يلى ـ يقدم لك الكاتب المسرحى ((جان جيرودو)) صورة رائعة لبنى اسرائيل وكيف يستبيحون كل شىء فى سبيل مطامعهم .. حتى الشرف !.. فلقد هزموا وأوشك العدو أن يفنيهم ، فلم يجدوا منفذا للخلاص ـ فى ظنهم ـ الا بأن يقدموا للملك العدو عرض أجمل عذراء فى (اسرائيل) هبة سائغة !.. ولم يكتفوا بهذا ، بل شاءوا أن يخلعوا على الخسة قداسة ، فزعموا أن الله هو الذى أوحى بذلك ، وجعلوا من الفسق معجزة .. وعندما وجدت العذراء فى العدو الذى أرسلوها اليه رجلا أحبته ، أبوا الا أن يمضوا فى ايهام الناس بالمعجزة المزعومة ، وساوموا الفتاة على كتمان الحقيقة !

وهكذا اسرائيل .. فى كل العصور ، منذ القدم .. تتخذ من الدين ستارا لاغراضها الدنيوية ، وتريق العرض والكرامة فى سبيل المطامع !

ومما يجدر ذكره ان مؤلف هذه المسرحية قد استوحى فكرتها من قصة وردت فى أحد الفصول المحذوفة من التوراة ، وعنوانه ((يهوديت)) ـ المحرفة عن ((جوديت)) ـ وهى تروى السند التاريخى لها ، ويتلخص فى انه فى القرن الرابع قبل الميلاد أرسل ((نبوخذنصر)) ـ ملك اشور ـ جيشا بقيادة ((هولوفيرن)) ليحاصر (بتوليا) معقل الاسرائيليين ، حتى يضطرهم الى التسليم . وقد دام الحصار أربعين يوما ، عانى خلالها أهل المدينة من وطأة الظمأ والمجاعة ، ما جعلهم يستصرخون قوادهم كى يسلموا بالهزيمة . واذ اوشك القواد أن يفعلوا ، تطوعت حسناء تدعى ((جوديث)) لانقاذ الموقف ، فاتخذت ابهى زينتها ، وتسللت الى خيمة ((هولوفيرن)) حيث فتنته ، حتى اذا أمن جانبها ، اسكرته ثم هوت بسيفها على رقبته !

الفصل الاول

• **صيحة** تنبعث فى عويل منغوم ، من أصوات عديدة : « جوديث ! جوديث ! » .. وبينما ترفع الستار ، يسمع صوت فرد يردد الصياح المعول ، ثم يظهر المسرح ، والعم يوسف وعدد من الخدم يجرون فى جنبات غرفة ، وقد شهروا سيوفا وهراوات ، وراحوا يبحثون فى كل مكان عن مصدر ذلك الصوت المفرد .. ويقول يوسف : « انه فى مكان ما من البيت »

خادم : لا ياسيدى ، انه موجود .. أعنى انه غير موجود ! لا أحد ينكر أن صوته هنا ، ولكن الصوت ياسيدى بلاجسد!.. انه شبح .. انه صوت من الاموات يناشد ابنة أخيك ، لانها الوحيدة التى تملك أن تنقذنا .. جوديث ! جوديث !

وينطلق النداء فى نفس النغم المعول السابق ، فيتملك الهلع الخدم ، لاسيما حين تنبعث أصوات من الخارج تردد الاسم فى عويل . فيطرد يوسف الخدم ، ويروح يتلفت حوله فى توجس ، فاذا بوجه يبدو فى النافذة ، ويوقع صاحبه النغم على الزجاج وهو يردد بنفس الصوت الحزين المتهالك : « جوديث! جوديث! انقذينا ! » .. ويختفى الصوت ، فيعود الخدم الى البحث ، حتى اذا عجزوا عن ان يجدوا شيئا ، وقفوا جامدين حائرين . ولا يلبث ان يدخل « يوحنا » — وهو ضابط شاب — يجر الرجل الذى بدا وجهه خلال النافذة من قبل فيلقى به عند قدمى يوسف ، قائلا : « **لقد فاجأته وهو يفر .. سنعلم هذه الافواه النجسة ان ثمة أسماء يجب ان لاتمس !** » . ويسأل الرجل عمن يكون ، فيقول يوسف : « ان رائحته تنم عن انه بحاجة الى حمام .. لا بد انه واحد من الانبياء ! » . (وقد كان اليهود فى الماضى يطلقون على الاتقياء المتفرغين للعبادة « انبياء »)

خادم : ان المدينة مليئة بهم .. ان الكلاب المحتضرة تتصيد الذباب . ولكن .. اذا كانت المدينة هى التى تحتضر ، فان الكناسين يلقبون بالانبياء ، والطنين يسمى « نبوءة » !

ويعود « يوحنا » الى سؤال الرجل عن اسمه ، فيرفع هذا يده ويهتف : « جوديث ! جوديث ! .. يا أجمل الطاهرات ، ويا أطهر الجميلات ! »

يوسف : اننا نعرف هذا . انها النبوءة ! .. أجمل بناتنا ، وأطهر زهرات اسرائيـل .. يجب أن تسلم نفسها لهولوفيرن!

النبى : جوديث ! انقذينا !

ويجره الخدم الى الخارج وهو يردد نداءه المعول ، بينما يتلكأ أحدهم ، ثم يلتفت الى سيد الدار قائلا : « أيها السيد الرحيم .. دع جوديث تنقذنا !» ، ويهرب قبل ان ينزل به «يوسف» نقمته . واذ ذاك يخلو الجو ليوسف ـ عم جوديث ـ ويوحنا ، خطيبها ، فنفهم من حديثهما ان الفتاة فى المستشفى تعنى بالجرحى ، وان اسرائيل تحتضر ، والعدو جاثم خارج أسوار المدينة يخنقها بحصاره ..

يوحنا : هل تراها تعلم انهم قرروا ان يرسلوها قربانا الى هولوفيرن ؟ .. لقد اجتمع الكهنة ، ولن يلبث كبيرهم أن يفد ، لاغراء جوديث .. والمدينة كلها من ورائه ! .. **ان النداء مكتوب بالطباشير على جدران المدينـة كلها .. ومحفور بالماس على زجاج النوافذ .. ومرسوم بالفحم على الاسوار الخلفية .. نفس الكلمات السخيفة : « جوديث الجميلة ، أطهر الطاهرات ، ستضاجع هولوفيرن »** !.. واولئك الحمقى يتجمعون عنـد نواصى الطرق .. نفس الشيوخ المخرفين ، الذين يتجمعون فى ارتقاب ، كلما اشتم الناس رائحة معجزة توشك ان تقع !

وتتعالى الاصوات من الخارج معولة : « جوديث .. انقذينا ! »

يوسف : اذا كان قومنا اتقياء يا يوحنا ، فما ذلك الآن

التظاهر بالتقوى يتيح لهم حجة ارشاد الله الى ادارة ملكه فى الارض !

(فقد كان أتقياء اسرائيل يملون على الناس آراءهم ، زاعمين ان الله أوحى بها اليهم .. حتى الفسق ، الممثل فى دفع عذراء طاهـرة الى فراش ملك الاعداء كى يأمر بفك الحصار عن اسرائيل .. حتى هـذا الفسق زعموا انه رغبـة الله ، وانه « معجزة » !)

ويستشيط « يوسف » غضبا وهو يسمع الاصوات تتعالى ــ متضرعة ــ باسم ابنة أخيه ، ويحنق « يوحنا » هو الآخر ، ولكنه لايرى حيلة ازاء الشعب ، لاسيما وان « الحاخام الاكبر » فى طليعته .

يوسف : اذا شاءت جوديث ، فان فى وسعها أن ترد للحاخام الاكبر عقله !

يوحنا : ان العقل فى صف الكهنة فى أوقات الموت والمجاعة ، اذ ان لديهم المنطق الذى يطالب بالمعجزات ، بل ويبتكرها اذا استدعت الحال ! .. على اننى جئت لانبئك بأن فى وسعى ان أنقذ ابنة أخيك من ان ترمى الى البرابرة

يوسف : تنقذ جوديث ؟ .. ظننت ان جوديث هى التى ستنقذ المدينة !

* * *

• ويخرج يوحنا ، بينما تنبعث الاصوات تردد اسم جوديث مترنمة ، لا معولة ، فى هذه المرة . ويسمع صوت يوحنا فى الخارج وهو يصرخ مطالبا اياهم بالصمت . ثم يقول : « لقد أحالوا اسمها الى ترنيمة .. ترنموا أيها الانجاس ، ترنموا ، فهناك أوقات تكون فيها الصلاة أكثر مجافاة للانسانية من صيحات الدم ! »

ويقبل الحاخام الاكبر « يواقيم » ، فيسأل عن « جوديث » ، واذ يسأله يوسف عن بغيته منها ، يقول : « اننى ــ بوصفى الكاهن الاعلى ، والحاخام الاكبر لاسرائيل ــ لا املك ان أعلن بغيتى الا لابنة أخيك »

يوسف : انما جئت لتحول فتاة ساذجة الى قديسة قومية يندبها الناس ويبكونها !

يواقيم : ان هذا من شأن اسرائيل ذاته ، واسرائيل اليوم يتكلم بصوت أنبيائه ! .. والحق انه لم يعد لقومناما يعيشون عليه ـ وهم يفتقدون الخبز ـ سوى النبوءة !

يوسف : انك كاهن ، وأنا مصرفى ، فلا تحدثنى عن النبوءة ، بل سمها باسمها الحقيقى : « هوس عام »

يواقيم : كأنى بالرأس الوحيد الصافى التفكير هو رأسك .. وكأنى بك ترى ببصيرتك المجلوة نهاية هذا الحصار الذى أمات قومنا جوعا ، وقضى على تجارتهم .. كأنى بك ترى ابناء اسرائيل لايزالون ممتلئين سمنة وهم يقتاتون من خيرات الله ؟ ! .. لعلك ـ وانت العاقل الوحيد فى المدينة ـ تشم عبير الربيع ؟!

يوسف : بل أشم الموت والوباء ! .. ان بيننا وبين جيش هولوفيرن نطاقا من جثث اليهود المتعفنة ، ومع ذلك فلست أقر قومنا على لهفتهم لانقاذ جلودهم باى ثمن ، وعلى تصرفهم كبرابرة جهلة !

يواقيم : وما الذى تراه بين أسرتك وبين المذبحة الاكيدة التى ستحيق بنا فى صباح غد ؟ .. لسوف تكون ابنة أخيك من الضحايا كغيرها ! .. لعلك تدرك ان العامة يتطلعون اذا أعوزتهم الجرأة وهـددتهم الكارثة .. يتطلعون الى .. معجزة ! والمعجزة الان فى متناول أيدينا ، فان المدينة ـ بعد شهرين من الجهاد الاعمى ـ تسمع اسم ابنة أخيك يتردد .. لقد اختارها القوم لتكون معجزتهم ، واننى لاعرفها منذ حداثتها .. انها جميلة ، معتدة بجمالها .. وانها لغنية ، تعرف كيف تستمتع بثمار حظها وثروتها .. كل شباب البلد يتقربون اليها ، وانها لتتصدر مجالس الكتاب والاطباء والتجار وطلاب اللهو .. وان شعورها بجمالها هو الذى سيجعلها توافق على أن تهب نفسها لله ! .. لقد سمعت بان الله اختارها ، فهل تراها ابدلت شيئا من أسلوب حياتها ؟

وتصل « جوديث » فى تلك اللحظة ، مصطحبة غلاما ، فتقول : « تحياتى الي يواقيم .. عم مساء ياعماه . هل من لقمة فى البيت ليعقوب الصغير

.. انه يموت جوعا ! »

يعقوب : لست أريد خبزا .. انما أريد ان تذهب جوديث الى عدونا هولوفيرن

جوديث : عجبا ، لقد وعيت درسك جيدا ! .. وماذا تفعل جوديث اذا أسلمت نفسها لهولوفيرن ؟

فيجيب الصبى : « لست أدرى » .. وتغريه على ان يتناول قطعة من اللحم ، فينصاع للاغراء ، ويسعى الى المطبخ . واذ ذاك تسال الفتاة عمها ان يخلى لها الجو مع الحاخام الاكبر قائلة :

جوديث : لا تخش شيئا .. لاوجود الليلة ليواقيم .. ان الامر الليلة بين جوديث وبين الله .. فقط !

يواقيم (بعد خروج يوسف) : ان الله موجود الليلة فى هذه الحجرة فعلا

جوديث : يخيل الى انه اخطا العنوان ، فليست هـذه بالـدار التى يقصدها !

يواقيم : ان النبوءة تقول ان المنقـذة هى أجمل الجميلات ، واطهر الطاهرات !

جوديث : وهل قالت انها أيضا أكثر فتيات المدينة حبا للهو والبذخ ؟.. اذا كان القوم يروننى جميلة ، فما ذلك الا لاننى أرتدى ثيابا غالية ، وأجيد انتقاء ما يلائمنى منها ! .. ان اية امرأة أوتيت شجاعة على القيام بماتقترحون، لابد ان تبدو طاهرة وجميلة .. وهذا ما تعنيه النبوءة فى الواقع !

يواقيم : ان الهنا لايتكلم بالتورية والمجاز ! واذا كنا نتمسك بحرفية الشرع ، فما ذلك الا لان اله اليهود يسمى الاشياء باسمائها الحقيقية !

جوديث : عجبا . ولكننى الى الان لم أسمعه يلفظ باسمى ! .. الا تستطيع أن تنسى الثراء والجاه مرة ؟ .. لاتزال فى الطبقة الوسطى عذارى كثيرات .. وما رايك فى العاملات ؟.. خليق بالدين ان يكون اكثر ديمقراطية مما هو الان ، وان يتيح فرصة المجد للمغمورات !!

يواقيم : ولكن المغمورات واهلهن هم الذين اختاروك !

جوديث : لست احفل باختيار اجمع عليه من لم يختبرهم الله .. ان الذى اسمعه هو صوتهم وليس صوت « جيهوفا » ـ أو « يهوا » ، وهو من أسماء الله عند اليهود ـ فليست هناك أدنى دلالة تنم عن رغبة الله .. مجرد لمحة من دفء ، أو مجرد كلمة تكفى ..

* * *

• ويقبل اذ ذاك الصبى « يعقوب » ، فيلقى بقطعة اللحم على المنضدة . وتعرض عليه جوديث ألوانا أخرى من الطعام ، فيرفض ، ثم تمنيه بتفاحة ، فيقول « يواقيم » : « لسوف يجبرونه على ان يردها اليك ! » .. ولكنها تعطى الصبى تفاحة ، فيخرج بها مسرعا . وتلتفت جوديث الى الكاهن قائلة: « ليست لدى الاطفال فكرة عما يجرى بين شابة وعملاق فى غرفة مغلقة !» . فيسالها : « وهل لديك أنت فكرة ؟ »

جوديث : انها فكرة غامضة .. فقـــد كافحت الطاغية ذات ليلة فى الظلام !

يواقيم : ومن الذى فاز ؟

جوديث : هو .. فى الحلم طبعا !

وتندفع التفاحة فى تلك اللحظة من النافذة الى الحجرة ، اذ أغرى القوم الصبى على رفضها مادامت جوديث لم تتطوع بعد لانقاذهم

جوديث : الا أبحث عن سواى يا يواقيم .. لقد قابلت فى ساحة الدار فتاة من العرافات المباركات ، وهى تحمل خاتم البركة على ثدييها ولسانها ، كما ان لها نفس اسمى ..

يواقيم : ولكن احدى عينيها عمياء ، كما ان بوجهها بثورا

جوديث : اذن فعالجها ، ولن تلبث ان تحيل قبحها الى جمال ..

يواقيم : وكم من الوقت تظنين لدينا ؟

جوديث : سمعت ان امدادات هولوفيرن أوشكت على النفاد

يواقيم : أنا الذى أطلق هذا النبأ ! والحقيقة اننا نحن الذين نضبت موارد أسلحتهم .. لم يعد لجيشنا وجود ياجوديث !

وتبدى جوديث ترددا فى ان تصدق ذلك ، ولكن يواقيم يلمح « يوحنا » خلال النافذة ، فيناديه ، ثم يقول لجوديث : « اتحبين ان تسمى هذا من

جندى ؟ .. من يوحنا مثلا ؟ »

جوديث : ولماذا يوحنا ؟ .. لا ، لاجدوى . لن أصدق !

يواقيم : انك انما ترددين من اجل يوحنا ، ولكننى اعرف كيف اقنعك

جوديث : تقنعنى ؟ .. بماذا ؟

يواقيم : بواجبك فى أن تصبحى قديسة !

جوديث : قديسـة لاتخلو من شوائب ! .. سل يوحنا ، وان كان من الطبيعى انه لن يخبرك عنى بشىء تسمع مثله من بولس أو بطرس او اى ضابط يتقن الرقص والتقبيل . لسوف تعلم من هذا اننى لست جوديث التى أشارت اليها النبوءة !

ويقبل يوحنا ، فيسأله يواقيم ان يجيب عن اسئلته بصـدق تام ، مهما تكن عواقب هـذا الصدق . ثم يقول : « أليس من الحقيقى ان فلول حرس المدينة تمردوا فى هذا الصباح على ضباطهم واستسلموا للعدو ؟ » .. فتصيح جوديث : « هذه فرية ! » ، ولكن يواقيم يمضى فى حديثه : « وهل من الافتراء ان كتيبتنا المقدسة - المؤلفة من رجال الدين - قد ولت امام العدو فى ذعر وتركت علمها على الارض ؟ .. وهل من الكذب انه لم يبق للدفاع عن المدينة سوى فصيلتين من الكهول الذين اضطروا الى حمل السلاح اخيرا ؟ »

جوديث : اجب يايوحنا .. تكفينى كلمة واحدة

يوحنا : لاتكونى قاسية

جوديث : قاسية ! وأين ذهبت عيناى ؟ .. لست بحاجة الى جواب ، فانى اقرأه مسطورا على وجهك .. اذن ، فقد حاقت بنا الهزيمة ! .. انكسر جيشنا المجيد !.. انهزم قادتنا فى ثيابهم الانيقة ، وضباطنا فى ملابسهم الموشاة بالاشرطة !

يوحنا : ومع ذلك فما زلت اجسر على أن اتطلع الى وجهك

جوديث : ولكنها ليست جوديث التى تراها ، فلو انك كنت ترانى حقـا لغضضت بصرك ! .. لو استطعت أن ترانى الآن وقد هزمت بلادنا وديست تحت الاقدام ، لما استطعت ان تحتمل مرآى ولفررت منى بأسرع مما فررت من العدو .. لقد لمحتك منذ لحظات تقبل طفلا فى الشارع ، فكانت هـذه أبشع اكذوبة ، لانك كنت تعلم فى قرارة قلبك أننا هزمنا .. ان الهزيمة

بالنسبة للعسكرى قضاء لايبيح له أى شىء !

يوحنا : انك صغيرة ياجوديث .. أصغر من ان تتكلمى هكذا !

يواقيم : كفى يا بنى ، فان جوديث الليلة هى الجندى الاول فى المدينة ، وفى خطوط دفاعنا ! .. ثم اننا مسئولون عن أعمالنا امام الله !

يوحنا : ولكن الله لم يكن يوما مشغوفا بالقضايا الخاسرة . وما أحسبه الا متقبلا تجديفنا فى ساعة الخسارة ، فان سبابنا له يجنبه ان يشغل باله بنكبتنا ! ثم انه لايزال يجد « جوديث » ليعتمد عليها .. لتلتقط له الكستناء من النار !

جوديث : اجل .. لاتزال « جوديث » فى جعبة الله ! . . هل كان ذنبى انكم معشر الابطال كنتم أعجز من ان تذودوا عن شرفنا ، فاسلمتم السيف لامرأة ؟

يوحنا : اننا لم نسلمك انت بالذات ـ على الاقل ـ اى شىء . افحقا انت أجمل بنات اسرائيل ؟.. ان معظم جمالك منعكس عن بريق الذهب والترف ! .. انظر اليها يا يواقيم .. تأملها جيدا .. ان الفتاة على عتبات كل شهوة بشرية وكل نزوة متقلبة ! .. انها جميلة ، ولكنه جمال آدمى .. جمال زائل .. جمال اللحظة !

جوديث : وهذه هى اللحظة التى خلقت لها .. اقسم ان اكون الليلة اجمل النساء !

يوحنا : جوديث ! .. انك لست العذراء التى ذكرت فى الكتاب المقدس ..سلها يايواقيم اين كانت فى مثل هذا الوقت منذ اسبوعين .. كانت فى احضانى!

جوديث : فى احضان جندى هزمه العدو !

يوحنا : بل فى احضان رجل غطى جسمك بجسمه ، والصق شفتيه بشفتيك ! .. ولست ازعم انك اسلمتنى نفسك ، فانت لست من السذاجة بهذه الدرجة ..

جوديث : انما انت الساذج يا صديقى .. بل ومغرور . الا انصت اليه يا يواقيم ! .. قبلة واحدة تكفى لان تجعله يظن اننى له !

يوحنا : لاتقلقى ، فلن تسمعى احتجاجات من شفتى اذا ما تزوجت من هولوفيرن

جوديث (وكأنها تذكرت) : ليس لهولوفيرن وجـود .. ليس هولوفيرن سوى اسم لنوع من العذاب فى سبيل التكفير! واذا غادرت هذه الديار الليلة اليه، فلن اكون الفتاة الوحيدة فى الدنيا التى استخدمت جمالها وطهرها وكأنهما لم يكتبا لرجل ، وانما للحظة جليلة فى التاريخ !

ويحاول يوحنا ان يؤكد لها ـ رغم اعتراض الحاخام الاكبر ـ ان هولوفيرن بشر .. رجل ، ورجل عملاق ، ضخم ، فتقول له : ((أليس فى نفسك الصغيرة شىء من الرحمة ؟.. الا ترى ان شجاعتى لن تصمد الا بقدر ما أستطيع ان أتحكم فى خيالى ؟.. قل لى ، هل فقـدنا كل شىء ؟ .. اما من سبيل الى نجاتنا ؟))

يوحنا : لا ، فسوف يشن هولوفيرن هجومه عند الفجر ، ولن يجد امامه ما يوقفه

يواقيم : وهاقد جنحت الشمس للمغيب

جوديث : أشكرك يا يوحنا ، فقد حسمت لى الامر . ساذهب الليلة .. هذا اذا رضى بى هولوفيرن ! ان أحدا لم يرنى بغير ثيابى ، ولكنى أشهد الله وأؤكد لك وللناس ، ان ساقى ناعمتان ، وقدمى لا تشوبهما خدوش ! .. ما احببت أحدا من أولئك الرجال حبا حقيقيا قط .. لم يمسسنى أحـد منهم قط .. أفهل يكفى هذا لاثبات عفتى ، ولان يكون الله قد اختارنى لتحقيق النبوءة ؟

يواقيم : انك لطاهرة ، وقد اختارك الله . أفمتاهبة انت للرحيل ؟ .. افتعلمين ماذا يرتقب منك ؟

جوديث : وفر عليك النصح .. اننى أرى بجلاء ماذا ينبغى ان افعل .. لقد بدات أرى ماهى عليه هذه ((الجوديث)) التى تتطلعون اليها . ولكن .. كيف لى ان أعرف حقيقة الافكار التى تدور خلف هذا القناع من اللحم .. خلف جسدها !

يواقيم : وهل ترين هولوفيرن ؟.. انه وحش ، سـكير ، يكيل السباب لليهود وربهم ! .. وهل ترين نساءه وهن يتكأكأن حولك ، ويلوثن ثيابك ، ويمزقن شعرك ، ويسخرن من جسدك ؟ .. هل ترين ببصيرتك ذلك الجبار وهو مضطجع على سريره ، يمد يده ليمسك بك ويجذبك اليه ؟!

جوديث : بل اننى أكاد أمسه .. اننى أرى نبض شريان أزرق فى عنقه .. وان وجهه ليزداد امتقاعا .. يا للسماوات ، أين انا ؟

يواقيم : فى الماضى يا جوديث ، وقد حان الوقت لتنتقلى الى المستقبل .. انتظرى حتى يبزغ القمر ، ثم انطلقى

***

• وينصرف يواقيم ، فيحاول يوحنا ان يفت فى عزيمة جوديث ، حتى اذا اخفق سألها : « ترى ما الذى أملك ان أقوله لك ؟ »

جوديث : كلمة السر التى أمر بها الى خارج الاسوار !

يوحنا : الا تستطيعين ان تحدسيها ؟ انها اسمك .. ان « جيهوفا » نفسه يزهو الليلة يا جوديث لان اسمه يبدأ بالحرف الذى يبدأ به أسمك ! .. وان الحراس ليرتقبونك عند البوابة المواجهة لدارك

جوديث : واين سرادق هولوفيرن ؟

يوحنا : شمالى البوابة .. اتبعى الجدول الذى يقطع الطريق ، ولكن لاتشربى منه ، لان الماء قد سمم .. ولا تمنى نفسك بوحدة أو سكينة فلسوف تتعثرين كل عشر خطوات فى « كيس » من اللحم والعظام .. وستكون الكلاب فى كل مكان .. وسيبدو كأن ساحة القتال كلها تعول وتنتحب فى رقادها .. أفتريدين أن انبئك كيف تستطيع فتاة ان تتطلع الى وجه عملاق ؟ .. كيف تستطيع عذراء ان تحتفظ بغشاء البكارة فى الوقت الذى يعتدى فيه على عرضها ؟ .. لقد فاتت الفرصة التى أعلمك فيها كيف تمارس الفتاة الحب . على ان فى الخارج شخصا هو الذى يستطيع ان يعلمك .. تعالى ياسوسانا !

ويخرج يوحنا لتدخل سوسانا .. مومس من عاهرات المدينة ، لها وجه جوديث وقوامها وصوتها ، حتى ان عشاق جوديث يلجاون اليها لكى ينفسوا لديها عن الشهوات التى كانت جوديث تثيرها فيهم !

سوسانا : ولكننى لم أسرق شيئا من تعاليك أو كبريائك .. لقد سعدت يا جوديث لاننى جعلت نفسى تبدو مثلك .. أو هكذا أجهل الناس يعتقدون ..

جوديث : ليس فى وسع امراة صيغت فى كيان آدمى ، ان تتشبه بى .. ولا سيما الليلة !

سوسانا : ولكنك لم تكونى انسانة قط .. قبل الليلة !

وتسالها جوديث عما جاءت تبغى ، فتقــــول سوسانا : « اننى لا أؤمن بالانبياء ، فان معظمهم جواسيس يعملون من اجل العدو .. وبعض النـــاس يظنون ان هولوفيرن سمع كثيرين من الرجال يفخرون بجوديث ، حتى انه وضع خطته للايقاع بها لنفسه ! »

جوديث : وماذا لو فعل ؟ أليس من الممكن أن يكون الله قد بث فى ذهنه هذه الفكرة لكى يقضى عليه ؟

وتروح سوسانا تجادل الفتاة وتضرع اليها ان تحتفظ ببكارتها وبطهرها ، وان تدعها تحل محلها فى المهمة التى اختيرت لها ، فتقول جوديث : « وما رأيك فى الله ؟ ألن يرى فارقا بيننا ؟ .. لماذا تريدننى على أن أحتفظ ببكارتى ؟.. آلان بكارتى ترسل كثيرا من العملاء الى بابك ؟ »

سوسانا : يجب ان تنقذى نفسك يا جوديث ؟

جوديث : ومن قال اننى لن أنقذها ؟

سوسانا : ولكنك فتاة .. فليس لك سلاح ولا حول !

جوديث : ان لدى أخطر الاسلحة طرا .. لدى موهبة الكلام ! ان جوفى ليغلى بكلمات تريد الانطلاق .. تريد الاجابة عن مجموعات من الاسئلة التى لم يوجهها احد لى .. انك تبكين ياسوسانا .. لماذا ؟ .. انك لاتفهميننى أكثر مما يفهمنى يوحنا والحاخام .. اذا كنت أعارض فى الطريقة التى يدفعوننى بها ، فما ذلك الا لاننى كنت أحلم فى ليلى بشىء كهذا أفعله من تلقاء نفسى .. كنت أحلم برجل عملاق يعتدى على ! ولقد انتظرت طويلا .. وهاهوذا الله يوشك ان يفوز دونى بالفضل . ولعلنى كنت أعرف منذ البداية ان الفكرة انما كانت فكرته هو .. وربما كان الله يرى اننى فكرت فيها من تلقاءنفسى.. ولعله يغار منى لاننى فكرت فيها دونه .. وقد يكون هذا انتقامه منى ! .. الا أنظرى الى .. أفانا تلك الفتاة التى كنت تمثلينها للشبان المساكين الذين كنت ادفعهم الى أحضانك ؟ .. أفهذا هو الاسلوب الذى كنت تحدثينهم به ؟ .. الا وداعا يابشرتى الناعمة .. وداعا ياشفتى ! .. ما أسهل أن يودع المرء اختا من ان يودع صورته !

وتنطلق « جوديث » ، والمدينة كلها ساهرة .. وابناء اسرائيل جاثمون فى دورهم ، خلف النوافذ ، يترقبون رحيلها ..

ويدخل يوحنا على سوسانا الحائرة ، فما ان يعلم ان جوديث قد رحلت حتى يقول لها :((هل تذكرين الطريق القصير ؟ اذن فاسلكيه لتسبقى جوديث))! .. ويلوح وجه النبى فى النافذة يدعو جوديث الى النجدة ، فيسرع يوحنا اليه ويجره الى الحجرة ويقتله ، ثم يقول : ((هاهو ذا الانقاذ قد واتاك !))

الفصل الثانى

• وترفع ستار الفصل الثانى عن اثنين من ((ياوران)) هولوفيرن ـ هما ((أورى)) و ((أوتا)) ـ فى حجرة داخل سرادق الملك ، وهما يعابثان امرأة قوادة تدعى ((ساره)) ، اعتادت أن تستجلب الى المعسكر بعض بنات اسرائيل. ويفد ضابط مفرط فى التزين والتنعم ـ كالاناث ـ يدعى ((ايجون)) ، فيسأل ((سارة)) عما أعدت لهم الليلة من لهو ، فتقول : ((أعددت مهزلة .. أبدع دور مضحك لعبته يهودية ـ أو ستلعبه ـ على مسرح))

ايجون : ومن تكون تلك اليهودية ؟

سارة : انها فى الطريق الى هنا .. فتاة فى العشرين من عمرها

ايجون : لعلها متسولة اخرى ؟

سارة : بل ان اباها مليونير ، وقد ظل اجدادها خلال القرون الثلاثة الاخيرة يقرضون الناس اموالهم ، ويسرقونهم ، ليقيموا قاعدة من ذهب تقف عليها هذه ((التحفة)) العجيبة ! .. انها آتية لكى تقابل هولوفيرن

ايجون : اذا كنت وتلك اليهودية تعتزمان شرا ..

سارة : ولكننى لم أدبر زيارتها ، وانما اوفدها شعب اسرائيل ، فان انبياءهم يقولون ان لاسبيل لنجاتهم الا اذا جاءت اجمل فتيات المدينة واطهرهن الى هولوفيرن ساعية ، دون ما حراسة .. ويعتقد الكثيرون ان جوديث هذه هى الفتاة التى يتحدث عنها الانبياء

ايجون : جوديث ؟ .. أتقولين ان اسمها جوديث ؟ .. ماذا كان اسم تلك الفتاة التى دبرت مقتل ضباط الحرس فى الاسبوع الماضى ؟

سارة : انها نفس الفتاة

ويرى ((ايجون)) أن ينتقم من الفتاة لما اصاب زملاءه ، فيعتزم ان يتظاهر لدى وصولها بانه الملك ((هولوفيرن)) .. ويمضى فى التدبير مع سارة

وأوتا وأورى .. ولا تلبث ((سارة)) أن تقول : ((انها وشيكة الوصول الآن ، فقد رصدنا الجواسيس فى طريقها منذ بارحت المدينة .. وقد دخلت المعسكر من ناحية الجدول الذى هاجمكم منه أعداؤكم فى المرة السالفة ، وقد امتزج ماؤه بالدم .. ومع ذلك فان الفتاة انحنت فشربت وأطفأت عطشها !))

وتلج ((جوديث)) ، فيتجاهلها ((الياوران)) ، وتستقبلها ((سارة)) فى تبسم ، ويبدو على ((ايجون)) الجفاء والفلظة ، وهو يواجهها بأن حيل النساء لم تعد تثير نأمة فى نفسه . ثم يسأل ((سارة)) عنها ، فتقول : ((انها عذراء يامولاى .. لم تخلق بعد عذراء أحيطت بالغزل والاشتهاء عن قرب مثلها ، ومع ذلك فان بكارتها لم تمس .. و لديها شهادة من الحاخام الاكبر بذلك ! .. أتحب أن ترى بعينيك ؟ .. ان الاخريات ينحلن وتجف أعوادهن جوعا ، أما هى فتزداد نموا ، وما أراها الا تتغذى على أبهة الزمن وامجاده !))

ايجون : لدينا الكثير من هذه نقدمها اليها .. ما هذا العبير الذى يحف بك ، أهو عطر يهوذا الملكى ؟

سارة : لا يامولاى .. هذا عبير مصرف المدينة . لقد أنبأتك بأنها غنية ، ومع ذلك فانها تقف أمامك أسيرة ، كسيرة ، يفتتها الخوف .. انظر كيف تقف متيبسة ، شاحبة !

ايجون : كلمة أخرى وآمر بطردك ياسارة ! (يلتفت الى جوديث)ماالذى أتى بك الى سرادقى ياعزيزتى ؟

جوديث : أحببت أن أرى ملكا عظيما .. وجها لوجه !

ويسألها متهكما : ((فهل ترينني كما تصورتنى ؟)) . فتجيب : ((لقد جئت قانطة ، فاذا بى أصبح على أمل .. ففى أسلوبك فى الحديث ما يبعث الامل .. اننى ألمس تحت نبرات الحاكم الخشنة ، نوعا من حب المرح .. ثم ان فيك فضولا يشجعنى !))

ايجون : حذار من تصوراتك ياطفلتى ، فلقد قطع هولوفيرن على نفسه ألف وعد فى حياته ، ولكنه لم يتقيد بواحد منها قط ! .. تكلمى يافتاة .. باسم من قدمت الينا ؟

جوديث : جئت من تلقاء نفسى .. أتعرف الفرق بين الفتاة والمرأة ؟

ايجون : الفتاة هى تلك كانتها سارة منذ عهد بعيد !

جوديث : أفتعرف ما قيمة أن تكون الانثى فتاة ؟

ايجون : كل امرىء يعرف هذا ، فيما عدا الفتيات أنفسهن ، اذ أن الفتاة لا تكاد تعرفه حتى تكون قد أصبحت امرأة

جوديث : اذن فأنا شاذة على هذه القاعدة ، لانني أعرف ما أنا عليه ، دون أن أصبح امرأة !

ايجون : لنقل انك لم تصبحى امرأة بعد ، ولكنك على استعداد للعمل الجليل الذى يجعلك واحدة منهن

جوديث : ان البقاء فتاة ، معناه الانصياع لقوة عمياء تفرض الالم ، والشقاء ، والعذاب .. كل ذلك بأمل الالتقاء بالعظمة ممثلة فى كيان شخص آخرا ! .. هولوفيرن ، ألا أعف عن أهل اسرائيل ، فيمجد اسمك بينهم الى الابد !

ويظهر ((ايجون)) استهتاره ، ويقول : ((ثم اننى لا أحب النساء كثيرا)) ، فتقول ساره : ((سترجع عن مسلكك هذا الليلة)) .. فيغتاظ ((ايجون)) ويأمر بأن تساط ، ولكنها تستغفره . فيدع مصيرها لجوديث كى تبت فيه ، فتضرع القوادة الى الفتاة ، ولكن هذه تبقى جامدة ..

* * *

• ويعفو ايجون أخيرا عن سارة ، بينما يقول أوتا : ((حذار يامولاى .. لو انك عانقت هذه العذراء لانجبت نسلا جديدا من المرابين والانبياء !))

ايجون : صه يا أوتا ! .. تكلمى ياجوديث ! ألا ترين اننا أطلنا فى تمثيل هذه المهزلة ؟

جوديث : مهزلة ؟ !

ايجون : لقد كنت أعرف انك قادمة .. سمعت ذلك من أفواه أولئك الشبان الذين كانوا يهتفون باسمك ونحن نمزقهم اربا .. لكأن جيش اسرائيل بأسره لم يقم الا للدفاع عن هذا الاسم ! .. على اننى لم أكن مبتكر الخرافة التى تقول انك تنقذين اليهود بمجيئك الى هنا .. ومن المحتمل أن لانهاية لهذه الحرب الا بنزال بينى وبينك ، وهانحن الاثنان وجها لوجه !.. لقد انتهت الحرب ، فعودى حرة الى بلدك . انك جدجذابة ، ولكنالانستمرىء مفاتنك .. افانا مخطىء اذ ارى ان فى وسعك ان تهزمى غريمك ؟ اذن فقربى

وجهك من وجهى ، واطبعى قبلة على جبينى ، لارى ما اذا كانت لديك الجرأة!»

وتقترب جوديث فتطبع قبلة على جبينه . ثم تمسك به فجأة ، وتطبع قبلات حارة على شفتيه .. وتتصاعد ضحكات السخرية ، فترفع جوديث يدها بخنجر ، ويصيح « ايجون » طالبا اقصاءها ، ويترك مصيرها لحارس أسود لينال متعته منها . ولكن العبد يرفض أوامره ، فيأمر « ايجون » بقتله .. واذ ذاك تنفرج الستائر ، ويظهر هولوفيرن فيأمر بالقبض على « ساره » وقتلها .. وتستعطفه المرأة ، فيقول : « اذن فلنبدأ المهزلة من جديد .. سنسأل الشابة ما اذا كانت تعفو عنك ! » .

ومرة أخرى تضرع القوادة لجوديث ، ولكن هذه لاتحير جوابا . فيأمر الملك باعدام « ساره » ، واذ ذاك تصيح هذه : « أتظن أن بوسعك القضاء علينا ؟ .. ستعيش اسرائيل بالرغم منك ، وسيأتى المسيح ويخلصنا . ولن يكون هذا بسبب الغنية الحمقاء التى تمشى فى الارض مباهية بانها عذراء ، وانما بسببى أنا .. سارة ، قوادة العاهرات ! .. خذ المدينة ، ولكنك لن تقتل يهودها ، لاننى ظللت الاسابيع الطوال أهربهم الى التلال فى جنح الظلام»

هولوفيرن : يا للمسكينة .. لقد كنت أرسل فرسانى فى كل صباح ليتعقبوا اليهود ويقتلوهم !

وتلقى « سارة » بنفسها على الملك ، ولكن الحراس يجرونها .. ويخرج الجميع ، فيبقى هولوفيرن وجوديث وحدهما ، ويتامل الملك الفتاة ، ثم يقول : « من أى بقاع الارض جاءت هذه المرأة .. أكمل النساء ؟ »

جوديث : من ساحة قتال ، يموت فيها الرجال !

هولوفيرن : انك تختلفين عن الأخريات ياجوديث .. أكثر اختلافا مما كنت أتصور !

وتبدى جوديث اشمئزازها من نفسها بعد الذى فعلته مع ايجون ، فيقول الملك : « امسحى طلاء الشفاة عن ركن فمك ، ليختفى أثر ايجون عن وجهك»

جوديث : أتظن اننى ساقوى على أن اظهر بوجهى للعالم بعد الذى فعله الله بى ؟ .. لقد لطخت بالعار ! .. ثم ان احدا لن يمحو القبلة الزائفة التى ساقها الله لى !

هولوفيرن (يطبع على وجهها قبلة خفيفة) : ها قد تطهر الوجه .. لكانما

محيت عنه آثار قبلات الآخرين من أصدقائك ! .. ان الغضب هو خير مايخلع على وجه المرأة مظهر البكارة المهتاجة ، ويكشف سرها

جوديث : وما سرى ؟

هولوفيرن : انه السر الكامن خلف هاتين العينين الباردتين ، الجامدتين.. انه العذوبة ! .. الحلاوة !

جوديث : ألم تشعر بالخنجر تحت غلالتى ؟

هولوفيرن : كأنه جزء من جسمك .. الجزء الوحيد منه الذى يتمنى لى الأذى ! أما باقى الاجزاء فيسودها الحب ! .. ان فى العمر فترات لايجد فيها المرء موطئا لقدمه الا فى اللهو العابث الفارغ .. أفهذا ماجئت تنشدينه عندى؟

جوديث : ان الموطىء الوحيد لنفسي الآن ، هو حيث أستطيع ان أحقرها .. أفتظن ان اسرائيل ، والله نفسه ، كانا يتملقاننى عشرين عاما ليلقيا بى الى مثل هذا الشرك الذى نصبه لى ايجون ؟ .. ان جسمى وروحى مضرجان بالعار !

هولوفيرن : لقد محونا هذا وفرغنا منه ! .. حدثينى عن الهك ، فطالما طاب لى الحديث عن الآلهة الضعاف ، الذين تعتمد الوهيتهم على ما يستطيع البشر ان يمارسوه من حب ! .. وابناء جنسك ؟ .. الم تعديهم حين تركتهم بانك ستعملين على خلاصهم ؟ .. انهم ما زالوا يصرخون باسمك !

جوديث : لكأنما انقضت الف عام على ذلك .. لم أعد افقه لغتهم ، بل اننى لاشعر بالعار لاننى تكلمت بها يوما .. لقد سئمت الترانيم التى تقحم الله فى كل كلمة .. لقد سئمت الكلمات ، فلن أتكلم !

هولوفيرن : بل يجب أن تتكلمى .. ليس ثمة ما تخافينه ما دمت فى سرادقى .. انك لتفهمين جيدا .. لقد بدأت تحدسين أين انت

جوديث : لكأننى فى جزيرة .. فى عراء .. فى جوف غابة !

هولوفيرن : أترين ؟ لقد كنت طيلة الوقت تدركين أن هذا مكان لا وجود فيه لشىء يسمى الله ! .. هذه الياردات المربعة الثلاثون هى أحد الاركان النادرة فى الحياة ، التى يكون البشر فيها أحرارا طلقاء ! .. ان عالمنـــا المسكين موبوء بالعبادات ياجوديث ، ولكن لاتزال ثمة حدود لاتتجاوزها هذه العبادات ، وهنا أحد هذه الحدود .. هنا لا حاجة بك الى الصلاة او الترنم

.. ارى انك قد بدات تعرفين من انا !

جوديث : ومن تكون ؟

هولوفيرن : أنا الملك الوحيد الذى يجرؤ ـ فى هذه الدنيا الموبوءة بفكرة الله ! ـ على أن يكون انسانا .. رجلا ! انا رجل هذه الدنيا .. صديق الطبيعة وعدو الله ! .. تصورى عذوبة الحياة اذا ماتحررت من المخاوف ، ولم تعد بك حاجة للصلاة ! تصورى كيف تصبح الحياة اذا كان الرجل بريئا حقا !

جوديث : اذن فانت تعرض على البراءة ؟

هولوفيرن : أعرض عليك الليلة ـ وطالما ظللت راغبة ـ نعمة البساطة التامة وما يرافقها من طمانينة .. أقدم لك «المتعة» يا جوديث ، وانها لكلمة تجعل صورة الله تتلاشى !

جوديث : ان له وسائله للعودة سريعا .. افلا يحسن بنا ان نسرع ؟ !

هولوفيرن : نسرع ؟ .. اتظنين أن هناك منظرا احب من منظر امراةتتجرد من الاعتقاد بوجود الله ، ومع ذلك فانها تبقى مكتسبة .. كساؤها الحرية التى عثرت عليها حديثا ! .. ما أجملك ياجوديث ! .. الواقع ان جسدك بأسره ينادينى . ما الذى تبغين ؟

جوديث : أريد أن أفقد نفسى !

هولوفيرن : جسمك يقول هذا ، ولكن لهجته أرق !

جوديث : اذن فلن أنصت الى جسدى

هولوفيرن : ان جسدك ينبئنى بانه مل و سئم ، وسيهوى الى الارض متهالكا مالم يتلقه رجل وييسر له الرقاد المريح ! .. ان جسدك يريد أن يصبح الها و ربا !

***

• وهنا يقبل « أوتا » معلنا أن « جوديث » بالباب ، فتبدو الحيرة على هولوفيرن ، ولا تلبث أن تلج « سوسانا » . ويثور بين المراتين جدال محتدم ، تابى خلاله سوسانا ان تنصرف دون جوديث . ويسأل هولوفيرن هذه : « ما الذى تبغيه ؟ » ، فتجيب الفتاة : « انها تريد أن تنقذنى ! » .. ويلتفت الى المومس متسائلا : « وهل هي في خطر ؟ »

سوسانا : أجل ، ولكنه ليس الخطر الذى كنت أتوقعه !

جوديث : لعلك ظننت انك ستجديننى جاثية على ركبتى أصرخ ضارعة أمام وحش ملتح !

سوسانا : لم أكن أتوقع أن أعكر صفو موقف غرامى ! .. ما هكذا يتصور أهل المدينة المنظر .. انهم يتمثلون جوديث راكعة تتوسل الى وحش . ولكن .. من ذا الذى يقف أمامها ؟ .. انه أول رجل حرك شعور جوديث . لقد أوفدها الله الى هنا ، فاذا الرجل يستبقيها هنا .. الا انقذه ياهولوفيرن ؟

ويتساءل الملك فى دهشة : « وما هذا الذى انقذه ؟ » ، فتقول : «شرف الدنيا » .. فيراجعها قائلا : « تقصدين شرف جوديث ؟ » ، واذ ذاك تقول : « الاثنان سواء .. اليوم ! »

هولوفيرن : ياسيدتى العزيزة .. لسوف تكون هناك كثيرات يحتللن مكان جوديث ، فليس من شىء يتناسخ ويتجدد بسرعة قدر العذارى !

سوسانا : لقد جئت لانقذها

جوديث : ها هو ذا الله يكشف سرها .. انها تحسدنى على هولوفيرن.. ها هى ذى غريمتك يا هولوفيرن ، فان كنت راغبا فى ، فاطردها من هنا

وتروح المومس تتوسل الى الملك أن ينقذ جوديث من نفسها ، قائلة:«لقد أبصرت نفسها فجأة عارية ، مجردة من القداسة ، فاذا بها تسعى الى القضاء على نفسها ! » .. وتهيب بالفتاة : « تذكرى اسرائيل ! »

جوديث : اسرائيل ! .. كل مايهم اسرائيل هو أن جوديث جاءت الى هولوفيرن ، وهذه غاية واجبها نحو قومها والله والانبياء..ومن هذه النقطة ، يعمل القدر بمناى عن قدرة جوديث ، فليس فى وسع هو لوفيرن ، ولا جوديث المسكينة ، أن يفعلا شيئا .. ان الله لا يهتم الابالمظهر ، ولا شانلهبالتفصيلات! .. ان الله يطلب منا أن نرتدى لباس الضحايا ، أما خلف هذا المظهر ، فانه يتركنا أحرارا فى أن نرضى رغباتنا ، وأحط شهواتنا ! .. ان أى فرد فىالمدينة خليق بأن يعرف الفرق بين هولوفيرن وخادمه .. وهذا مالم تستطعه القديسة جوديث ، لان الله أراد أن يقضى عليها ، ولكننى لن ادعه يفعل ، بل ساقضى على نفسى بنفسى

وتخرج سوسانا وقد أيقنت أن جوديث اختارت هولوفيرن دون الله ..

ويهتف هولوفيرن : ((الى أحضانى أيتها اليهودية !)) ، فتقول جوديث : ((هذه الاهانة تجعل اليهودية على قدم المساواة معك .. الليلة !))

هولوفيرن : انك لاتدرين ما تعنيه كلمة ((يهودية)) عندنا : الجشع ، والفقر ، والدم الذى ينبض بالخوف أشد مما ينبض بالشهوة !

جوديث : انها تعنى شيئا آخر .. فلا تعرف قوة العناق سوى اليهودية !

هولوفيرن : الآن ، لن تقتلى نفسك .. فليس الطهر الا مجرد كلمة !

جوديث : ولكننى لست طاهرة .. أفتظن أن أية عذراء كانت تجتاز ميدان المعركة وتاتى وحيدة لتواجه المجهول ؟ .. لقد منحت نفسى للرجل الذى أحب ، قبل أن أغادر المدينة !

هولوفيرن : انك لم تحبى أحدا على الاطلاق . ثم ان النساء اللاتى على شاكلتك يانفن من أن يمنحن انفسهن لمجرد الحب .. اذا كان هذا المنح للمرة الاولى ، على الاقل . انك تؤثرين أن تؤخذى قسرا .. لن يدهشنى منك شىء . ان المراة مخلوق اكتشف طبيعة نفسه ، اما انت فلا تزالين تبحثين عن نفسك ، ولهذا فانت عذراء ، ولن تعرفى حقيقة نفسك الا صباح غد ! .. لسوف تنهضين من فراشى باول وليد لك .. بنفسك ! لسوف أنقذك من كل شىء يهدد بأن يسلب من حياتك معناها

جوديث : ومن الحب أيضا فيما أحسب ؟ .. لقد اكتمل عذابى ، وتحول صراعى مع هولوفيرن الى مباراة غرامية بين جسدين ..

ويقبلها ، ثم يتساءل : ((هل حلمت كثيرا بهذه اللحظة ؟)) . واذ تقول : ((أجل ، لقد انفقت عمرى كله أفكر فيها)) ، يسألها : ((وهل لم تعودى راغبة فى اطالة الانتظار ؟ .. هذه هى ذروة الحياة !))

جوديث : بل هذا أدنى ما هبطت اليه ! .. لقد تخلى الله عنى، ولست أدرى علة ذلك . انه يريد فتاة تضحى نفسها ، ويدفعها نحو التضحية .. حتى اذا جاءت اللحظة ، لايطيق الله التفصيلات ، فيشيح بوجهه ! .. لقد كنت شديدة الزهو بعفتى ، فاذا الله يريدنى على أن ارميها بعيدا ، فى غير مقابل على الاطلاق !

وبينما تتجرد جوديث من ثيابها فى غرفة داخلية بالسرادق ، تروح ترثى لنفسها ، وعفتها .. ولكنها لاتنفى عن نفسها انها تسير الى عارها راضية ،

مغتبطة .. فقد أحبت هولوفيرن ! .. لقد صوروه لها وحشا ، عملاقا ، فوجدته شابا .. رجلا .. انسانا ، فلم تتمالك ان احبته !

الفصل الثالث

• ترفع الستار عن المكان السابق وقد جلست ((سوسانا)) وحيدة ، وعلى ركبتيها ثوب ((جوديث)) .. وعلى أريكة خشبية ، يستلقى حارس فى غيبوبة من أثر الخمر . ويقبل ((يوحنا)) يسترق الخطى ، فتسأله المومس عما أتى به ، وكيف جاء . ويجيبها بأن سارة قد أفلتت وأنبات اسرائيل بكل شىء ، فقام ابناؤها الى سلاحهم لينتقموا من جوديث لانها خانت ثقتهم .. واستطاعوا أن يتسللوا الى المعسكر لان ساره كانت قد اسكرت الحراس وخدرتهم ..

سوسانا : وماذا تراك فاعلا ؟

ويجيب بانه سينجح فيما اخفقت فيه جوديث ، ثم يسألها ان تقصى الفتاة عن هولوفيرن ، فتقول : ((ولكنهما نائمان !))

يوحنا : نائمان ! .. اتقولينها بهذا الهدوء ؟ ان جوديث هى الوحيدة من أبناء اسرائيل التى غمض لها جفن فى الليلة الماضية ! .. لقد كنت طيلة الليل اتمثل المنظر ، فتطن الاصوات فى اذنى .. لم تفتنى اية دقيقة من الهول .. لا ، اننى أعرف جوديث .. اواه ، ما أتعسنى !

ويصيح مناديا ((جوديث ! جوديث !)) ، فتقبل هذه متشحة بعباءة هولوفيرن ، وتزيح الستار لتطل على الخارج تتعرف على الوقت ، وتقول : ((لا شك فى هذا .. نقطة من الدم فى الافق ، وريح باردة تتخلل شعر جندى مسكين يرقد ميتا على أرض المعركة ، وسماء تختلط فيها صفرة القيح بوهج النهب .. وجوديث مفعمة بالعار والهناء .. انه الفجر !))

وتعود الى الداخل ، فيسألها يوحنا عما اذا كانت قد استمتعت بليلتها ، ثم يردف : ((كل اسرائيل تعرف انك خنتها))

جوديث : يسرنى هذا ، فقد كنت افكر فى اطلاعهم !

يوحنا : لقد رجموا خدمك ، وحرقوا بيتك ، وجرحوا عمك .. انهم يلعنون اسمك

آدم وحواء .. فى فن النحت !

ديانا تستريح .. عقب الصيد ! تحفة رائعة للرسام المشهور « تثيان » (١٤٨٨ - ١٥٧٦)

جوديث : لم أعد أنتمى اليهم

يوحنا : فلمن تنتمين اذن ؟ .. الى هولوفيرن ؟

جوديث : بل الى الموت .. اشهر حسامك ان شئت، فاننى متأهبة

ولكنه يقول ان سيفه معد لهولوفيرن ، أما هى ، فسيتولى عقابها الكهنة والانبياء - الذين يسعون فى موكب الى المكان - لانها غدرت بهم وخانت الله

جوديث : من الذى كان خائنا : الله أم جوديث ؟

يوحنا : آه .. ان النمرة قد شحذت مخالبها

تحفة خالدة تمثل جوديث ورأس هولوفيرن ، بمتحف كويرينى ستامباليا بالبندقية ، وهى من رسم الفنان ((جيورجيون))

جوديث : اذن فكن شجاعا مرة فى حياتك ، وقم بدور الصياد بدلا من دور الجندى الذى لا يعمل الا بالامر !

ويشهر يوحنا سيفه ويتسلل الى الغرفـة الداخلية ، حيث يوجد مخدع هولوفيرن . ولكنه لا يلبث ان يعود مبهوتا ، مأخوذا ، ثم يهتف : « هلا غفرت لنا يا جوديث ؟ .. ألا قبلى الثوب الذى كانت ترتديه حين عبرت ساحة الحرب يا سوسانا .. مباركة كل شعرة فى رأسها ! .. مبارك ذلك الحقد الذى يعمر قلب جوديث ! .. سأجعل نفسى أهلا لك يا جوديث » . ويهرع الى الغرفة الداخلية ، بينما تركع سوسانا أمام جوديث ، فتقول لها هذه : « انهضى والا لطخت ثوبك » . وتسالها سوسانا : « اذن فقد قتلته »

جوديث : كما يفعل السفاكون ! آمل ان تفهمى لماذا قتلته

سوسانا : لقد أحالك الله الى حقد مجسد

جوديث : حقد ؟ .. أتعتقدين حقا اننى كنت أستطيع - بالحقـد - ان اقتله عند الفجر ، بعد سويعات من اتخاذه اياى زوجة ؟

سوسانا : انى أومن بأن جوديث كانت وفية لرسالتها !

جوديث : بل الامر بعيد عن هذا . ان اللحظة التى هوت فيها جوديث بطعنتها ، هى اللحظة التى نسيت فيها نفسها ، ونسيت من أين اقبلت ، ونسيت ما كان مفروضا عليها ان تفعل ! .. واذا كان قد قدر لى أن أعيش حتى أروى قصتى ، فارجو أن تكونى شاهدتى أمام قضاتى حين يصلون .. أريد أن أروى لهم ان قصة جوديث لم تنته الى حقد ، فالواقع ان الـذى مات فى الغرفة الاخرى انما كان .. حب رجل وامرأة ! .. اننى لم انـم سوى لحظات خيل الى أنها ليل طويل ، ثم استيقظت . ولاول مرة فى حياتى ، رأيت نفسى فى الفجر الى جوار رجل .. وكان كل شىء قد انتهى ، فلم أعد أتطلع الا الى فقدان هذا الرجل ! .. لقد خطر لى انه حتى اذا صار زوجى ورجلى وملك يدى أمام اليهود والاشوريين ، فسوف يتركنى فى كل صباح ويعود الى دنيا الاحياء والكفاح .. ومن ثم ، فلم تكن ثمة طريقة أخرى لاستبقيه لى وحدى على النحو الذى كان فى الليلة السالفة .. ألم يوح اليك يوما مرأى جسد نائم الى جوارك ، بأن القتل قد يكون أكثر ألوان الحب حنانا ودواما ؟!

سوسانا : ولكن جوديث ستظل على مر القرون معروفة فى التاريخ بأنها

العذراء التى اختارها الله لاغتيال رجل كانت تكرهه ، لأنه عدو قومها !

جوديث : لن يكون هذا مطلقا . سأخبرهم بكل شىء !

ويقبل اذ ذاك يواقيم وبعض الانبياء ، فيبادرونها بالتمجيد والتقديس ، اذ كان « يوحنا » قد انطلق حاملا رأس هولوفيرن على ذؤابة سيفه ، وراح يعلن أن جوديث قتلت الجبار ، مما أشاع الفرقة والهلع فى قلوب جنوده ، وبث الجرأة فى قلوب اليهود . وتحاول « جوديث » ان توقف سيل المديح ، لتعلن الحقيقة ، ولكن يواقيم يهيب بها : « صه يا فتاة ! » .. غير انها تصيح : « أكاذيب .. خرافات ! » .. ويمضى الانبياء فى الترنم بمزاميرهم متغنين بالحقد الذى كان يملأ قلب جوديث ، ويقول أحدهم : « وأرقدها الطاغية عارية » .. ويرد آخر : « ولكن الله ستر عريها » ، فتصيح : « هذا غير حقيقى ! » .. ويهتف المترنمون : « ولم يمسسها .. لم يمسسها ! » ، فتصيح : « بل امتلكها ! .. وكانت مليئة بالحب له ، حتى لم يعد فى قلبها مكان لاى أحد .. ولا لله ! .. دعونى أفضى بالحقيقة . لقد ضاجعت هذه اليهودية هولوفيرن برغبتها ، واستمتعت به ! »

وتتدخل سوسانا ، زاعمة انها هى التى نامت محل جوديث وانها هى التى اعتدى عليها الملك ، محاولة بذلك أن تحفظ للفتاة سمعتها الطاهرة ، ولكن جوديث تكذبها ، فيصيح الانبياء : « صه ياجوديث ! »

يواقيم : انك تقضين علينا يا جوديث !

جوديث (ماضية فى حديثها) : كانت تنشد اللذة على ذاك السرير ، وقد فازت باللذة !

الانبياء (نادبين) : قضى علينا بالضياع .. قضت علينا الفتاة !

وينتحى يواقيم بجوديث بعيدا عن الموجودين ، ويروح يساومها لكى تمسك لسانها عن ذكر الحقيقة ، قائلا : « ان أتفه زلة من لسانك تحرم القوم معجزتهم ! » .. ويمنيها بقصر على حافة البحيرة ، تحف به المتنزهات والاشجار ، وله شاطئه المنعزل الذى لايقتحمه عليها احد .. فتقول : « أتظننى أقنع بهذا ؟ .. انه الشىء الذى يهبه الرجل لعشيقة لم تعد تصلح للعشق . أما أنا فما زلت فى العشرين ! .. لقد قتلت رجلا نيابة عن غيرى ، فاذا الله يتلوى غيرة منى ! .. أكاد أشعر به حوالى ، يحاول ان

يختطف الفصل لنفسه ! .. انه قد يهبنى قصرا أعيش فيه محوطة بهالة من المجد ، ولكننى أعرف الله .. انه لن يلبث ان ينتزع هذا الجزاء منى فيما بعد ! »

احد الانبياء : ان لصبرنا حدا يا فتاة !

جوديث : اذن فافقدوا صبركم .. ان الله لا يحفل بشىء . ما شعرت لحظة بوجوده طيلة الليلة السالفة . انتظرته ليحيلنى الى ملاك ، فلم يفعل .. ومع ذلك ، فقد تمت المعجزة التى كنتم تريدونها .. ولكنها كانت خدعة .. تلك المعجزة !

يواقيم : لا تكونى عنيدة يا جوديث .. ان فى قصتك غراما ، ولكن هذا الفصل يمكن أن ينسب الى سوسانا .. يجب أن تقولى ما ذكرنا لك ، والا قبضت على عنقك لاعتصر الحقيقة ..

جوديث : الحقيقة ؟

يواقيم : أجل .. الحقيقة هى اكذوبة الله للدنيا !

وتشتد الحيرة بجوديث ، وينهكها الصراع ، فتقول – فى اعياء – ليوحنا الذى أقبل بدوره لاقناعها : « لا تزعج نفسك .. سأذهب معكم الى المدينة »

احد الانبياء : حيث تثيرين تلك الفضيحة ؟ .. لا ، لن نبرح السرادق حتى نسوى المسألة ..

يواقيم : ان لنا شروطا ، لنحمى أنفسنا ضد أى انتكاس .. ستعيشين فى معبد ، لا ترين فيه صديقا ولا أهلا .. واذا كانت قد بقيت فى حلقك كلمات عن الحب واللذة ، فابصقيها الآن ، قبل ان تخلدى الى صمت ابدى !

جوديث : ان حلقى جاف .. وجسدى هو الآخر جاف ! لقد قبلت !

أحد الانبياء : المجد لجوديث .. لقد نجت اسرائيل !

جوديث : ادعوا الدنيا كى تفسح الطريق للقديسة جوديث !

ويخرج الانبياء يترنمون ، وخلفهم جوديث ويواقيم .. ويركع يوحنا بينما تهبط الستار

SEXUAL BEHAVIOR
BY
A.C. KINSEY
& OTHERS
التقرير الذى هز الولايات
المتحدة من أقصاها الى اقصاها -
عما كشفه من أسرار الحياة الجنسية بين أهلها!
السلوك الجنسى!
للباحث الأمريكى الكبير "الفريد كينزى" وآخرين

نحو تكوين وعى جنسى جديد !

• قدم لك ((كتابى)) فى الحلقات السابقة الاحصاءات والتحريات التى قام بها العالم الامريكى الدكتور الفريد كينزى وزملاؤه ، لاعظم بحث فى تاريخ البشرية عن ((السلوك الجنسى لدى الرجل)) . وقرأت بعد ذلك تلخيصا للدراسات القيمة والتحليل الدقيق اللذين بنيا على هذه الابحاث ، لمعرفة النتائج الاجتماعية الخطيرة التى تترتب على كل لون من ألوان النشاط الجنسى . ولقد كنا نعتزم أن نقدم لك ، فى هذه الحلقة ، الفصل الاخير من هذا الكتاب ، لننتقل بك الى الجزء الثانى من أبحاث ((كينزى)) - وهو الذى يتناول ((السلوك الجنسى لدى المرأة)) - لولا أن الاهمية البالغة التى انطوت عليها الدراسات فى هذا الجزء التحليلى من الكتاب ، دعتنا الى تلخيصها فى شىء من الاسهاب والتفصيل ، لما لها من قيمة فى تكوين الوعى الجنسى عند المواطنين ، ولما تستحقه من عناية كافة المشتغلين بالاصلاح الاجتماعى والنواحى التربوية فى المجتمع الغربى عامة !

الحرية المفتقدة .. بين الازواج وزوجاتهم !

• تتضمن الصعاب التى يلقاها الذكور فى العلاقات الجنسية بعد الزواج ، عدم تيسر انشاء التجاوب فى العمل الجنسى . وتخطىء كتب الزواج حين تعزو ذلك الى جهل الذكور بالاساليب الزوجية ، اذ الواقع أن هذه الاساليب تأتى من تلقاء ذاتها اذا ما كان الرجل هادىء البال بصدد سلوكه الجنسى . بيد أنه يكتسب فى العادة منذ الصغر آراء بصدد التأويلات الخلقية والعلمية لاعماله ، من حيث أنها نظيفة أو طاهرة أو صحية .. بل انه يكتسب آراء بصدد أساليب الجماع ذاتها ، بحيث يدرج على الاقتناع بأن بعضها صائب والبعض الآخر خاطىء أو وضيع ، أو شاذ ، أو منحرف ! .. ومع أنه

قد لا يفطن الى هذه الامور أثناء الجماع ، ألا انها تكون جزءا من التصرفات اللاواعية — أى التى تصدر بايحاء العقل الباطن — لتسيطر على عمله . **فما اقل الذكور الذين ينعمون بحرية حقيقية فى اتصالاتهم الجنسية ، حتى مع زوجاتهم !.. وأقل منهم أولئك الذين يدركون مدى تأثير هذه المعتقدات فى تقييد تصرفاتهم .بل انها قد تؤدى الى العقم !.. ومعظم حالات العقم الذى من هذا النوع — أى الذى لايرجع الى الشيخوخة أو الى تلف فى الجهاز التناسلى — يوجد لدى أبناء المستوى الراقى والمتعلمين !** وهذا امر يدركه الاطباء النفسيون .

على أن أثر هذه الموانع لدى النساء — من بنات المستوى الراقى — أقوى واشد منه لدى الذكور العاديين . **فهناك من الاناث من يعترضن على أى اتصال جسدى مع أزواجهن فى بداية الزواج ، وأكثر منهن أولئك اللاتى يبقين غير مكترثات لهذا الاتصال طيلة سنى زواجهن ، وأولئك اللاتى يعترضن على أى تجديد يحاوله الذكر فى أسلوب الجماع ، ويتهمن أزواجهن بالانحلال الخلقى ، أو عدم الوقار ، أو الانحراف الجنسى !..** وهناك حالات عديدة وقع فيها الطلاق بسبب رفض الزوجة لشىء فى أساليب الجماع تراه دنيئا ، فى حين أنه عادى فى السلوك البشرى . فالانثى التى عاشت عشرين عاما أو أكثر — وهى الاعوام السابقة للزواج — دون أن تدرى أن أى شاب ، مهما كان خلقه أو مركزه الاجتماعى محترما ، معرض لان يمس ثدى انثى .. كما ان الفتاة التى لافكرة لديها عن ان الاتصالات الجنسية قد تتضمن أشياء كثيرة الى جانب الجماع .. مثل هذه الانثى أو تلك ، يتعذر عليها أن تتخلى عما درجت عليه من اعتبار مثل هذه الاعمال صوابا أو خطأ ، ومن ثم يكون من الشاق عليها أن تقبل أى افراط فى العلاقات الجنسية بعد الزواج .. فالامر بالنسبة لها أشد صعوبة منه بالنسبة للفتاة التى عرفت شيئا عن الغزل والاثارة قبل الزواج !

قيمة بكارة الفتاة .. ما زالت كبيرة !

• ظل الاتصال الجنسى - دون زواج - موضوعا اجتماعيا هاما خلال التاريخ، وفى جميع الثقافات ، قديمها وحديثها. ولكن اتصال المتزوجين بغير أزواجهم - من الطرفين - اعتبر فى كل الثقافات تقريبا ، أهم وأخطر . فكانت قوانين الحثيين والاشوريين والبابليين تنظر اليه من ناحية الاعتداء على ممتلكات الغير، وليس من الناحية الخلقية أو الادبية . . أى أن الاهتمام كان يتجه أولا الى حق الزوج فى ملكية زوجته ! فى حين أن الجماع دون زواج كان نادر الذكر فى كل القوانين - تقريبا - اللهم الا اذا كان حدوثه بعد الخطبة . . أى أن يقدم على ممارسته خطيب او خطيبة ، مع غير الطرف الذى خطب اليه . على أن الشطر الاكبر من الاهتمام بأمر الجماع دون زواج ، ورد - بوجه عام - فى الشريعة اليهودية ، والقوانين الانجليزية والامريكية . . ولقد كانت العلاقات الجنسية قبل الزواج مباحة لدى كثير من الحضارات فى العالم القديم ، كما أنها لا تزال كذلك لدى كثيرين ممن يوصفون اليوم بأنهم « أقوام بدائيون »!

وتبرير القوانين التى تقيد هذا اللون من الجماع بالرغبة فى حماية الاولاد الذين يولدون سفاحا ، وحماية الزواج عامة ، تبرير غير كاف . وهو ينبعث - الى حد ما - من الاهميه البالغة التى أولتها الشريعة العبرية لبكارة الانثى عند الزواج . ومع ذلك ، فان « بكارة » الذكر لم تلق مثل هذا الاهتمام !. . وقد حذت كثير من القوانين الاوربية حذو « التلمود » فى هذه الاتجاهات ، فلم تصل فى تحررها الى ما وصلت اليه الثقافة الانجلو - أمريكية ، وأن كان بعض المتدينين فى الامتين لا يزالون يعتبرون فقدان البكارة - قبل الزواج - من الخطايا الكبرى للذكر والانثى على السواء ! . .

ولقد كانت الشريعة العبرية - والقوانين الاوربية التى

اقتدت بها ـ تعتبر غشاء البكارة عند الانثى هو الدليل على عفتها ، ولا تزال كثير من الجماعات فى أوربا الشرقية وغيرها ، تصر على عرض دليل البكارة على الملأ .. بل ان بعض أبناء المهاجرين الاوائل الذين استوطنوا أمريكا ، جروا ـ حتى الآن ـ على أن يرسلوا الى أقاربهم فى أوربا منديلا مضرجا بدم البكارة ، اعلانا لشرعية الزواج !

والشائع بين الشباب فى ثقافتنا ـ الانجلو أمريكية ـ اليوم ، هو أن الفتاة تستطيع أن تظل بكرا ، ولو مارست ألوان العلاقات الجنسية الاخرى التى لا تودى بالبكارة ، مثل الغزل وغيره !

لذة خرق العرف والتقاليد !

• **واذا** انتقلنا الى الناحية الاحصائية ، وجدنا أن معظم الذكور من البشر ـ فى أمريكا ـ يمارسون الاتصال الجنسى قبل الزواج ، وان ٢٢ فى المائة ممن لم يصلوا الى سن البلوغ ، يحاولون الجماع ، لاسيما بعد سن العاشرة ! ويواصل خمسون فى المائة ممن يفعلون ذلك نشاطهم بعد البلوغ

ويتباين معدل سن الاقبال على الاتصال الجنسى قبل الزواج بتباين المستويات الاجتماعية . فبين الذين يتمون التعليم الجامعى ، نجد أن حوالى ٦٧ فى المائة يجربون الجماع قبل الزواج ، فى حين ان النسبة بين الذين يتلقون التعليم الثانوى أو المتوسط تصل الى حوالى ٨٤ فى المائة ، وهى ترقى الى ٩٨ فى المائة بين الذين لايتجاوزون فى تعليمهم المرحلة الاعدادية . بل ان هناك مستويات اجتماعية دنيا ، يتعذر أن تجد فيها فردا واحدا من الذكور لم يمارس التجربة قبل أن يتجاوز منتصف العقد الثانى من عمره !

وتتجلى أهمية هذه الاختلافات ، اذا مافطنا الى أن كثيرين من الاطباء المنتمين الى أرقى مستوى ، يدهشون لمعدل الاقبال

على الجماع لدى الرجال الذين يدعون لعلاجهم فى المؤسسات الاصلاحية ـ كالسجون ـ أو العقلية ، كمستشفيات الامراض العقلية ، أو النظامية ، كأسلحة الجيش ، أو المصانع

وكذلك يتباين الاقبال على الجماع قبل الزواج بالنسبة للاقبال على ألوان النشاط الجنسى الاخرى ، بتباين المستويات الاجتماعية . فالجماع ـ مع زميلات أو بغايا ـ لايوفر للذكور الاعزاب من ذوى التعليم العالى أكثر من ٢١ فى المائة من موارد التفريج الجنسى ، فى حين أنه يوفر ٦٨ فى المائة من التفريج لذوى المستويات التعليمية المنخفضة . وبالنسبة لذوى التعليم الراقى من السكان ـ فى أمريكا ـ نجد أن قيمة الجماع قبل الزواج ليست فى عدد مرات اللذة القصوى التى يؤدى الى تحقيقها ، وانما لان الحصول على اللذة من هذا المصدر يمثل خرقا لعرف الجماعة التى ينتسب اليها الفرد . فالاعزب من الطبقة الراقية يفكر فى الجنس فى نطاق الاستمناء ، والاحتلام ، والغزل ، والتهيج باستمرار على الفتيات اللاتى يشتهى أن يكون على علاقات بهن ، ولكنه نادرا مايقدم على مجامعتهن فعلا . أما الاعزب المنتمى للطبقة الدنيا ، فعلى العكس من ذلك ، اذ أنه لايعنى بأى مورد للتفريج الجنسى سوى الجماع مع الجنس الآخر ، مالم يتجه بالمصادفة الى علاقات مع أفراد من نفس جنسه

على أن عدد مرات الجماع قبل الزواج يقل بتقدم العمر بوجه عام ، ولكن هبوطه يكون أقل اسراعا من هبوط نسبة هذا النشاط الى بقية أنواع النشاط الجنسى ، ومن ثم ترتفع قيمته لدى الفرد ، فنجد أنه مصدر ٦٦٫٦ فى المائة من مصادر التفريج الجنسى عامة ، لدى الاعزاب الذين هم فى نحو الخامسة والاربعين من العمر

الدين .. عدو الرذيلة دائما !

• **ويقل** معدل الاقبال على الجماع قبل الزواج ، بين

الذكور الاتقياء - من الناحية الدينية - فى جميع الطبقات ، وعلى اختلاف الاديان او المذاهب . وهو اكثر حدوثا بين ابناء المدن عنه بين أبناء القرى ، فى جميع الطبقات الاجتماعية ، وفى السنين الاولى من فترة المراهقة بوجه خاص . ولعل ذلك ناجم عن شدة الشعور الدينى فى المجتمعات الريفية ، وعن ضيق الفرص أمام الفتيان للالتقاء بالفتيات وتوطيد الصلات الاجتماعية معهن هناك

ومن الحقائق الطريفة ، أن مستوى الجماع مع الجنس الآخر قبل الزواج ، ومعدله ، لم يتغيرا اليوم عما كانا عليه منذ اثنين وعشرين عاما ، وان كان أبناء الطبقات الدنيا - فى هذا الجيل - يقدمون على هذا اللون من النشاط الجنسى فى سن تسبق السن التى كان يقدم عليه فيها أقرانهم من ابناء الجيل السابق ، وباقبال أكثر ،من حيث عدد المرات ، ولعل هذا ناشىء عن تحسن مستوى التغذية والاحوال الصحية فى الطبقات الدنيا فى أيامنا هذه !

ويستحق تحليل الجماع قبل الزواج أن نفرد له كتابا خاصا فيما بعد . على أنه مما يجدر بنا تأكيده هنا ، هو أنه يتباين لاتبعا لمعدل مرات الاقبال عليه فحسب ، بل وتبعا لطبيعة الاطراف المشتركة فيه ، ولاوقات وأماكن ممارسته ، وعدد الفتيات اللاتى يتصل بهن الشاب

فهناك ذكور يقصر الواحد منهم نشاطه الجنسى - من هذا النوع - على فتاة واحدة ، تكون فى الغالب خطيبته .. وهذا يشاهد بين ابناء الطبقة العليا بوجه خاص ! .. وهناك ذكور يتصل الواحد منهم بعشرات من الفتيات قبل أن يتزوج . **وفى بعض حالات قد يتصل الذكر من الطبقات الدنيا بعدة مئات من الفتيات ، بل وباكثر من ألف ، قبل الزواج ! .. أما بين ذوى التعليم الاعدادى والتعليم العالى ، فان الذين يجدون متعة فى ملاحقة ونيل فتيات عديدات ، بدلا من الاقتصار**

على فتاة واحدة فى علاقة طويلة الامد ، قليلون جدا . وبعض الذكور يتفادى الفرد منهم تكرار التجربة مع نفس الفتاة التى اتصل بها مرة من قبل . وفى بعض الاوقات يكون اهتمام الذكر بالعلاقة الجنسية غير منطو على أى اهتمام بالفتيات أنفسهن. بل ان كثيرين من أبناء الطبقات الدنيا لايتحرجون عن المجاهرة — صراحة — بأنهم ما كانوا ليعنوا بالفتيات ولا بالاتصال بهن ، لولا أنهم مضطرون اليهن كمصدر للتفريج الجنسى !

أطفال يعشقون نساء فى أعمار أمهاتهم !

• **ولن** يتسنى للاطباء ، والمسئولون عن الصحة العامة ، أن يكافحوا الامراض السرية بطرق فعالة ، ما لم يفهموا ويستوعبوا العوامل التى تتعلق بمقدرة ابناء الطبقات الدنيا على ممارسة الجماع بكثرة ، ومع عدد كبير من الاناث . ومما يؤسف له اننا فى هذه الدراسة الراهنة ، لم نحط تماما بكل البيانات الدقيقة عن المستويات الاجتماعية للفتيات اللاتى يمارس الذكور معهن الجماع قبل الزواج . ومن الآراء الشائعة ، ان الفتاة التى من هذا الفريق تكون عادة من مستوى اجتماعى يقل عن مستوى الذكر ، ولكنا لم نجد فى البيانات ما يؤكد هذا الرأى ، بل المؤكد أن ذوى التعليم العالى من الذكور يجدون اليوم من نفس مستواهم زميلات يمارسوا معهن الجماع قبل الزواج ! .. على ان اقبال الذكور من المستويات الراقية على ممارسة الجماع مع البغايا المحترفات يقل جدا ، على العكس من أبناء المستويات الدنيا

ومعظم الذكور يمارسون الجماع مع فتيات فى مثل أعمارهم ، او يصغرون عنهم بسنوات قلائل .. والذين يمارسونه مع فتيات صغيرات ، قليلون جدا . أما الذين يمارسونه مع نساء يكبرنهم ، فليسوا كثيرين ، وان صادفنا فى أبحاثنا ذكورا لم يبلغوا العشرين — بل ولم يبلغوا المراهقة — عاشروا نساء متزوجات تجاوزن العشرين أو الثلاثين أو مافوق ذلك . وقليلون

جداً من هؤلاء الذكور من يظلون على علاقة طويلة الامد بمن يكبرنهم من النساء ، متزوجات كن أو عازبات أو مطلقات . على أن الذكور الذين يمارسون الجماع قبل الزواج ، انما يمارسونه — فى جميع الحالات تقريبا — مع نساء غير متزوجات .. مطلقات كن أو أرامل أو عوانس !

قلة العلاقات الجنسية مع المحرمات !

• **والجماع** مع اناث من المحرمات ، أقل فى الواقع مما مما يجول بخواطر العلماء والاخصائيين الاجتماعيين . ومن الصحيح انه قد يوجد بين الذكور كثيرون ممن شغلوا بالتفكير فى قيام علاقات جنسية مع شقيقاتهم أو أمهاتهم ، أو غيرهن من قريباتهم ، ولكن هذا التفكير لا يخرج عادة عن نطاق الذهن ، ويكاد يقتصر على فترة محدودة فى سنين الصبا

والظروف التى يحدث فيها الجماع قبل الزواج ، تتباين هى الاخرى بتباين المستويات الاجتماعية . **وقد تأتى بعض التجارب التى يحظى بها الشاب الجامعى — قبل الزواج — عن طريق الجامعة ، ولكن أغلب التجارب تحدث فى فترات العطلة ، وكثيرا ما تكون مع فتيات فى المدن من المتفرغات لشئون البيت .. وأكثر من هذا ان التجارب تحدث فى بيوت أسرات هؤلاء الفتيات** . وفى جميع المستويات الاجتماعية ، تحدث بعض تجارب الجماع فى السيارات ، أو فى الخلاء ، أو فى معسكرات الرحلات والفنادق ، أو فى مساكن الاصدقاء ، أو فى مساكن مستأجرة خصيصا ، أو فى بيوت الذكور أنفسهم . ولكنها أكثر حدوثا فى بيوت الفتيات أنفسهن !

الآثار الاجتماعية المترتبة على الجماع قبل الزواج

• **ان** الاقدام أو الاحجام عن الجماع قبل الزواج ، مسألة تفوق فى الاهمية — لدى كثيرين من الذكور — اية مسألة جنسية أخرى . ذلك لان الجماع مع الجنس الآخر هو الهدف النهائى

لكل التفكير الجنسى والنشاط الجنسى المدبر والمقصود لدى نصف ـ أو أكثر من نصف ـ الذكور غير المتزوجين فى أمريكا. ثم انها مسألة بالغة الاهمية لدى نسبة عالية من النصف الباقى من الذكور ، فى الوقت الذى نجد أن فى وسع هذا الفريق ان يجد سبيلا للتفريج الجنسى عن طريق لون آخر من الوان النشاط . وفيما عدا ١٥ فى المائة ممن يتلقون التعليم العالى ـ فى أمريكا ـ نجد أن معظم الذكور يتقبلون فى الواقع الجماع قبل الزواج ، ويعتقدون أنه جزء مرغوب فيه من التطور البشرى العادى . بل اننا لنجد بين أولئك الذين يحرمون العلاقات الجنسية قبل الزواج ـ ومنهم المشرعون ، والمسئولون عن تطبيق القوانين ، والذين يفرضون عقوبات على النشاط الذى لايقوم فى ظلال الزوجية ـ من يتضمن تاريخ حياتهم أشياء تدل على أنهم يعتبرون الجماع قبل الزواج ، أو مع غير الزوجات بعد الزواج ، امرا مقبولا ومستساغا ! . . بل ان الذين يدافعون علانية عن قيمة مثل هذه الاتصالات الجنسية بين سكان أمريكا ليسوا بالقليلين !

على ان تقبل الجماع بغير زواج فى أوربا ، أكثر سهولة منه فى أمريكا . وقد ساهم العلماء الاطباء فى أوربا مساهمة ملموسة فى ترويج الرأى القائل بأن ثمة فوائد اجتماعية يمكن أن تجنى من تجارب الجماع قبل الزواج ! .. ومن الاطباء من ينصحون عملاءهم بذلك ، كما أن ثمة حالات لافراد كان من العسير عليهم أن يهيئوا أنفسهم للحياة الاجتماعية الجنسية ـ وللزواج بالذات ـ بغير هذه التجارب !

((التجارب)) .. لاتؤدى حتما الى التوافق الزوجى !

• **ومن** ناحية أخرى ، لانجد بين الوان السلوك الجنسى سلوكا يلقى من الاستنكار والتأثيم ما يلقاه الجماع قبل الزواج ، لا سيما من حيث الاخلاق والآداب ، كما أن كثيرا من الجدل العلمى يثار عندما يستنكر هذا السلوك على أساس أنه يؤدى

الى حمل غير مشروع ، أو الى انجاب أبناء سفاح لايلقون اعترافا شرعيا بالبنوة ، أو الى انتشار الامراض السرية ، أو الى الاضطرابات العصبية ، أو الى كثير من المتاعب الاجتماعية والقانونية ، أو الى عدم التوافق مع الزوجة بعد الزواج . وهذه المسائل علمية واجتماعية ، ومن الممكن اخضاعها للبحث العلمى . ولكن من الحقائق الداعية للاسف ، أن العلماء القلائل الذين عالجوها ، لم يتناولوها الا من الناحية الموضوعية ، كما يفعل أى شخص لم يؤت المقدرة على البحث العلمى !

ذلك لأنه ليس من السهل أن نقضى بما اذا كان الاشخاص الذين مارسوا الجماع قبل الزواج أقدر من سواهم على تحقيق التوافق مع زوجاتهم بعد الزواج ، أو ما اذا كان الذين لم يمارسوه يكونون أقل من سواهم توفيقا فى تحقيق هذا التوافق . فان الجماع قبل الزواج يتضمن عدة أمور متداخلة .. فهو يتوقف ـ من ناحية ـ على نوع الفرد الذى يمارس الجماع ، ويتوقف ـ من ناحية أخرى ـ على مدى النشاط المقبول والنشاط غير المقبول ، قبل الزواج ، بالنسبة لنظام السلوك الجنسى ـ أو العرف الجنسى ـ الذى ينتمى اليه الفرد . **لذلك هو يتوقف على درجة الصراع النفسانى الذى يسببه للفرد ، اذ يمارسه وهو يشعر بأنه ينتهك المثل العليا والفلسفات التى نشأ عليها ، والتى لايزال يتشبث بها دون أن يفطن . ومثل هذا الاضطراب النفسى قد لايؤثر على التوافق بعد الزواج فحسب ، وانما قد يمتد أثره فيشمل كل شخصية الفرد !**

كذلك تتوقف آثار الجماع قبل الزواج على طبيعة الطرف الآخر فى العملية ، والملابسات المترتبة على ذلك .. وعلى ماذا كانت الفتيات من نفس المستوى الاجتماعى أو من مستويات أقل ، وعلى ما اذا كان الجماع علاقة اجتماعية أو صفقة تجارية بالنسبة للفتاة ، وعلى صلة الفتاة بالشاب ، كأن تكون

خطيبته . وقد يتوقف تأثير الجماع قبل الزواج فى التوافق الزوجى بعد الزواج ، على مدى استساغة الفتاة التى يمارس معها هذا الجماع ، وعلى مدى تقبل الزوج لفكرة أن زوجته مارست الجماع قبل الزواج .. وحتى فى الحالات التى يعتقد فيها الزوجان انهما لايستنكران الفكرة ، لاتلبث الآثار أن تظهر فى علاقتهما !

ومن ناحية ثالثة ، تتوقف قيمة الجماع قبل الزواج على الظروف التى يجرى فيها . فهو اذا وقع فى ظروف لايتوفر فيها الانسجام البدنى أو لايتم فيها الرضى والاشباع للطرفين على السواء ، أو فى ظروف تترك الطرفين فى خوف من أن يكتشف أمرهما أو أن يكون قد كشف فعلا .. اذا وقع الجماع فى هذه الظروف ، أدى الى نتيجة معينة . بينماهو يؤدى الى نتيجة تخالفها تماما ، اذا وقع فى ظروف مواتية أو دون أن يشوبه خوف ما . كذلك تختلف قيمة الجماع قبل الزواج ، تبعا لعلاقته بالامراض السرية . ففى مستوى الجامعيين ، نجد أن كل الاتصالات تقريبا تتم مع فتيات من نفس المستوى ، ومن ثم فان نسبة انتقال أمراض سرية عن طريق هذه الاتصالات منخفضة غاية الانخفاض . أما نسبة انتقال هذه الامراض بين أبناء المستويات الاجتماعية الدنيا ـ حيث لاتتم الاتصالات مع فتيات من نفس مستوى الشاب ـ فنسبة عالية ، بل انها قد تكون أعلى مما يرد فى الاحصاءات الاجتماعية والصحية !

وفى الحلقة التالية ، ننقل اليك ملخص الدراسات التى بناها ((كينزى)) وزملاؤه على أبحاثهم ، فيما يتعلق بالجماع فى ظلال الزوجية ، واتصال الازواج بغير زوجاتهم ، والشذوذ الجنسى

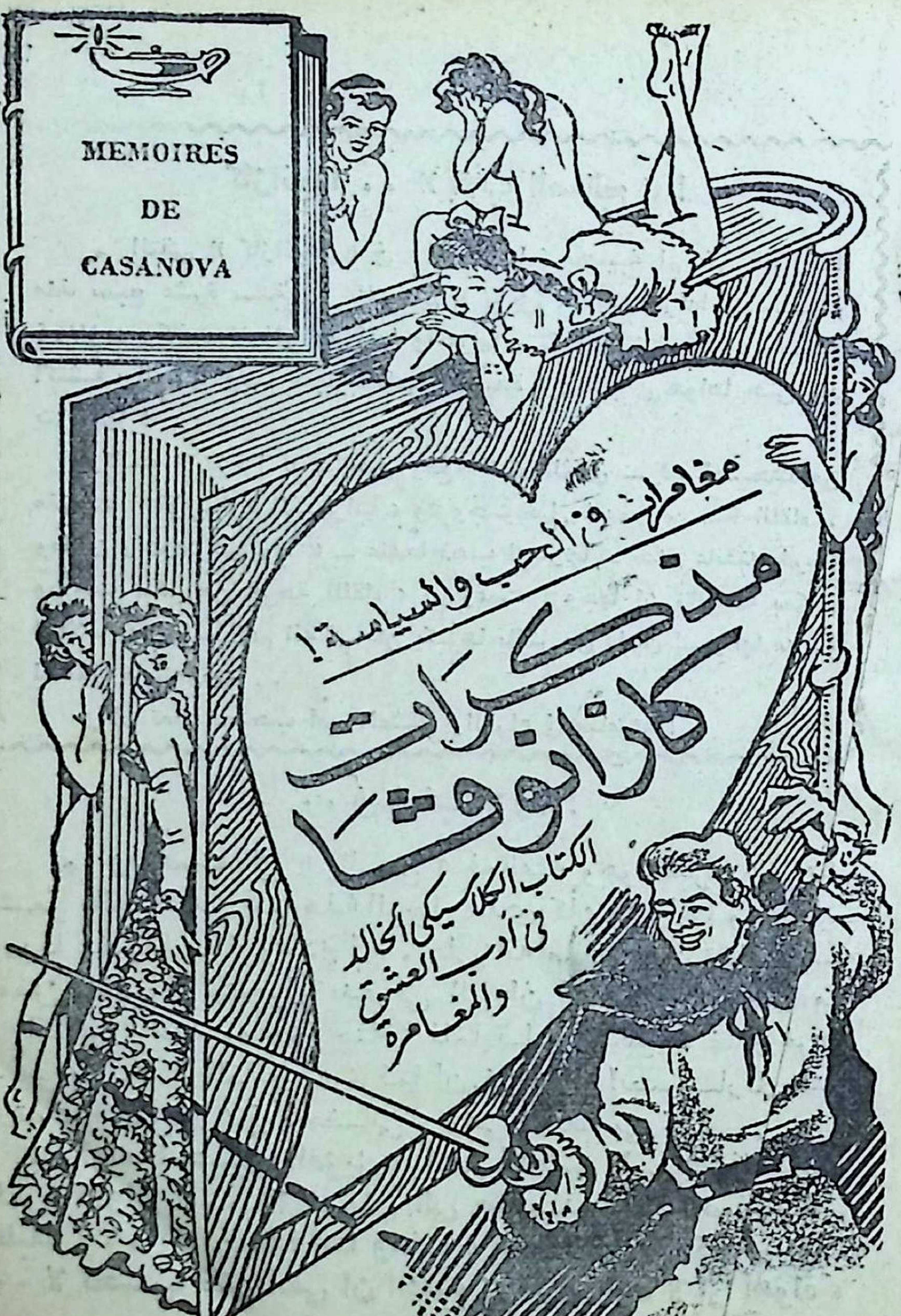
MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات في الحب والسياسة!
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد
فى أدب العشق
والمغامرة

كازانوفا .. ((الاب الصالح)) !

• التقى ((كازانوفا)) فى (فلورنسا) بحبيبة لم يكن قد رآها منذ سبع عشرة سنة .. تلك هى ((تيريزا)) التى عرفها فى سنة ١٧٤٤ ، وكانت تسافر مع أمها وأخويها متنكرة فى زى غلام ، ولكنه اكتشف انوثتها ونعم معها بمغامرة سعيدة ، وتدله فى هواها حتى كاد يتزوجها !

وكانت ((تيريزا)) ـ حين وقع اللقاء الثانى ـ قد أصبحت من مغنيات ((الاوبرا)) الشهيرات ، وتزوجت قبل شهور من هذا اللقاء . وما أن رأت ((كازانوفا)) ـ عندما ذهب لزيارتها ـ حتى عانقته طويلا، وراحت تبكى من فرحة اللقاء ، ثم زعمت لزوجها ان زائرهما بمكانة ((الاب)) منها ـ رغم انه لم يكن يكبرها باكثر من عامين !ـ وانها مدينة له بكل ما تنعم به ..

والآن تعال نصحب أمير العشق والغرام فى مغامرته !

.. فى غياب الزوج !

• **ونهضت** الى ((باليسى)) فعانقته وهو محرج ، مرتك، يشعر بالحيرة من أمر هذا الرجل الذى كان أبا وأخا وصديقا ـ وربما عشيقا ـ لزوجته ! .. على انه ما لبث أن تمالك نفسه بعض الشىء ، وتحول يدعونى الى أن أتناول قدحا من ((الكاكاو)) معه ومع زوجته ، فلما قبلت الدعوة ، غادر الغرفة ليأمر باعداد ((الكاكاو)) ، فما أن غاب عن ابصارنا حتى ارتمت ((تيريزا)) فى أحضانى ، وهى تهتف بى :

ـ اواه يا حبيبى العزيز ، يا من أيقظت قلبى فخفق بالحب للمرة الاولى ! .. ألا ضمنى الى صدرك ، واضمنى الى قلبك ! .. ولنكن غدا أخا وأختا ، أما اليوم ، فلنكن حبيبين ! .. لا تحسب اننى أبغى أن أخدع زوجى ، فأنا لا أنى أهواه ،

ولكنى مدينة لك .. مدينة بحبى الاول ، فمن حقك على أن أسدد دينى ! .. ولكن ، مالى أراك حزينا ؟

ـ لاننى أجدك مقيدة بينما أنا طليق ! .. لقد وصلت متأخرا ، ولكن ثقى ان ارادتك ستظل قانونا أخضع له ، فحدثينى عما تبغين أن أفعل . أفتريدين أن لا أشير الى الماضى فى حديثى أمام زوجك ؟

ـ أجل ، فهو لا يعرف عن شئونى أكثر مما يعرفه كل انسان من اننى نلت حظا وثروة وشهرة فى (ميلان) ، التى زعمت اننى رحلت اليها وأنا فى العاشرة من عمرى . انها اكذوبة بريئة لا تؤذى أحدا ! .. ثم ان الكل يعرف اننى فى الرابعة والعشرين ، أفتظننى أبدو أكبر من ذلك سنا ؟

ـ انك لا تبدين أكبر من ذلك بيوم واحد ، وان كنت أعرف انك فى الثانية والثلاثين !

ـ بل فى الحادية والثلاثين ، فقد كنت فى الرابعة عشرة عندما التقيت بك !

ـ بل يخيل الى أنك كنت فى الخامسة عشرة !

وكان الجدال طريفا ، فكأننا طفلان يتشادان فى عبث مدلل . وأخيرا قالت الحبيبة الفاتنة : « حسنا .. فليكن ما تقول ، على ان تبقى هذا الامر سرا بيننا . ولكن ، نبئنى : هل ترانى أبدو فى سن تزيد على الرابعة والعشرين ؟ »

ـ بل انك تبدين أصغر من ذلك

ـ والآن ، صارحنى يا حبيبى كازانوفا : أفأنت بحاجة الى نقود ؟ .. اننى فى مركز يسمح لى بأن أرد اليك ما منحتنى من قبل ، مع الفوائد ! .. اننى أملك خمسين ألف دينار ذهبى فى (نابولى) ، وماسات بمثل هذه القيمة ! .. قل ، وعجل ، فان « الكاكاو » لن يلبث ان تصل !

وكنت أوشك أن ألقى بنفسى على صدرها مرة أخرى ، حين اقبل زوجها تتبعه خادم تحمل صفحة فضية عليها ثلاثة أقداح

« كازانوفا » يجد له ابنا !

• **وفيما** كنا نحتسى « الـــكاكاو » ، أشار « باليسى » ـ مترفقا ـ الى دهشته عندما تبين ان زائرهما لم يكن سوى نفس الشخص الذى سأله فى الليلة السالفة عن اسم زوجتـــه فى دار الاوبرا .. وكان من الواضح أن أدبه منعه من ان يسألنى فى صراحة عن ظروف معرفتى السابقة بزوجته ! .. وكان شابا فى الثالثة والعشرين ، اوتى من الجمال أكثر مما يناسب الرجل . كما كان مرحا ، حلو المعشر ، فلم يكن فى وسعى أن أكرهه .. ولو أردت !

وعندما كانت الساعة العاشرة ، اقبل ممثلو وممثلات «الاوبرا» ليقوموا بتجربةللعرض الذى كانوا يزمعون أن يقدموه فى المساء ، فأكرمت « تيريزا » وفادتهم ، ولاحظت انها كانت تتمتع بينهم بمكانة عظيمة الاحترام . **وتخلفت منهم فتاتان جميلتان تناولتا الغداء معنا ، احداهما تدعى « ريديجوندا » والاخرى « كورتيشيللى ».وكانت الثانية أكثر فتنةمن الاولى ، ولكنى كنت مبهورا بجمال « تيريزا » الذى أعشى عينى عن ان تتبينا سواه !**

وأقبل ـ بعد الغداء ـ راهب كان صورة حية للنفاق . وفيما كان يجلس الى جوار « تيريزا » ،تبينت انه الاب «جاما» الذى تعرفت اليه من قبل فى (روما) .. وعرفنى هو الآخر ، فعانقنى ، وأخذ يروى لى أنباء الاصدقاء . وبينمـــا كنت مستغرقا فى الانصات اليه ، دلف الى الغرفة فتى فى حـــوالى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره ، فحيانا وقبـــل « تيريزا » .. وبدا ان الحضور عرفوه فيما عـــداى ، وان لاحظت اننى لم أكن الوحيد الذى تولاه العجب لمرآه . وكأنما لاحظت « تيريزا » ذلك ، فبادرت تقدمه لى قائلة : « هـــذا أخى ! »

ولكن هذا التفسير لم يبدد الدهشة ، فقد كان « أخوها » هذا صورة طبق الاصل منى ، وان كانت بشرته أكثر بياضا .. ولم يكن من الغريب أن أعرف الفتى فى الحال ، فان الطبيعة صاغته بحيث كان من غير المعقول ان لا أعرفه ، اللهم الا اذا كنت أعمى ! .. **أجل ، لم يكن من الغريب أن أدرك لفورى أن « أخاها » ليس سوى .. « ابنها » .. وابنى أنا الآخر ! ..** ثمرة المغامرة التى كدت اتزوج « تيريزا » وانا منتش بعذوبتها، فى لقائنا الاول !

وبدا لى انه كان من الخليق بها ان تدبر مثل هذا اللقاء ، فى غير حضور كل هؤلاء الافراد . وحاولت أن أتصيد نظراتها ، وأن أستلفت انتباهها ، ولكنها كانت تتفادى نظراتى ، بينما راح الفتى يتأملنى متفرسا ، غير منصت الى ماكانت تقوله من حديث . وأخذت نظرات الحضور تتنقل بين وجهى ووجهه . كان من الواضح لكل من أوتى ذرة من العقل ، ان الفتى ابنى !

وكان يجيد لهجة أهل (نابولى) ، ولكنه كان يتكلم الايطالية بفصاحة كذلك .. وكان ملما بآداب الحديث ، لبقا . كما كان مسلكه بديعا . وقالت أمه ان الموسيقى هى الهواية التى تملك عليه لبه ، وانه يجيد العزف على « البيانو » الصغير ، حتى ليبزها .. واستطردت فى بساطة : « أجل .. انه يتفوق على رغم انه يصغرنى بثمانية أعوام ! »

ألا ما أبرع النساء فى التخلص من أحرج المآزق ! .. فلقد بدا فارق السن بين « تيريزا » وبين الفتى كافيا لان يصرف أذهان الحضور عن التفكير فى انه كان صورة منى .. ولعل أذهانهم اتجهت الى علاقة أمها بى !.. والمهم فى الامر ، انها نقلتنا بهذا الحديث الى الموسيقى ، فصرفت الاذهان تماما عن الموضوع !

« دع لى ابنى ! »

• **وما** ان أتيح لى أن أخلو الى « تيريزا » ، حتى هنأتها

بأخيها ، فقالت :

ـ انه ابنك ، وبهجة حياتى ، وقد رباه دوق « كاسترو بنيانو » ، فلعلك تذكر انه رعانى وتبنانى بعد فراقنا .. فما ان ولد الفتى حتى أرسله الى (سورينتو) حيث عمد باسم « سيزار فيليب لانتى » .. ومكث الصغير فى (سورينتو) حتى بلغ التاسعة . وقد نشأ على اننى اخته، ولكننى اتطلع دائما فى أمل الى ان نلتقى ثانية ـ أنا وانت ـ فتعترف بنسبه اليك ، وتتزوج من أمه

ـ ولكنك جعلت هذه الامنية عزيزة المنال ، اذ تزوجت !

ـ اجل .. وا أسفاه ! هكذا أراد القدر ! .. لقد ضممت الفتى الى عندما مات الدوق ، وهجرت (نابولى) .. **ان ابنك يمتلك عشرين الف دينار ذهبى ، كما انه سيرث كل ما أملك اذا أنا لم أرزق من « باليسى » بولد !**

وقادتنى الى غرفة نومها ، حيث اطلعتنى على خزانة بها بعض الماسات واللآلىء والجواهر الثمينة ، فضلا عن طائفة من الصحاف الفضية ، تمثل الشطر الاكبر من ثروتها

وقلت لها ضارعا : « أسلمينى سيزارينو ـ فهكذا أحببت أن أدلله ـ ولسوف أريه الدنيا بأسرها »

ـ آه ، لا .. سلنى كل حياتى ، ولكن دع لى ولدى . هل تتصور أننى لم أقبله قط ، خشية أن ينم وجدى عن حقيقة علاقتى به ! .. أرأيت الى أى حد أذهب فى الحذر ؟ فماذا تظن الناس قائلين اذا رأوا « كازانوفا » يرافق صورته الحية .. صورته كما كان منذ عشرين عاما ؟

ـ وهل ستأخذينه معك الى البندقية عند افتتاح موسم الاوبرا هناك ؟

ـ أجل .. ولكن ، الى أين تراك تقصد عند رحيلك من هنا ؟

ـ سأذهب الى روما ، ثم الى نابولى حيث ازور دوق مانتالونيا

« كورتشيللى » .. الفاتنة الصغيرة !

• **وكان** ذلك اليوم أسعد أيام حياتى ــ رغم كثرة الايام السعيدة التى صادفتها ! ــ لاسيما حين جلس سيزارينو الى البيانو يعزف ، مرسلا صوته باغانى نابولى ، فأطربنا : أنا وتيريزاوزوجها . وكانت تيريزا لاترفع عينيها عنه ، الا لتصوبهما الى . على انها كانت من وقت الى اخر تتذكر زوجها ، فترمقه فى لطف ، وتقول : « لاسعادة الا فى صحبة الاحباء » !

ودعوت جميع أصدقائى فى فلورنسا الى مأدبة فخمة أقمتها فى الفندق الذى كنت أنزل اليه . وكانت « كورتشيللى » الحسناء ــ التى سبق ان ذكرتها ــ أول الوافدين ، تصحبها أمها وأخوها . وصارحتنى الام العجوز قائلة : « أننى لا اسمح لابنتى قط بأن تحضر مأدبة وحدها ، بل لابد من أن أصحبها مع شقيقها ! » .. وغاظنى قولها ، ولكننى كنت خبيرا بهذا الصنف من الامهات ، فقلت لها : « تستطيعين ان تنصرفى بها توا .. أو خذى هذا الدينار الذهبى وانصرفى مع ابنك ، لاننى لاأريدكما ! » .. **وتناولت العجوز الدينار ، وانصرفت فى الحال قائلة انها جد مطمئنة الى ان ابنتها بين يدين أمينتين ! ..**

وأخذت الفتاة تعلق على تصرف امها ــ بمجرد ان ولت عنا ــ بفكاهات لاذعة أضحكتنى وجعلتنى استملحها وأميل اليها . ولم تكن قد تجاوزت الثالثة عشرة ، صغيرة الجسم نحيلة ، الى درجة توهم الرائى بانها لم تبلغ العاشرة ، ومع ذلك فقد قضيت معها ــ بعد المأدبة ــ فترة هانئة .. اذ كانت لطيفة المعشر حاضرة البديهة ، ذكية ، خفيفةالدم والحركة !

يطرد من فلورنسا .. جزاء المعروف !

• **وتلقيت** ذات يوم رسالة من بيستويا ، من شخص روسى يدعى (يوانوف) ، يسألنى أن أسدى اليه جميلا بان أحصل له قيمة سند مالى كان محولا على مصرفى فى فلورنسا ،

لانه لايستطيع الحضور بنفسه الى فلورنسا .. فقد نفد ماله وكان صاحب الفندق الذى كان ينزل فيه يخشى أن يهرب من دفع قيمة ماكان مدينا له به ، اذا هو رحل عن (بيستويا) .. ودفعتنى النخوة الى ان ألبى رجاءه ، فحملت السند المالى الى المصرفى ـ وكان يدعى السنيور « ساسو ـ ساسى » ـ وتسلمت منه المبلغ ثم رحلت الى (بيستويا) حيث أسلمته للرجل الروسى ، وعدت الى فلورنسا .

وما أظن ان بوسعك أن تتصور دهشتى حين استقبلت المصرفى فى فندقى بعد ايام ، وقد جاء يزورنى ، ويفضى الى بان السند المالى كان مزورا ، وانه يعتبرنى مسئولا عن المبلغ الذى دفعه ، وأخذ يطالبنى بمائتى دينار ذهبى ! .. ورفضت ان أدفع درهما واحدا بطبيعة الحال . وكان من جراء ذلك اننى تلقيت فى اليوم التالى دعوة من مدير البوليس ، فلبيتها فورا . وكان المدير غاية فى الادب واللطف ، ولكنه اصر على ان لامفر لى من دفع المبلغ . فلما تشبثت بالرفض ، قال مدير البوليس انه مضطر فى هذه الحالة الى ان ينذرنى بمغادرة فلورنسا خلال ثلاثة ايام ، وبمبارحة مقاطعة (توسكانيا) فى ستة أيام ، ولا سبيل لى الى العودة الا اذا رفعت الامر الى الدوق الاكبر ـ الحاكم ـ وقضى بان الحق فى جانبى ! .. وسألنى المدير ان اكتب تعهدا بذلك ـ كما كان القانون يحتم ـ فكتبت: « اننى أحنى الراس احتراما لقراركم ، ولكن هذه المسألة لن تنتهى هنا » !

وودعت « تيريزا » فى حرارة لابد انها وخزت قلب زوجها المسكين .. وسرعان ما رحلت ، فان هى الا ست وثلاثون ساعة ، حتى كنت فى (روما)

كازانوفا .. المشغوف بالراحة !

• **وكان** بين خطابات التوصية التى احملها ، خطاب للكاردينال « باسيونى » ـ الذى كان سكرتيرا للبابا ـ فلما

حملته اليه ، أعرب لى عن رغبته فى ان يسمع من بين شفتي قصة فرارى من السجن .. فقلت : « ان القصة جد طويلة ياصاحب الغبطة » . ولكنه قال : « هذا أفضل .. فقد بلغنى انك راوية مبدع »

ـ ولكن ، الا مفر من أن أجلس على الارض ياصاحب القداسة ، ريثما أقص ماجرى ؟

ذلك اننى لم أجد فى الغرفة اى مقعد . وأمر الكاردينال أحد خدمه فأحضر لى مقعدا منخفضا ، لامسند له ، مما أثارنى وجعلنى أوجز فى القصة ، وأرويها دون تنميق . فقال الكاردينال : « انك لست من البراعة فى الحديث كما بلغنى » . فأجبت : **« الحق اننى لا أجيد الحديث الا اذا كنت مستريحا فى جلستى »**

ـ أو لست مستريحا فى جلستك هذه ؟

ـ لا ياصاحب الغبطة .. ان أى انسان ـ وبوجه خاص أى مثقف ـ لايستطيع ان يثير غيظى قدر ما فعل هذا المقعد !

ـ يبدو لى انك مشغوف بالراحة .. وعلى أية حال ، فاننى أرى انك فى كتابتك اكثر بلاغة منك فى حديثك ، وارى بهذه المناسبة أن أهديك نسخة من الرثاء الذى كتبته فى الامير « يوجين » ، ولعلك لاتجد فى أسلوبى اللاتينى أى منفذ للنقد

وما لبث الكاردينال ان أفضى الى بأن قداسة البابا سيستقبلنى فى الساعة العاشرة من اليوم التالى ، فلما عدت الى مكتب الكاردينال فى ذلك الموعد حملت اليه نسخة قيمة من كتاب جليل ، عتيق ، طامعا بذلك فى أن اكسب وده !

فى حضرة قداسة البابا

• **وكنت** قد عرفت قداسة البابا عندما كان أسقفا لمدينة (بادوا) ، فلما قبلت الصليب المنقوش عند قدمه ،ألقى راحته على كتفى ، وذكرنى باننى كنت أغادر القداسات التى كان يعقدها

فى (بادوا) بمجرد شروعه فى تلاوة التسابيح الدينية ، فقلت له: ((**ان لى ، يا أقدس أب ، ذنوبا أسوأ من هذا واكثر ثقلا على ضميرى .. ومن أجل هذا سعيت لاركع عند قدميك ، ملتمسا المغفرة !**))

وباركنى قداسته ، ثم سألنى عما يستطيع أن يؤديه لى ، فقلت : ((اشفع لى فى العودة الى البندقية)) . فقال قداسته : ((سنتحدث فى ذلك الى السفير ، وننبئك بالنتيجة .. ألست تزور الكاردينال باسيونى ؟)) .. فرويت له كيف أهدانى رثاءه للامير ((يوجين)) ، وكيف أهديته بدورى نسخة قيمة من كتاب عتيق ، فقال : ((لسوف يرسل اليك الاب وينكلمان يسألك عن ثمن الكتاب))

— ولكنى لست بائع كتب ، ولن أقبل أن أتقاضى ثمن الكتاب

— اذن فسوف يرده اليك .. اننا نعرف أخلاقه

— فى هذه الحال سوف ارد اليه مرثاته !

وضحك قداسة الباب طويلا ، ثم قال : ((يسرنا ان نعرف ماينتهى اليه هذا الموضوع ، دون ان يدرك احد سوانا بهذا الفضول الذى يتملكنى !))

وفيما كنت منصرفا ، فطنت الى راهب متقدم فى السن يتبعنى ، حتى اذا لحق بى ، سألنى عما اذا كنت السنيور ((كازانوفا)) الذى هرب يوما من سجن ديوان التفتيش .. واجبته بالتأكيد ، فهتف : ((الحمد لله اذ اراك ثانية فى صحة جيدة .. ألم تعرفنى ؟ .. اننى مومولو ، الملاح البندقى الذى كثيرا ما أقلك فى جندوله))

— وهل أصبحت راهبا ؟

— لا ، ولكن المسوح لباس كل امرىء هنا .. اننى رئيس الكناسين الذين فى خدمة قداسة البابا !

كازانوفا .. ((صاحب الكرامة)) !

• **وزارنى** الاب ((وينكلمان))، فأزجى الى اننى نلت رضاء الكاردينال باسيونى ، بسبب ذلك الكتاب النادر ، الثمين . ثم أردف قائلا ان الكاردينال يحب ان يعرف بكم هو مدين لى ، فأجبت : ((بلا شىء ، فانا لست بائع كتب .. لقد قدمت الكتاب هدية))

ـ اذن فسيرده صاحب الغبطة اليك

ـ له الحرية فى ذلك ، اذا هو شاء ، ولكنه اذا فعل فسأجدنى مضطرا الى ان أرد اليه المرثاة التى اهدانيها . اذ اننى لا أقبل هدية من لايقبل هديتى !

وفى اليوم التالى ، تلقيت كتابى ، فرددت المرثاة !

ولما كان شقيقى ((جون)) يقيم فى (روما) ، فقد اصطحبته فى ذلك المساء لزيارة ((مومولو)) فى داره . وكانت له زوجه عجوز، واربع بنات تبلغ كبراهن الرابعة والعشرين ، وولدان قبيحا الشكل ، وأصر ((مومولو)) على ان نتناول العشاء مع الاسرة ، فأوفدت أدعو تابعى ((كوستا)) الى ان يحضر ست قنينات من النبيذ . واذ لمحت اعجاب البنات الاربع بكوستا ، سألته ان يبقى معنا

واذ جلسنا الى المائدة الكبيرة التى ضمتنا جميعا ، سمعنا طرقات على البـــاب ، فبدأ الامتعاض عـلى البنات ، وقالت احداهن : ((هذه ماريا وأمها ! .. من الذى دعاهما للحضور))

وفتح الباب ، ودخلت امرأة مسنة ، وفتاة غاية فى الجمال

(والى الحلقة التالية ، حيث يروى لنا أمير العشق والغرام المغامرة التى تركنا عند أبوابها)

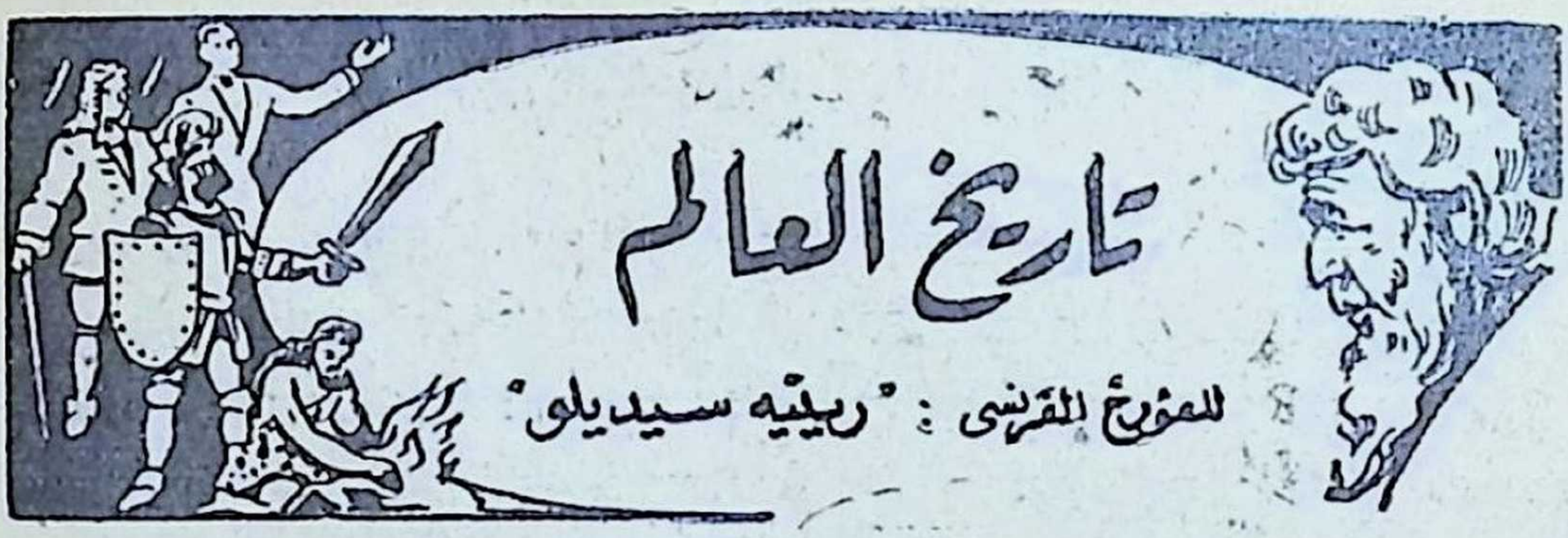

حلقة جديدة .. من تاريخنا !

• انتهينا فى اخر حلقة قدمها لك ((كتابى)) من هذا الكتاب القيم الذى استعرض فيه المؤرخ العالمى ((رينيه سيديللو)) تاريخ العالم باسلوب قصصى رائع ، الى تداعى (بيزنطة) - آخر ماتبقى من الامبراطورية الرومانية - بعد ان قاومت عوامل الانهيار الف عام . وروى لنا المؤرخ كيف ان الانحلال كان تاما فى الامبراطورية المحتضرة ، حتى ان فكرة الدولة كنظام ، تلاشت تماما ..

وفيما يلى ، نقدم لك حلقة جديدة من هذه ((القصة)) التاريخية الطريفة !

من أين أتت فرنسا ؟!

• فى غضون هذا الانهيار الشامل ، لم يعد الغزاة يغيرون ثم يرحلون مواصلين تجوالهم فى ارجاء اوربا ، بل أخذوا يستقرون . وجعل زعمـاء العصابات - الذين انتخبهم اندادهم قادة لهم - من أنفسهم زعماء لامم وراحوا يسعون الى أن يستحلوا لسلالاتهم حق وراثة زعامتهم .. ومن بين القبائل الجرمانية التى أصبحت تحتل اراضى الامبراطورية ، ظهرت احدى القبائل وتفوقت ، فلم تلبث ان تزعمت الجميع .. تلك كانت، قبيلة الفرنجة الساليين .. الذين وفدوا من الاراضى الملحة المحيطة بمصبات نهر (الراين) واستطاع زعيمها ((كلوفيس)) باعتناقه الدين المسيحى ، ان يكتسب تأييد

الاساقفة له ضد منافسيه الذين أغضبوا رجال الدين بأنكارهم ((بنوة)) المسيح لله .. وهكذا استطاع ((الفرنجة)) ـ بمساندة الكنيسة ـ ان يحتلوا الصدارة

وكان من المحتمل أن تقوم دولة المانيا على اراضى بلاد الغال ، لو لم يهزم ((كلوفيس)) قبائل ((المانى)) فى (تولبياك) ، فى سنة ٤٩٥ من ميلاد المسيح. وكان من المحتمل كذلك ان تصبح بلاذ الغال (بيرجنديا) لولم يطرد ((كلوفيس)) البيرجنديين منها فى سنة ٥٠٧ ، كما كان من المحتمل ان تصبح بلاد الغال (قطالونيا) لو لم يهزم ((كلوفيس)) قبائل ((الفيزقوط)) ..

اى ان بلاد الغال لم تصبح فرنسا ، الا نتيجة انتصارات الفرنجة !

الادب اللاتينى .. فى طور الاحتضار !

• وكان اسم (روما) لايزال محوطا بهالة من الشهرة فى بلاد الفرنجة ، كما كان شأنه فى الغرب بأسره .. كان هذا الاسم رمز النظام والترف الغابرين، ومايتبعهما من مجد ورخاء كان البرابرة يصبون اليهما فى غمرة الفوضى والتأخر. ولقد ظلت لغة القوم مشتقة من اللاتينية ، فيما عدا انجلترا ، حيث استطاع الغزاة ان يبتكروا من اللهجات الجرمانية لغة موحدة للكلام . وفى ايطاليا ، عكف ((الاستروقوط)) على محاولة اقامة هيكل لما كانت عليه الامبراطورية الرومانية .. بل ان قوانين (روما) ظلت سارية المفعول الى جانب غيرها من القوانين الجرمانية التى ظل البرابرة يتشبثون بها ، الى ان جاء وقت اختلطت فيه العناصر ، و دعت الضرورة الى ايجاد قوانين موحدة منسقة . فلقد ذابت العناصر بعضها فى بعض ، كما حدث بالنسبة للغات والعادات .. وكان الادب اللاتينى اذ ذاك فى طور الاحتضار ، كما كان الفن قد ارتد الى مرحلة بدائية أقرب الى النمط الذى كان سائرا فيما قبل التاريخ ، منها الى الكمال الذى حققته الثقافة اليونانية ـ الرومانية

وفى بطء وعناء ، بدأت الامم تتشكل. اذ قسم الملوك البرابرة ممالكهم بين الذكور من ابنائهم ، كما كانوا يقسمون فى الماضى أسلابهم من الغزو . وانقرضت أسرات حاكمه ، وراح الامراء يقتـــالون بعضهم بعضا ، ويدمر الواحد منهم ما أقامه الاخر وشيده

((شارلمان)) يتسلم مفاتيح بيت المقدس !

• ولكن الملك ((شارل)) ـ الذى تولى ملكه فى سنة ٧٧١ ، وعرف باسم

شرلمان فيما بعد ـ استطاع ان ينشىء امبراطورية حقيقية ، تحت حماية الفرنجة اذ هزم مملكة اللومبارد فى ايطاليا ـ فى سنة ٧٧٤ ـ وضم المانيا ، وأثار الذعر فى قلوب السكسون ، وغلب « الافار » الذين اعتنقوا المسيحية وجعلوا من بلادهم حدا شرقيا لملك شرلمان ، واطلقوا عليها اسم (المجر) . ولم يخفق شرلمان الا فى اسبانيا . وقد كان موت ابن اخيه «رونالد» فى ممر (رونسيسفال) المحور الذى دار حوله كثير من القصائد الخالدة

وفى روما ـ حيث تعهد شرلمان بحماية البابا فى سنة ٨٠٠ ـ تسلم الملك مفاتيح بيت المقدس وكنيسة المهد المقدس .وتكريما له، خلع عليه لقب «امبراطور» الذى كان يطلق على الامجاد من الحكام الرومان من قبل. واحتجت (بيزنطه) ، ولكن شارل ـ ملك الغرب ـ اوشك رغم ذلك ان يتزوج من « ايرين »امبراطورة الشرق .. وبدا كان ملك الفرنجة قد استطاع ان يوحد العالم المسيحى ، وان يبعث مجد امبرطورية روما

شارلمان العظيم .. لم يكن متمدينا !

• والحق ان شارلمان ما كان ليحجم عن ان يبعث كذلك حضارة روما ومدنيتها الى الوجود ، لولا انه كان لابد له ـ من اجل ذلك ـ الى ان يكون متمدينا . وهو الامر الذى لم يكنه ! .. ومن الصحيح انه انشأ لنفسه بلاطا ، ولكن هذا البلاط كان فى (اكس لاشابيل) وليس فى (روما) .. وصحيح ايضا انه انتحل لنفسه نسبا لاتينيا ، وانشأ المدارس ، وأمر بنسخ الكتب والقوانين القديمة ، الا انه لم يتعلم القراءة الا بصعوبة بالغة ! ..وكانت اللغة اللاتينية التى احياها نسخة باهتة من اللغة اللاتينية القديمة ، وحتى بهذا الوضع كانت معقدة بحيث لم يستسغها العامة ، فاقتصرت على العلماء .. وكان الفن الذى يبعثه تقليدا ممسوخا للفن البيزنطى

كذلك كان شارلمان يسعى الى بعث الامبراطورية القديمة فى الميدان الاقتصادى فأصلح الطرق القديمة ، وعمل على تبسيط وتنسيق الموازين والمقاييس ، وشجع العودة الى النظم النقدية بأن سك عملات جديدة من الفضة ، كما عمل على تشجيع اقامة الاسواق فى المناسبات الدورية ، كعيد القديس دنيس ..

ولكن المهمة كانت أعظم من أن تتحملها قواه .. أجل ، لم يكن يملك الطاقة التى ترسل الدم دافقا من جديد فى شرايين الغرب ، فترد اليه الحياة

والنشاط . ومن ثم ظل الاقتصاد بدائيا .. وقرويا رغم كل الجهود التى يذلها شرلمان ، ولم يفلح فى توحيد النظم الصغيرة ، المستقلة ، القائمة على الكفاية الذاتية ، والتى نشأت نتيجة لعدم الاستقرار فى القرون المظلمة ..

بدء ظهور الدول الاوربية فى شكلها الحديث

• أما الصرح السياسى الذى أقامه شرلمان ، فكان صرحا مهتزا ، غير ثابت الاركان فى عهد خلفائه حتى لقد عانى « لويس التقى » ـ (أحد هؤلاء الخلفاء) ـ أثناء توليه الحكم ، أشد المتاعب ، دون ان يفلح فى تدعيم الوحدة المصطنعة فى امبراطورية تالفت من مجموعـــة متباينة من الشعوب ، صبغت بالصبغة الرومانية فى غير ماتناسق وعلى غير ما أسس قويمة .. ولم يلبث ابناؤه ان اقتسموا الميراث المثقل الذى تركه عند موته فى سنة ٨٤٣ ، وفقا لتقاليـد الفرنجة فشطرته معاهدة « فردان » لهم الى ثلاثةاقسام ، لم تلبث ان اصبحت فى النهاية : فرنسا والمانيا وايطاليا .

وتم بذلك ارساء اسس امم أوربا الحديثة ، ولغاتها الرئيسية .. وكانت كل من هذه الامم تختلف عن الاثنتين الاخريين ، كما كانت كل من اللغات تختلف زميلتها .. ولم يعد من سبيل الى توحيدها ، أو التقريب بينها .

(يتبع)

بنك مصر
اسس شركاته الكبرى التى وطف بها خصائص البلاد
واستغل مرافقها فإذا بها الدعائم التى قام عليها
التصنيع القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرر
الاقتصادى منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية
وتفوق العقل المصرى فى مضمار الحياة العملية

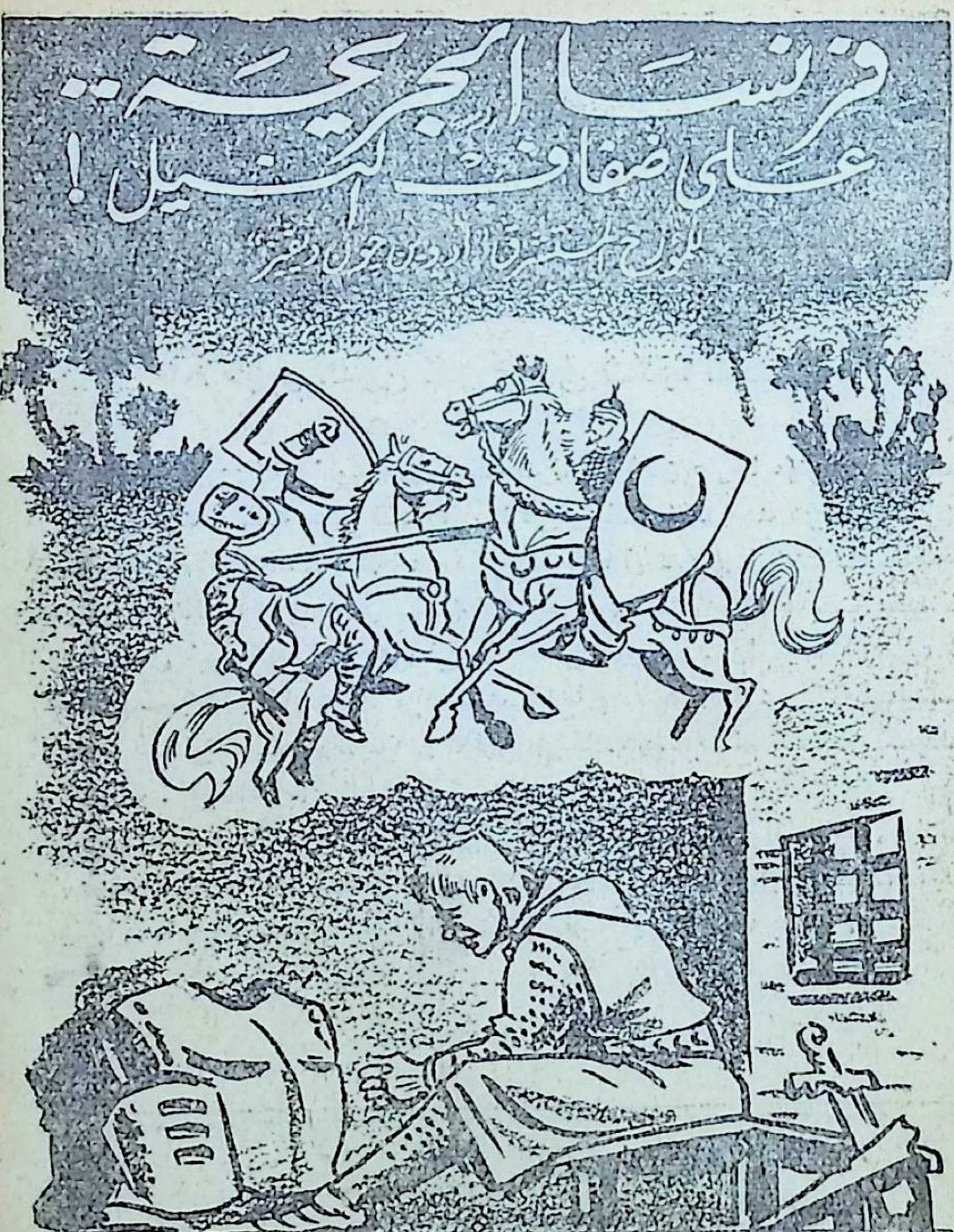

الكتاب الممتع الذى يروى قصة اندحار جيوش فرنسا فى المنصورة عام ١٢٥٠ ، وأسر ملك فرنسا ، وحكم شجرة الدر ، واغتيالها لزوجها ، واغتيال «ضرتها» لها ! .. صفحات مجد وفخار لمصر ، وعار ومذلة لفرنسا !

تقدمها «مطبوعات كتابى» حوالى منتصف يناير الحالى

ابتسامة معبرة .. لاول خطاب !

عذراء دلاسيديا ..

للفنان الايطالى « رفايللو سانتى » ، احدى تحف متحف يتى بفلورنسا

أنس لأولادك هذه المكتبة

إن "مطبوعات كتابى" التى تقدم لك ولأفراد أسرتك ترجمة عربية دقيقة كاملة لأمهات الكتب العالمية التى تؤلف تراث الإنسانية الخالد على مر العصور، تكفل لابنك - أو ابنتك - أن يشب فيجد فى متناوله مكتبة عربية زاخرة بكتب الأدب المنتقاة، المترجمة عن أساطين المؤلفين فى شتى بلاد العالم، والتى تضم عصارة تجاربهم ومشاعرهم وانفعالاتهم.. وهكذا سوف يتاح لابنك أن يقرأ "تولستوى" و"جيته" و"ديكنز" و"ڤولتير" و"دانتى"، منذ نعومة أظفاره، بينما حرمت أنت فى شبابك الباكر من هذه المتعة.. فعندما أتقنت اللغات الأجنبية كنت قد بلغت سن العمل والزواج والمسئوليات، فضاعت منك فرصة الفراغ الطويل المنشود.. إلى الأبد!

اقرأ تفصيلات عدد
منتصف يناير فى الداخل

مطبوعات كتابى

يصدرها: حلمى مراد

الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية